

جامعة الجزائر 2 – أبو القاسم سعد الله –

كلية العلوم الإنسانية

قسم التاريخ



تطور النظام السياسي العربي القديم من 1300 ق.م إلى الفتح الإسلامي

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث في التاريخ

تخصص: تاريخ الحضارات القديمة

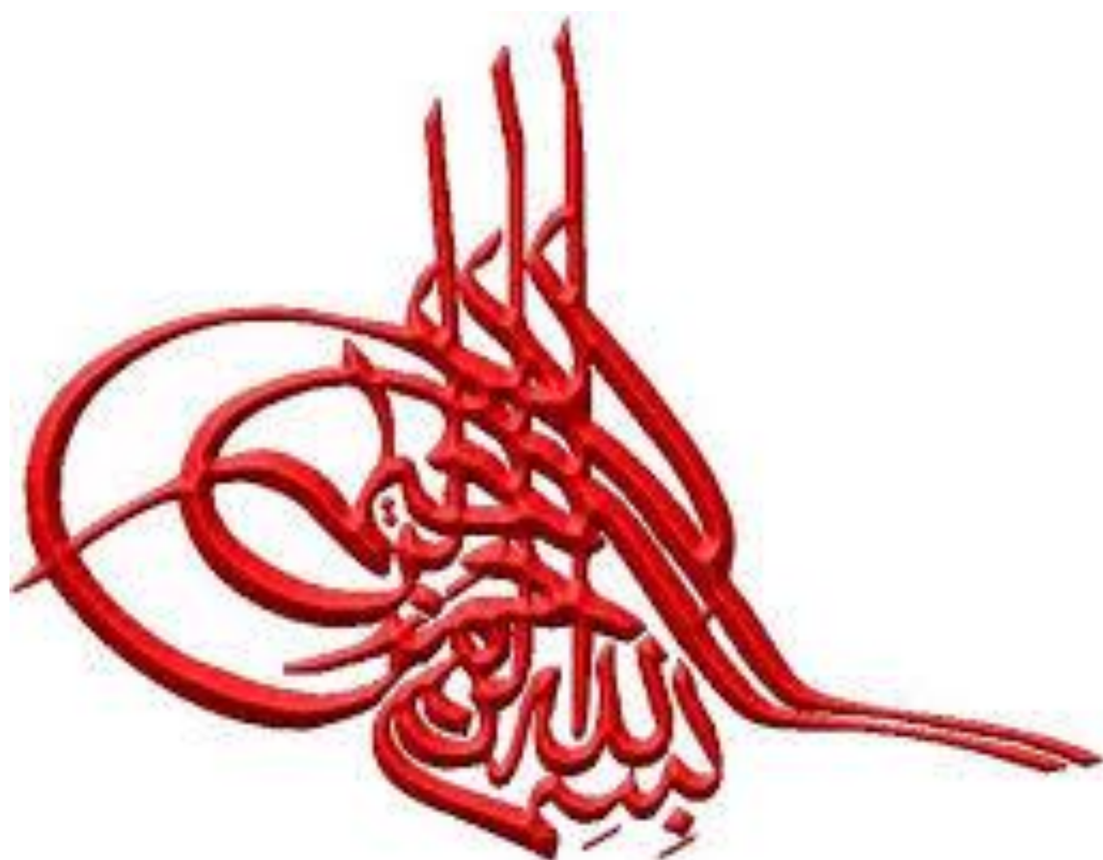
إعـداد الطالبـة: نـوارة رافـع

الأستـاذ المشـرف: أ.د بلقاسم رحماني

أعضاء لجنة المناقشة

الإسم واللقب	الجامعة الأصلية	الصفة
د. مصطفى رميلي	جامعة الجزائر 2– أبوالقاسم سعد الله	رئيسًا
أ.د بلقاسم رحماني	جامعة الجزائر 2– أبوالقاسم سعد الله	مقـررًا
د. بومدين بن موفق	جامعة الجزائر 2– أبوالقاسم سعد الله	عضوًا مناقشًا
د. عبد النور العمري	جامعة يحي فارس – المدية	عضوًا مناقشًا
د. عبد الوهاب كيدار	جامعة عمار ثليجي –الأغواط	عضوًا مناقشًا

السنةالجامعية: 1442 –1443 هـ/2021 –2022 م



إهـــداء

إلى من عمل في سبيل تثقيفي وتنويري وأوصلني إلى ما أنا عليه أبي

إلى التي حملتني وهن على وهن وبدعواتها تنير دربي أمي

إلى من قاسموني لقمة العيش وشاركوني أفراحي وأحزاني إخوتي

إلى النفوس البريئة ورياحين حياتي زهير، هند، هشام، هديل، سلسبيل، أنس، تسنيم، إياد، أسامة، رهف نورهان، فرح، رزان

شكر وعرفان

قال الله تعالى: ﴿...لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ...﴾ [سورة إبراهيم، الآية 07]

أولاً أحمد الله تعالى العزيز القدير وأشكره على نعمه وعونه الذي وفقني إلى إتمام هذا العمل، وأصلي وأسلم على خاتم الأنبياء والمرسلين صلوات ربي وسلامه عليه.

لقد كان هذا البحث نتاج جهد وعون أساتذتي الكرام، فأصبح شكرهم وفاءًا وعرفانًا لهم:

أستاذي المشرف/ الأستاذ الدكتور رحماني بلقاسم: الذي بذل كل جهد وعطاء من خلال تقديم عصارة فكره وتوجيهاته وارشاداته وتكبد عناء المراجعة الدقيقة رغم انشغالاته، ولم يدخر جهدًا منذ لحظة اختيار الموضوع في مدّ يد العون، التي أسهمت بشكل واضح وملموس في إغناء هذا البحث وإخراجه بالصورة التي عليه، ولتفضله في إعارتي كتبًا مهمة، كما أشكره على مواقفه الإنسانية معي ومع كل طالب علم قصده على مدى مساره التعليمي، فلك منا جزاء الشكر والتقدير والإحترام.

الأستاذ الدكتور بشاري محمد الحبيب: رحمه الله والذي كان المثل والقدوة في حبه لتاريخ الحضارات القديمة، مازالت كلماته ونصائحه محفورة في ذهني ودافع للعمل والبحث، أدعوا الله أن يتغمده برحمته ويسكنه فسيح جناته، وأن يلهم زوجته الأستاذة شافية شارن الصبر، والتي أشكرها على اهتمامها ونصائحها، وكل جهد بذلته في تاريخ الحضارات وفي قسم التاريخ فلكي منا كل الإحترام والتقدير.

الأستاذ الدكتور/ الغالي غربي: الذي وجهني دون وهن وزودني بكل الشحن، فقد كان لتوجيهاته الأثر في إتمام هذا البحث، وعلى الرغم من أنني أثقلت عليه وأجهدته بمشاكلي إلا أنه علمني ونقدني بحكمته وحلمه فلك كل الشكر والتقدير.

ومن الوفاء والعرفان أن أشكر كل من **الأستاذ الدكتور بومعيزة السعيد**: (رئيس جامعة الجزائر 2) **والأستاذ الدكتور الحاج عيفة**: (نائب رئيس جامعة الجزائر 2) **والأستاذ الدكتور عبد العزيز بوكنة** (عميد كلية العلوم الإنسانية) **والأستاذ الدكتور بوعزة بوضرساية**: (مدير مخبر الوحدة المغاربية عبر التاريخ، ورئيس جامعة محمد البشير الإبراهيمي برج بوعريريج) **والأستاذ الدكتور غرداوي نور الدين**: (رئيس قسم التاريخ) اللذين أجد نفسي مدينًا لهم لتقديم مساعداتهم، وإلى كل أساتذتي عبر مشواري الدراسي.

كما أتوجه بالشكر إلى من ساعدتني في كتابة هذا البحث وإخراجه بالصورة التي عليه ولتفضلها في إسداء بعض النصائح، الأستاذة جميلة لرجان.

وأخيرا أتوجه بالشكر إلى كل العاملين بإدارة قسم التاريخ وأخص بالذكر

أحلام وورده،

وإلى عمال مكتبة جامعة الجزائر2، وعمال المكتبة الجامعية يوسف بن خدّة

لحسن تعاونهم

كما أتقدم بالشكر إلى كل من ساعدني من قريب أو بعيد

المختصرات

- J.A.O.S:Journal of AmericanOriental Society.

- B.A.S.O.R:The Bulletin of the American School of Oriental Research.

- R.E.S:Reprtoire,Depigraphie Sèmitique.

- G.L:Glaser(Inscritions of Edouard Glaser).

مقدمة

تعد شبه الجزيرة العربية من أهم المناطق التي حظيت بدراسات تاريخية جادة ومتواصلة رافقها ذلك سلسلة من البحوث الأثرية الميدانية لعدد كبير من مراكز البحث الغربية خاصة والتي جندت لإنجاح مهامها خيرة الباحثين الأثريين على اختلاف تخصصاتهم ومدارسهم وكذا لفيف من العلماء في مختلف العلوم المساعدة والمرافقة للباحثين الأثريين، كل هذه الجهود أثمرت على نتائج جيدة وجديدة فيما يخص تاريخ المنطقة الحضاري القديم.

وعليه فإن المؤرخين انطلقوا من هذه المستندات الأثرية وتقارير علماء الآثار لإماطة اللثام عن عالم شبه الجزيرة القديم، ونذكر على سبيل المثال لا لحصر العالم الفرنسي جوزيف هاليفي الذي عثر وترجم عشرات الألاف من النصوص اليمنية القديمة، وركمانز، إضافة إلى العديد من العلماء العرب والمسلمين.

ولقد جلبت انتباه الباحثين تلك الآثار الباقية التي عثر عليها في مختلف أنحاء شبه الجزيرة العربية، وكذا تعدد النصوص في كتاباتهما المختلفة سواء كانت شمالية أو جنوبية، ولقد ساهم أصحاب الديانات التوحيدية بشكل معتبر في جلب اهتمام الباحثين المتدينين بهذه المنطقة باعتبارها أرض الرسالات السماوية.

من هنا انطلقت فرق البحث بقيادة أثريين ومؤرخين إلى السير في أغوار حضارة العرب القديمة، وركزوا على عدد من الأنظمة السياسية وتطورها، وكذلك جلب انتباههم ذلك النظام القبلي العربي القديم، وما تميز به عن بقية الأنظمة القبلية الأخرى في الشرق الأدنى القديم محاولين وضع إطار عام لهذا المجتمع والغوص في مميزاته والأطر التي تتحكم فيه من عادات وتقاليد، وكذا منظومة تشريعية وعلاقتها بالتطور الذي شهدته المنطقة فيما بعد.

وعليه شكلت دراسة النظام السياسي العربي القديم محور اهتمام العديد من الباحثين الذين حاولوا اسناد سبب ظهور هذا النظام إلى عوامل عديدة سواء كانت منها المحلية أو الخارجية.

إن المتأمل لطبيعة ظهور هذا النظام، يلاحظ أن هذا النظام مرّ بنفس المراحل التي مرّت بها الأنظمة السياسية في منطقة الشرق الأدنى القديم، إلاّ أن النظام السياسي في شبه الجزيرة العربية القديم تميز ببعض المميزات التي ظلت مصاحبة له، سواء من حيث الشكل أو الطبيعة أو الهياكل أو التشريعات أو طبيعة أنظمة الحكم، سواء كان ذلك في شمال شبه الجزيرة العربية أو وسطها أو جنوبها.

لقد ظلت قواعد معينة تتحكم في هذا النظام من حيث الظهور والتطور، محورها القبيلة والنظام القبلي الذي كان حاضنة لميلاد وتطور النظام السياسي العربي القديم، فالقبيلة إلى جانب وظيفتها الإجتماعية تعد كيانا سياسيا قائما بذاته سواء في شؤونها الداخلية أو علاقاتها الخارجية.

وإلى جانب ذلك النوع من التكوين والتنظيم القبلي ظهر نوع أخر ألا وهو الإمارات أو الممالك الصغيرة التي قامت بشمال الجزيرة العربية.

أما في القسم الجنوبي والذي يعد أحد أهم أقسام الجزيرة العربية من حيث التقدم والحضارة، وذلك لتوافر الأراضي الخصبة وقدرا كافيا من الأمطار الذي كفل لها الثراء الإقتصادي المتمثل خاصة في الزراعة والتجارة، فقد عرفت النظام الملكي المرتبط بحياة الإستقرار والإستيطان الدائم، حيث نجد أن عصور المكاربة تسبق عصور الملوك، أي بدأ من خلال الشكل الديني ثم تطور إلى نظام مدني فيما بعد؛ وعليه فإنني اخترت أن يكون موضوع بحثي تطور النظام السياسي العربي القديم.

وقد اتبعت المنهج التاريخي الوصفي لدراسة الموضوع في إطار شبه الجزيرة العربية وهي منطقة تقع في جنوب غرب آسيا، والتي يحدها من الشمال الشرقي خليج العرب، ومن الغرب البحر الأحمر ومن الجهة الجنوبية المحيط الهندي.

أما الإطار الزماني، فقد اخترت القرن 14ق.م (1300ق.م) باعتباره يؤرخ لظهور أولى الكيانات السياسية بالمنطقة وما تبعها من تطورات إلى غاية ظهور الإسلام.

وقد تعددت دوافع اختياري للموضوع، أولاً لأهمية المنطقة من الناحية السياسية، ورغبة في معرفة أغوار شبه الجزيرة والشعوب التي سكنتها، والدافع الأقوى التشجيع الذي تلقيته من أستاذي المشرف، خاصة أنه يلم بتاريخ شبه الجزيرة العربية في مختلف الجوانب.

كما أن هذا البحث ردًا على من يقول أن العرب في الجاهلية كانوا همجًا يعيشون على الغزو والحروب ولم تكن لهم دول أو نظام سياسي يحكمهم.

من هنا طرحت تساؤلات تعد محورًا لإشكالية الموضوع منها:

- ماهي مقومات النظام السياسي العربي القديم؟

- كيف تطور هذا النظام العربي سياسيا من نظام القبيلة إلى نظام الدولة أو المملكة أو الإمارة؟

- هل ساهم عنصر الدين في بروزه؟

- ماهي مظاهر هذا التطور؟ وما هي أهم الدول والإمارات التي قامت في شبه الجزيرة العربية؟

- هل فعلا تخلصت هذه الأنظمة السياسية من دور القبيلة أم لايزال أساسا وركيزة في النظام السياسي العربي؟

- هل أنتج هذا النظام فكرا سياسيا يعد لبنة في تطور الفكر السياسي العربي القديم؟

كانت هذه التساؤلات كلها تصب في محور أساسي وهي البحث في طبيعة وتطور هذا النظام السياسي العربي القديم، وللإجابة على هذه التساؤلات قسمت البحث إلى مقدمة ومدخل وستة فصول وخاتمة، تناولت في المقدمة إلى أهمية الموضوع، وسبب إختياري له، وجهود الباحثين والعلماء المتخصصين في الكشف عن الكتابات التي تعتبر مصدرًا مهمًا لدراسة منطقة شبه الجزيرة العربية.

ثم فصل تمهيدي بعنوان الأرض والسكان وقد تطرقت فيه إلى شبه الجزيرة العربية من حيث طبيعتها وسكانها، فتناولت فيه الموقع الجغرافي وأهميته وكذا التقسيم الكلاسيكي والعربي لشبه الجزيرة العربية، بالإضافة إلى الصحاري والمناخ والتضاريس، ونباتاتها وحيواناتها، وأما السكان فقد تطرقت إلى أصل ومدلول كلمة العرب وكذا طبقات العرب.

أما الفصل الأول، فقد احتوى على تعريفات لأهم مصطلحات النظام السياسي العربي القديم، من نظام وسياسة، وقبيلة، وعصبية قبلية، وأخيرًا الدولة.

وأما الفصل الثاني، فيتعلق بالمرتكزات الإقتصادية ودورها في تطور النظام السياسي العربي القديم، وقد تطرقت فيه إلى كل من الرعي والزراعة والصناعة والتجارة، حيث أنه ما كان لهذه الكيانات أن تتطور في تنظيماتها وتوسع رقعتها الجغرافية لو لم تكن لديها بنية اقتصادية قائمة على الإستمرارية أساسها الزراعة واستغلال عقلاني للموارد المائية، وتحقيق فرق إنتاجية سمحت لهذه الكيانات بالتصدير.

فكلما كان الإقتصاد متطورًا وثابتًا وآمنًا، كل ذلك انعكس على بنية الدولة وتطورها وقوتها على الصعيد الداخلي أو الخارجي، وكلما كانت عرضة لمختلف المخاطر، كالصراعات الداخلية، تكون فرصة سهلة المنال بالنسبة للقوى الخارجية المتربصة بها.

وجاء الفصل الثالث تحت عنوان اسهامات الجانب الإجتماعي والديني في تطور النظام السياسي العربي القديم، فالجانب الإجتماعي هو الذي انبنت عليه الكيانات السياسية التي ظهرت في المنطقة حيث كانت بدايتها المنظومة القبلية والتي كان الوعي السياسي فيها محددًا لا يتجاوز حدود القبيلة، ثم تطورت هذه المنظومة القبلية إلى أن وصلت إلى تشكيل كيانات سياسية منظمة بمؤسسات وتشريعات.

ويبقى العامل الديني كركيزة في مختلف مراحل تطور هذا النظام السياسي العربي القديم رغم ما حققته من تطور، وعليه فالنظام السياسي العربي القديم ظل العامل الديني فيه محوريًا.

وحمل الفصل الرابع أهم دول وممالك شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام حيث تناولت فيه الجانب السياسي والتنظيمي لهذه الدول، من بدايات ظهورها وتطورها وأسس قيامها، وسنجد أن بدايات ظهور هذه الدول والممالك ونهايتها محل خلاف بين العلماء، وربما يرجع ذلك لأن معظم النصوص التي عثر عليها في شبه الجزيرة لا تقدم تواريخ مطلقة، فالعرب نجدهم يؤرخون طبقا لسني حكم الملوك، أو شيوخ ورؤساء القبائل، أو بالحروب التي كانت تقع بين القبائل والأمم وبذلك افتقدوا للتأريخ المطلق.

أما الفصل الخامس فقد جاء موسومًا بنماذج للنظام السياسي من مختلف جهات شبه الجزيرة، فالجنوب عرف النظام الملكي من بداية تاريخه بسبب وجود الزراعة والإستقرار ومقومات الحياة السياسية، والمدنية كانت تجمع بين خصائص النظام القبلي والحضري معًا مثل مكة، وممالك الشمال كانت تدين بالولاء لقوى أجنبية.

وجاء الفصل السادس تحت عنوان تطور أنظمة الحكم وميلاد الفكر السياسي العربي القديم حيث تم التطرق فيه الى عوامل التطور ودورها في بلورة وميلاد الفكر السياسي العربي القديم.

فالنظام السياسي يميز كل دولة من حيث أساليب الحكم والتشريعات التي تحكم هذا النظام وكذا طبيعة الحكم وأساليبه وكيفيات تولي العرش والتداول على السلطة.

أما الخاتمة فقد حوصلت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث، وملاحق ذات صلة بالموضوع.

واستندت في هذا البحث على مصادر ومراجع عديدة ذات صلة بالموضوع أذكر بعض منها على سبيل المثال لا الحصر. حيث اعتمدت على المصادر الدينية:

يأتي على رأسها القرآن الكريم، فهو مصدر رئيسي، لأنه كلام الله الذي ليس فيه شك فقد أشار القرآن الكريم إلى أحداث وقعت في شبه جزيرة العرب في الزمن البعيد، وتحدث عن أقوام هلكوا وأبيدوا مثل قوم عاد وثمود وما أصابهم من عذاب وعقاب من الله بسبب

تكذيبهم لرسلهم وأنبيائهم، لأخذ العبرة منهم، كذلك أشار القرآن الكريم إلى الأصنام التي كان عرب شبه الجزيرة يعبدونها، وأشار الى بعض حكامهم وأنظمتهم.

بالإضافة إلى الاعتماد على ما ورد في التوراة مع عدم التسليم نهائيًا بما ورد فيه لأنها محرفة ومبدلة عما أنزلت به، إلا أن ذلك لا يمنع من الاستفادة منها في بعض جوانب التاريخ القديم بشكل خاص، وبعض الكتب مثل صفة جزيرة العرب لمؤلفه "الهمذاني" وقد احتوى كتابه معلومات قيمة عن شبه الجزيرة العربية وجبالها وأوديتها ومساكنها ومعابدها وقد أفادتني في معالجة الفصل التمهيدي من هذا البحث، وكتاب بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب في ثلاثة أجزاء لمؤلفه "الألوسي" وقد أفادتني في التعريف بالعرب وطبقاتهم، وكذا معرفة طبيعة شبه الجزيرة العربية ونباتاتها وحيواناتها، إلاّ أنني وظفته تقريبًا في كل الفصول.

وكتاب تاريخ ابن خلدون لمؤلفه "ابن خلدون" في سبعة أجزاء، وقد أفادني في معرفة أخبار سكان شبه الجزيرة وأجيالهم ودولهم، وذلك بدراسة طبائع البشر والعمران وأنظمة الحكم والسلطان.

ومن المصادر الكلاسيكية سترابون وكتابه "الجغرافية" الذي يعتبر من أهم الدراسات وكذلك جغرافية بطليموس التي تضم عددًا كبيرًا من الخرائط.

أما هيرودوت وكتابه "التواريخ" فيصف لنا بلاد العرب وجغرافيتها وحدودها بين الخليج العربي والبحر الأحمر، كما يتحدث عن ملك العرب ويبدي إعجابه الشديد بالعرب والأخلاق العربية.

كما اعتمدت على تراجم النقوش، إذ تعتبر النقوش مصدرًا أساسيا لهذا البحث، حيث أن الأقوام الأولى تركوا تاريخهم مكتوبًا على الصخور، وإن كانت تلك النقوش يتخللها انقطاع في التسلسل الزمني، ويعود الفضل إلى علماء الآثار في فك رموز تلك النقوش، فبالإضافة إلى هاليفي وركمانز، هناك النمساوي ادوارد جلاسر ومولر.

كما ساعدتني معاجم اللغة في فهم العديد من الأسماء والأماكن مثل: معجم البلدان "للحموي ياقوت"، ولسان العرب" لابن منظور" والقاموس المحيط للفيروز آبادي.

أما المراجع العربية فهي عديدة ومتنوعة ومن أبرزها "جواد علي" وكتابه المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام والمكون من عشرة أجزاء، والذي يحتوي معارف كثيرة متعلقة بتاريخ شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، كما قام بشرح بعض النقوش التي لم تتوفر لكثير من الباحثين وكتاب أبو العلا محمود طه "جغرافية شبه الجزيرة العربية" والذي تحدث بالتفصيل عن جغرافية شبه الجزيرة العربية، وكتاب معالم تاريخ العرب قبل الإسلام لأحمد أمين سليم، حيث شمل هذا الكتاب معلومات عن جغرافية شبه الجزيرة، وأخص كتاب الأستاذ المشرف رحماني بلقاسم حضارة العرب القديمة، ج1، والذي ساعدني في هذا البحث من حيث الجانب الديني والسياسي، وكتاب تاريخ العرب الاقتصادي قبل الإسلام لمؤلفه "علي محمد معطي" والذي أفادني في الجانب الاقتصادي إلى حد كبير خاصة الزراعة وما تبعها من أساليب الري والسدود وكتاب دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام لمؤلفه السيد "عبد العزيز سالم" والذي أفادني كثيرًا سواء في الجانب السياسي أو الاجتماعي. وكذلك اعتمدت على عدد من الدراسات المختصة من ذلك:

- Philby, J, B, the back ground of Islam.
- Philby, J, B, qataban and sheba.
- Philby, J, B, the Land of sheba.
- Abbot, N, pre islamique Arab Qeens.
- Musil,un the Arabia deserta.
- Ryckmans, J, l, inscription monarchique en arabie.
- Al ghul, New Qataban inscriptions.
- Litmann, Nabataen inscriptions from the south houren.
- Jame, South Arabian inscriptions.
- Robin Ch, Citès royaumes et empire de parabie avant Islam.
- Reza Ur Rahim M, Agriculture in pre islamique Arabia.

وغيرها من الدراسات المترجمة.

فالمراجع المعتمد عليها عديدة ومتنوعة، إلاّ أن بعضها متضارب والاعتماد عليها يكون قليلاً، كما تتداخل الحقائق التاريخية مع الروايات الخرافية، ورغم أهمية الدور الذي قامت به دول شبه الجزيرة العربية إلا أن تاريخها لا يزال يحتوي على كثير من الثغرات، ولا يمثل سلسلة تاريخية متكاملة الحلقات، حيث يسهل دراستها كما أن كثيرًا من الأحداث التاريخية التي حدثت في تلك الفترة انفردت بذكرها مصادر الأمم التي كانت معاصرة لها، كالمصادر الأشورية واليونانية والرومانية.

والباحث في التاريخ القديم لا ينجو من التساؤل في محاولته للتفريق بين الحقيقة والخطأ

وما هذا البحث إلا دراسة أولية تنتظر من يوسع نطاقها، لأن الوضع اليوم أفضل من الأمس في مجال البحث والتنقيب.

وأخيرًا فإني أشكر الله عز وجل وأحمده على توفيقه لي، وما كان في هذا البحث من صواب فهو من توفيق الله تعالى وحده، وما كان فيه من خطأ فهو من نفسي.

وخاتمة القول لا يسعني سوى أن أتقدم بالشكر والتقدير لأعضاءِ اللجنة الموقرين على قبولهم مناقشة رسالتي، وستكون ملاحظاتهم وتصحيحاتهم وتصويباتهم إضافة ذات قيمة علمية لموضوع رسالتي.

الفصل التمهيدي: الأرض والسكان

I. الأرض

1. الموقع الجغرافي وأهميته

2. الأقسام الجغرافية والحالة الطبيعية

أ. التقسيم الكلاسيكي

ب. التقسيم العربي الإسلامي

ج. صحاري شبه الجزيرة العربية

د. المناخ والتضاريس

3. نباتات وحيوانات شبه الجزيرة العربية

أ. النباتات

ب. الحيوانات.

II. السكان

1. أصل ومدلول كلمة عرب

2. طبقات العرب

I. الأرض:

1. الموقــع الجغرافــي وأهميتــه:

تتميز شبه الجزيرة العربية بموقع جغرافي هام ساعد في تشكيل تاريخها إلى حد كبير حيث أنها تقع في القسم الجنوبي الغربي من قاره أسيا[1] بين باديه الشام شمالا، والخليج العربي شرقا والمحيط الهندي جنوبًا ومن الغرب البحر الأحمر[2][انظر الخريطة رقم 1].
وتقع بين خطي عرض12° و32 °شمالا و30°و12°جنوبا، وتمتد بين خطين طول 40 ° و34و40° ° و58 ° شرقًا، وتبلغ مساحتها اكثر من مليون ميل مربع. وبذلك تعد أكبر شبه جزيرة في العالم، يبلغ طول ساحلها الغربي من رأس خليج العقبة حتى خليج عدن 1400ميل، ويبلغ طول ساحلها الشرقي من الخليج العربي شمالا حتى الجنوب في أقصى اتساع لخليج عمان 1500ميل، وتمتد من بحر العرب جنوبا الى الحدود الشمالية للمملكة العربية السعودية بـ 1600ميل ويبلغ اتساعها في أوسع نقطة بين خليج عمان والبحر الأحمر بـ 1200ميل وفي أضيق نقطة بين البحر الاحمر والخليج العربي فيبلغ 780ميل[3].

وتعددت أراء الدارسين والجغرافيين في تحديد مصطلح الجزيرة العربية وحدودها الشمالية فعُرفت عند مؤرخي اليونان والرومان باسم "Arabia" وتعرف عند مؤرخي العرب وجغرافييهم باسم جزيرة العرب على الرغم من كونها شبه جزيرة وأحد أسباب التي جعلتهم يُقدمون على هذا التجاوز هو نهر الفرات الذي يدخل المنطقة في قسمها الشمالي[4].إذ يَقبل من بلاد الروم مارًا ببلدة (قنسرين) ثم ينحدر على أطراف الجزيرة وسواد العراق حتى إذا قارب البصرة اتّحَدَ بدجلة وسار معًا في خليج عمان من البحر الهند ويأخذ البحر في ذلك الموضع مضربًا طائفًا ببلاد العرب منعطفًا عليها إلى بلاد عمان وحضرموت إلى تهائم اليمن ويمضي

---

(1)- حسين الحاج حسن، **حضارة العرب في عصر الجاهلية**، ط3، المؤسسة الجامعية، بيروت،1997 م، ص22.

(2)- محمد بيومي مهران، **دراسات في تاريخ العرب القديم**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1989م، ص93.

(3)- أبو العلاء محمود طه، **جغرافية شبه الجزيرة العربية**، ج1 ،القاهرة ،1956 م، ص 5-7.

(4)- السيد عبد العزيز سالم، **دراسات في تاريخ العرب قبل الاسلام**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2006 م، ص 82.انظر كذلك :لطفي عبد الوهاب يحي، **العرب في العصور القديمة**، دار النهضة العربية، الإسكندرية،1989 م،ص 89.وكذلك:

-Lutfi A. A Yehia, ***from Homer to hesiod, Alexandria***, 1971, p 3-6-7.strabo ,Geography ,translate,Lutfi A , A ,yaia ,Alexandria ,1973,xvl,4:p27

إلى ساحل مكة وساحل المدينة ثم ساحل الطور وخليج (أيلة) وخليج القلزم والنيل حتى بحر الروم الذي تقع على سواحل فينقيا والشام وسواحل دمشق وسواحل قنسرين(تركيا) وهي الناحية التي أقبل منها الفرات منعطفًا إلى أعلى أطراف الجزيرة وسواد العراق[1].

فحدود شبه الجزيرة العربية الشمالية امتداد طبيعي لمناطق الهلال الخصيب في العراق وسوريا، كما أنه لا يوجد ما يفصلها عن صحراء سيناء في الجهة الشمالية الغربية، وسيناء هي التي يتم عبرها الاتصال والتواصل برًا مع بلاد الفراعنة، وبالتالي من خلال المنطقة الشمالية لشبه الجزيرة العربية تقارب العرب مع شعوب مناطق الهلال الخصيب، كما أنّ الاتصال بالمناطق الفينيقية والفلسطينية ساعد على نمو العلاقات بين العرب وشعوب حوض البحر المتوسط، لاسيما العلاقات التجارية التي فتحت المجال فيما بعد لعلاقات أخرى واسعة بينهما[2].

لموقع شبه الجزيرة العربية وحدودها أثر بالغ في تاريخها القديم، فهي تشرف على شريط ساحلي طويل يمتد في ثلاث جهات منها، وفي كثير من مواضعه موانئ كان لها دورا عظيما في التجارة الدولية بين الشرق والغرب حيث شكل البحر الأحمر (بحر القلزم) وبحر العرب معبرين نشأت من خلالها علاقات العرب بشرق افريقيا كما أن بحر العرب ذاته والخليج العربي كان البحرين اللذين خاضتهما المراكب العربية والهندية ذهابًا وايابًا بين المنطقتين العربية والهندية لتنشأ مع هذه الحركة العلاقات التجارية والحضارية، التي ربطت بينهما منذ وقت مبكر وكان للخليج العربي كذلك دورا ملاحيًا مميزا في ارتباط سواحل العرب الشرقية والجنوبية بمركز الحضارة في إيران والعراق.[3]

[1]- الهمذاني الحسن بن أحمد بن يعقوب، **صفة جزيرة العرب**، تح، محمد بن علي الأكوع الحوالي، ط1، مكتبة الإرشاد، صنعاء،1990 م، ص 84.

[2]- هشام عبد العزيز ناشر، **التجارة بين شبه الجزيرة العربية وسورية في الألف الأول قبل الميلاد**، رسالة ماجستير في التاريخ القديم، جامعة عدن، 2003 م، ص14.

[3]- نفس المرجع، ص 14.

يعتبر موقع شبه الجزيرة العربية همزه وصل بين بين ثلاث قارات هي آسيا، إفريقيا وأوروبا وبهذا فهي تتوسط قلب العالم القديم[1]،وكان لذلك أثره في الحياه الإقتصادية والسياسية والثقافية في شبه الجزيرة العربية[2].

2. الأقسام الجغرافية والحالة الطبيعية لشبه الجزيرة العربية:

أ. **التقسيم الكلاسيكي**: قسم المؤرخون اليونان والرومان شبه الجزيرة العرب إلى ثلاثة أقسام وهذه الأقسام كالتالي:[انظر الخريطة رقم 2].

- بلاد العرب الصخرية أو الحجرية (Arabia Petraea):

تشمل الأراضي التي كان يسكن فيها الأنباط ويطلق ذلك الإسم أي العربية الصخرية على شبه جزيرة سيناء وبلاد الأنباط وعاصمتها البتراء، وقد سميت كذلك نسبة إلى طبيعة المنطقة الصخرية، وكانت حدود هذه المنطقة تتوسع وتتقلص بحسب الظروف السياسية[3].

- بلاد العرب الصحراوية (Arabia Déserta):

وهي البادية التي تقع بين العراق وسوريا أما حدودها الشمالية الغربية غير محدودة تحديدًا دقيقًا[4].

- بلاد العرب السعيدة (Arabia Felix):

فهي أكبر الأقسام الثلاث رقعة، والمقصود بها بلاد اليمن أو الأراضي الخضراء[5]،وليست لها حدود شمالية ثابتة لأنها كانت تتبدل وتتغير على حسب الأوضاع السياسية وعلى رأي معظم الكتاب اليونان والرومان فإنّ حدودها تبدأ من مدينة (هيروبوليس) (Heropolis)

---

(1)- أبو العلاء محمود طه، المرجع السابق، ج1، ص 11.

(2)- عبد العزيز الدوري،**مقدمة في تاريخ صدر الإسلام، مركز دراسات الوحدة العربية**، د.د.ن، بيروت، 2005 م، ص37.

(3)- جواد علي،المرجع السابق ،ج1،ص 166. وكذلك:

- Stabo, ***the geography of Strabo***, tans by h l Jones, vol 8, London, 1949, Vol1, p 39.
- Ptol M. E C, ***the geographiy of ptolèmèe***, trans by J, Angeles, NY, 1989, vol 1, p 17-36.

(4)- جواد علي، المرجع السابق، ج1،ص 164.

(5)- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 83 .وكذلك:

- B, Thomas, ***Arabia, Felix, N Y***, 1932, p 5.

على مقربة من مدينة السويس الحالية، ثم تسير بمحاذاة الحدود العربية الحجرية الجنوبية وتمتد حتى تصل بمصب شط العرب في الخليج العربي[1].

ب. التقسيم العربي الإسلامي: فقد قسم مؤرخو العرب وجغرافييهم شبه الجزيرة العربية إلى خمسة أقسام وهي: الحجاز، تهامة، اليمن، العروض، ونجد[2]، ويرجح الرواة أقدم رواياتهم في هذا التقسيم إلى عبد الله بن العباس[3].[انظر الخريطة رقم 3]

– الحجاز:

سمي الحجاز حجازًا لأنه يفصل ما بين نجد وتهامة، فجبل السراة المعروف بجبل الحجاز حجز بين الغور وتهامة وهو هابط وبين نجد وهو ظاهر وأهم مدن الحجاز مكة والمدينة[4].

وتتخلل الحجاز أودية عديدة منها وادي أضم الذي ورد ذكره في أشعار الجاهلية وفي أخبار سرايا الرسول صلى الله عليه وسلم، ووادي نخال ووادي القرى وهو وادي هام يقع بين العلا والمدينة ويمر به طريق القوافل القديم الذي كان شريانًا من شرايين الحركة التجارية في العالم القديم[5].

– تهامة:

يطلق هذا الاسم على الأرض الممتدة من غرب جبال السراة إلى ساحل البحر الأحمر وسميت بهذا الاسم من التّهم وهو شدّة الحرّ وركود الريح[6]،ولانخفاض أرض تهامة قيل لها الغور والسافلة، وقد وردت لفظة تهامة في النصوص العربية الجنوبية على شكل (تهمت) أو (تهمتم) ويظهر أن لهذه اللفظة علاقة بكلمه (tiamtu) التي تعني البحر في البابلية وكلمة (تيهوم) (Tehom) العبرية ،بينما يرجح "جواد علي" أن الكلمة ترجع إلى أصل سامي

(1)– جواد علي، المرجع السابق، ج1، ص 164.
(2)– الهمذاني، (صفة....) ، المصدر السابق، ص 85.
(3)– جواد علي، المرجع السابق، ج1، ص 167.
(4)– الحموي ياقوت،**معجم البلدان**، مج1، دار صادر، بيروت،1977 م، مادة الحجاز، ص 219.انظر كذلك:محمد مبروك نافع،**عصر ما قبل الإسلام**، مكتبة السعادة، مصر، د.ت، ص 20.
(5)– جواد علي، المرجع السابق، ج1، ص 168.
(6)– نبيه عاقل،**تاريخ العرب القديم والعصر الجاهلي**، د.د.ن ، دمشق،1976 م، ص26.

قديم له علاقة بالمنخفضات الواقعة على البحر ومن ثم فهي شديدة الرطوبة والحرارة في الصيف، ومن هنا سميت تهامة[1].

– اليمن:

تقع في الركن الجنوبي الغربي لشبه جزيرة العرب ،يحدها من الغرب البحر الأحمر ومن الشمال الحجاز[2]، وتخترق جبال السراة اليمن من الشمال إلى الجنوب حتى البحر وتتخللها الأودية التي تنساب فيها مياه الأمطار في الموسم المطير[3].

أمّا عن سبب تسميتها باليمن فيه أراء مختلفة، فهناك من يذهب إلى أن ذلك إنّما كان نسبه إلى أول من قطنها من العرب الذي قال له والده قحطان أنت أيمن ولدي، أو لأنها تقع على يمين الكعبة، بينما يذهب فريق ثالث إلى أنّ السبب إنّما كان في طبيعة البلاد نفسها فهي بلاد اليمُن والخير والبركة، على أن رأيا رابعا يذهب إلى أنها سميت بذلك لتيامن العرب إليها، وهناك من يرجح أنها سميت باليمن من كلمة (يمنات) الواردة في نص يرجع إلى أيام الملك (شمريهرعش).[4]

وكان الكلاسيكيون يسمونها بلاد العرب السعيدة أو اليمن الخضراء لكثره مزارعها ونخيلها وأشجارها وثمارها[5].[انظر الخريطة رقم 4]

وفي خيرات اليمن يقول الكلاعي:

هي الخضراء فأسال عن رُبَاهَا ... يخــبرك اليقــين المخبـرونا
ويـمطرها المهيمن في زمـــان ... بـه كل البـــرية يظـــمؤونا

---

[1]– جواد علي، المرجع السابق،ج1، ص 170.

[2]– أحمد أمين سليم،**معالم تاريخ العرب قبل الإسلام**، د.د.ن، بيروت، د.ت، ص 6.

[3]– لطفي عبد الوهاب يحي، المرجع السابق، ص 101- 102.

[4]– أحمد أمين سليم،**جوانب من تاريخ وحضارة العرب في العصور القديمة**، دار المعرفة الجامعية، 1997 م، ص19 .

[5]– عبد المنعم الهاشمي،**تاريخ العرب العصر الجاهلي**، مج1، دار البحار، 2006 م، ص8.

وفي أجيـالها عـز عـزيــز ... يظل له الورى متقاصرينا

وأشـجـار مـنــوره وزرع ... وفـاكـهـة تروق الأكلينـا[1]

وقد ذكر القرأن الكريم على ما كانت عليه اليمن من خيرات في قوله تعالى:﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾[2].

– العروض:

تشمل اليمامة والبحرين وما ولاها[3]،وسميت عروضًا لأنها تعترض بين اليمن ونجد[4] ويغلب على أرضها الصحاري والسهول الساحلية، وفيها عدد قليل من الواحات التي نجمت عن سقوط القليل من الأمطار، أو عن طريق وجود العيون التي تبلغ نحو 40 عينًا[5]، وأهم مدنها هجر واليمامة التي كانت تعرف باسم (جـو) وعندما نزلتها قبائل طسم وجديس فسميت باليمامة نسبة إلى اليمامة بنت سهم ابن طسم[6].

– نجد:

النجد لغة: هو ما أشرف من الأرض وارتفع وجمعها نِجاد، وقسمها علماء العرب إلى قسمين: نجد العالية وهي ما ولى الحجاز وتهامة ونجد السفلى ما ولى العراق[7]، وقد جاء هذا التقسيم نتيجة تكوينها الطبيعي الذي يبدأ مرتفعًا في الغرب ثم ينحدر قليلا حتى يصل

---

(1)- منذر عبد الكريم بكر،**دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام**، جامعة بغداد،1980 م، ص 75.

(2)- سوره سبأ، أية 15.

(3)- الحموي ياقوت، المصدر السابق، مج5، ص101.

(4)- نفس المصدر، ص 112.

(5)- لطفي عبد الوهاب يحي، المرجع السابق، ص 102.وكذلك: B. Thomas, op cit, p 5-6.

(6)- الحموي ياقوت، المصدر السابق، مج5، ص 442.

(7)- نفس المصدر، ص 261- 262.

إلى منطقة العروض في الشرق ويتكون سطح الهضبة من عدد من التلال، كما يوجد بها عدد من الأودية أهمها وادي الرمة ذو الأرض الطباشيرية في الناحية الشمالية والأرض الرملية في الناحية الجنوبية[1].

من خلال التقسيمين الكلاسيكي والعربي يلاحظ أن التقسيم الأول على الرغم من اعتمادهم في تقسيمهم على طبيعة الأرض إلّا أنها تعكس الحالة السياسية التي كانت عليها البلاد في القرن الأول الميلادي، فالعربية الصحراوية كانت تابعة للسيادة الفارسية، أمّا العربية الصخرية فقد كانت خاضعة للإمبراطورية الرومانية في حين كانت العربية السعيدة مستقلة، أمّا التقسيم الثاني فكان إلى خمسة مناطق معتمدين في ذلك على الوضع الطبيعي.

ج. صحاري شبه الجزيرة العربية: تتكون أغلب أراضي شبه الجزيرة العربية من بواد وسهول تغلبت عليها الطبيعة الصحراوية، ويمكن تمييز أربعة صحاري رئيسية:

– الربع الخالي:

تشغل رمال الربع الخالي الحوض الممتد من جبال عمان شرقا إلى مرتفعات عسير وجبال اليمن غربًا، وتحده من جهة الجنوب هضبة حضرموت، ويتصل من جهة الشمال برمال الدهناء، ويبلغ طوله الربع الخالي 750 ميل تقريبا (1200 كلم تقريبا)، وعرضه حوالي 400 ميل (640 كلم تقريبا)، ويغطي مساحة تبلغ حوالي 250 ألف ميل (630ألف كلم) ويعتبر بذلك أكبر امتداد رملي في العالم[2].[انظر الخريطة رقم 5]

– صحراء النفود:

تسمى قديما بادية السماوة أو رملة عالج[3]، تمتاز بكثبانها الرملية المتموجة، يبلغ ارتفاع بعضها حوالي 150مترًا، وتمتد على مساحة واسعة فيبلغ طولها من واحة تيماء نحو الشرق

---

(1)- لطفي عبد الوهاب يحي، المرجع السابق، ص 103.وكذلك:

- Foster, ***the hystorical of geography of Arabia***, in III Vols, London 1950 vol I, p 109.

(2)- عبد الله يوسف الغنيم، **أقاليم الجزيرة العربية**, الجمعية الجغرافية الكويتية، د.د.ن، الكويت، 1981 م،ص78

(3)- الحموي ياقوت، المصدر السابق، مج 4، ص70.

حوالي 450كيلومتر، ويبلغ عرضها منواحة الجوف إلى جبل شمر (نجد) حوالي 250كلم مربع[1].

– الدهناء:

كانت تعرف قديما بمفازة "صَيْهَدُ"[2] وتشمل مساحة كبيرة من جزيرة العرب، فهي تمتد من صحراء النفود شمالا إلى حضرموت في الجنوب، ومن اليمن غربًا إلى عمان شرقا وتقدر مساحتها بخمسين ألف ميل مربع، وتخترقها تلال رملية أو كثبان تتموج مع الرياح وتنتقل معها عند الهبوب،[3] ويطلق على القسم الغربي من الدهناء الأحقاف[4].

– الحرار:

الحرّة أرض ذات حجارة سود كأنها أحرقت بالنار تكونت بفعل البراكين والحرّة عادة مستديرة الشكل وقد عدّها ياقوت الحموي 29حرّة،[5] وأهم هذه الحرات، حرّة العويرض وتقع غرب درب الحاج الممتد من تبوك الى العلا ويبلغ طولها أكثر من 100ميل وهناك كذلك حرّة واقم وحرّة ليلى وحرّة شوران وحرّة النار قرب خيبر[6].

د. المنــاخ والتضاريــس:

1.المنــاخ:

– حــرارة الجــو:

تعتبر شبه جزيرة العرب من أشد البلاد جفافا وحرًا، ويرجع ذلك لوقوعها في منطقه قريبة من خط الإستواء، ومعظم أراضيها تقع في الإقليم المداري، كما أنها بعيدة عن المحيطات الواسعة التي تخفف من درجه الحرارة، والمسطحات المائية التي تقع إلى الشرق (الخليج

[1]– جواد علي، المرجع السابق، ج 1 ، ص 152 – 153 .

[2]– الحموي ياقوت، المصدر السابق، مج 3، ص 448.

[3]– السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 87.

[4]– **الحقف**: التعوج من الرمل أو الرمل المستدير أو المستطيل، انظر: محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص 109.

[5]– الحموي ياقوت، المصدر السابق، مج 2، ص 245.

[6]– محمد بيومي مهران، المرجع السابق ،ص 108.وكذلك:

- Philby, J. B, ***the background of islam***, Alexandria, 1949, p 9

العربي)، وإلى الغرب البحر الأحمر أضيق من أن تكفي لكسر حِدّة هذا الجفاف المستمر هذا فضلا على أن رياح السموم التي تنتاب شبه الجزيرة العربية في مواسم معينه تجفف رطوبة الهواءِ قبل أن يبلغ داخل شبه جزيرة العرب[1].

ومناخ شبه الجزيرة العربية صحراوي في الشمال والوسط، مداري في السواحل الجنوبية وهو على العموم حار في الصيف مع جفاف يعم المناطق الداخلية وذلك بسبب وقوع البلاد على خطوط طول وعرض معينة ومختلفة وتكون الفروق الحرارية اليومية والفصلية كبيرة ويختلف المناخ من مكان إلى آخر بحسب الإرتفاع عن سطح البحر أو بحسب سقوط المطر في بعض الأماكن إذ يخفف من حرارة الجو[2].

وأشد المناطق حرارة في الصيف، الصحاري الداخلية كالربع الخالي والنفود، غير أن رطوبة الجو على السواحل تزيد من وطأة الحر فتجعلها لا تطاق كما هو الأمر بسواحل الخليج العربي، وسواحل تهامة على طول البحر الأحمر، وسواحل عدن وحضر موت ومسقط وأقل المناطق حرارةً في الصيف المناطق الجبلية في عمان واليمن والعسير وهضبه نجد، أما في الشتاء فقد تنخفض الحرارة إلى الصفر في بعض هذه الجهات[3].

غير أنّ الشيء الذي يسبب الضيق هو كثره تقلب الرياح وتغير سرعتها من آن لآخر فجأةً وقد تصل أحيانًا إلى سرعة 18-33كلم/سا فيمتلئ الجو بالغبار الكثيف وقد يدوم ذلك يومين أو ثلاث وبشكل عواصف شديدة وأعاصير فيُغْبَرَ الأفق وتَكفَهِرُ السماء وتحجب الشمس ويكتسب الجو لونا قاتمًا يميل أحيانا إلى السفرة أو الحمرة بسبب لون الرمال التي تحملها الرياح، ويؤثر ذلك على النباتات تأثيرًا سيئًا مما يؤدي إلى تلفه وبينما تكون الرياح الشمالية والشرقية منعشه تكون رياح الجنوب شديدة الوطأة تلهب الوجوه كاللهب الكاوي[4].

---

[1]- محمد بيومي مهران، المرجع السابق ، ص 120.وكذلك:
- Philby, op cit, p 9

[2]- توفيق برو، **تاريخ العرب القديم**، ط2، دار الفكر، دمشق، 1996 م، ص33.

[3]- نفس المرجع.

[4]- نفس المرجع، ص 33- 34.

– الأمــطار:

تعد شبه الجزيرة العربية قليلة الأمطار بوجه عام لاسيما المناطق الداخلية، ولعل أكثر المناطق نصيبًا من الأمطار هي النفود الشمالي وجبل شمر، إذ تنزل بها الأمطار في الشتاء فتنبت أعشاب الربيع، وأما الصحاري الجنوبية فلا يصيبها المطر إلا رذاذا، وأما الساحل الغربي حيث معظم الأرض حرّة، فإن المطر ينهمر هناك مدرارا فتسيل السيول، ثم تبدو الأرض وكأن لم يصبها شيء، حيث لا يتسرب من هذه السيول شيء كثير إلى باطن الأرض(1).

وقد تهطل الأمطار بغزارة على بعض المناطق كالعقيق في المدينة، وبعض البقاع حول مكة وكذا خيبر، ولكنّ هطولها لا يستمر إلّا مدّة قصيرة قد لا تتجاوز بضع ساعات فتنعش بعض الأماكن الصحراوية، وينتج عنها نمو الكلأ لمدة وجيزة ثم ينعدم هطولها مدة طويلة فتصبح المواشي مهددة بالهلاك من قله المراعي، وينعدم النشاط الزراعي والبشري، الأمر الذي جعل حياة العرب في ديارهم غير مستقرة، دائمة التنقل من مكان إلى آخر بحثًا عن الماء والكلأ، وكثيرا ما ينشأ النزاع والقتال بين القبائل التي تتنافس في الحصول عليها(2).

أمّا حياة الزراعة والإستقرار فلا تقوم إلا في الواحات التي تتوفر فيها المياه الجوفية القريبة من سطح الأرض والينابيع والآبار، وهي على العموم قليلة في هذه المساحات الشاسعة(3).

وعمومًا فإنّ مناخ شبه الجزيرة العربية متفاوت جدًا، لكن الغالب عليه أنه قاري صحراوي يميل إلى الجفاف كما تميل الحرارة فيه إلى الإشتداد(4).

2. التضـاريــس:

أ. **الجبــال:** نجد في حدود هذا الإطار، أن العمود الفقري لشبه الجزيرة العربية هو سلسلة من الجبال تمتد من جنوب بلاد الشام في الشمال إلى اليمن في الجنوب، موازية لساحل البحر الأحمر وقريبة منه(5)، وبعض قمم هذه السلسلة مرتفعة، وقد تتساقط الثلوج

(1)– محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص121.

(2)– توفيق برو، المرجع السابق، ص 34.

(3)– نفس المرجع.

(4)– عمر فروخ،**تاريخ الجاهلية**، ، دار العلم للملايين، بيروت،1964 م، ص 31.

(5)– لطفي عبد الوهاب يحي، المرجع السابق، ص92 .

عليها كجبل دباغ الذي يرتفع إلى 2200متر عن سطح البحر وجبل شيبان، وتنخفض هذه السلسلة عند دنوها من مكة، ثم تعود بعد ذلك في الإرتفاع حيث تصل إلى مستوى عالٍ في اليمن حيث تتساقط الثلوج على قمم بعض الجبال[1].

وتمتد في محاذاة السواحل الجنوبية سلاسل جبلية تتفرع من جبال اليمن، ثم تتجه نحو الشرق إلى أرض عمان ،حيث ترتفع قمم الجبل الأخضر ارتفاعا يتراوح من 9000 قدم إلى 10000 قدم، وتتخلل هذه السلاسل الجنوبية أوديه تمثل اتجاه مسايل الأمطار إلى البحر[2] فتصل بين البحر والسلاسل الجبلية سهول ساحلية ضيقة في الغالب، ربما لا تتجاوز 15 ميلًا وتكون هذه السواحل حاره رطبه في الغالب وتكون مانعًا للأبخرة المتصاعدة من البحر الأحمر والبحر العربي، وبالتالي سقوط الأمطار في أواسط شبه الجزيرة العربية، وفيما وراء السفوح الشرقية للسراة، والسفوح الشمالية للسلاسل الجبلية الجنوبية، لذلك كثرت الأودية القصيرة التي تسيل فيها المياه في هذه المناطق وزادت فيها امكانيات الخصب والزراعة في البقاع الواقعة وراء السراة حتى الخليج[3].

وفي نَجْدْ هضبة تتكون من سلسلتين يقال لهما (أجا وسلمى)، ويمتدان من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي ،وأمّا جبل طويق فهو مرتفعات تقع في الوسط الشرقي من نجد وفي جنوب شرقي الرياض[4]، وتشتهر مكة بمجموعة من الجبال أشهرها جبل (أبي قيس) في جنوبها ،وجبل قينقاع في غربها، وجبل حراء من الشرق، وجبل ثور من الجنوب[5].

ب. الأوديـة: رغم أنّ شبه جزيرة العرب من المناطق الصحراوية التي يغلب عليها الطابع الجاف إلّا أنّها تمتلك ثروة مائية هائلة ومن مصادر هذه الثروة الأودية التي توجد بكثرة في شبه الجزيرة العربية لعل أهمها ما يلي:

---

(1)- جواد علي، المرجع السابق، ج 1، ص156.

(2)- نفس المرجع، ص156.

(3)- نفس المرجع، ص 157.

(4)- محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص 112.

(5)- نفس المرجع.

- **وادي الرمــة:**

يعتبر من أعظم أودية شبه الجزيرة العربية، وله منبعان ينبع الأول عند حرّة خيبر، والثاني عند مرتفعات نجد الجنوبية، ثم يلتقيان عند عنيزة ليشكلا مجرى موحد يسير باتجاه الشمال الشرقي حتى القصيم، حيث يطلق عليه اسم الباطن لينتهي بعد ذلك في شط العرب قرب البصرة[1].

- **وادي الحمـض أو وادي إضــم:**

يبدأ من جنوب حرّة خيبر الواقعة إلى الشمال من المدينة المنورة، ويتجه نحو الجنوب الغربي، وعندما يصل إلى القرب من يثرب تتصل به أودية فرعية أخرى، منها وادي العقيق ووادي القرى، ويستمد مياهه من السيول التي تنحدر إليه من الجبال حيث يصب في البحر الأحمر ويبلغ طوله حوالي 900كلم[2].

- **وادي حنيفــة:**

يبدأ من غرب جبل طويق ،ثم يتجه نحو الشرق نحو الخليج العربي، وعند هطول الأمطار فإنّ المياه تجري إليه من السفوح فتسيل فيه[3].

- **وادي السرحــان:**

يمتد من عمان عاصمة المملكة الأردنية الهاشمية حتى قرب "الجوف" جنوبًا على الأطراف الشمالية للنفوذ الكبير ويبلغ طوله حوالي 300 ميل ويصل اتساعه في بعض المناطق إلى عشرة أميال[4].

- **وادي الدواســر:**

هو واد كبير يتجه شرقا عبر وديان جبل طويق، وتنتهي مياهه شرقا عند أطراف الربع الخالي عند نقطه تبعد 50ميلًا من جنوب شرق السليل وأهم الوديان المتصلة به من الجنوب

---

(1)- محمد مبروك نافع، المرجع السابق، ص 24- 25 .

(2)- عبدو عون الروضان،**موسوعة تاريخ العرب**، ج1 ، ط1 ، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن،2004 م، ص 27 - 28.

(3)- جواد علي، المرجع السابق، ج7، ص 162.

(4)- نفس المرجع، ج7، ص 117.

نجد، وادي تمرة، ووادي ريان، ووادي الحسي، ووادي الحنو، ومن الشمال وادي المجامع ووادي بني ليب[1].

– وادي بيشـــة:

الذي يجري في عسير من الشرق إلى الغرب حتى ينتهي في البحر الأحمر[2].

– وادي نجـــران:

هو أحد الأودية الكبيرة في شبه الجزيرة العربية، بل هو في الواقع مجموعة أودية كبيرة منها وادي حرض، وادي مور، وادي سردد، وادي سهام، وادي رماع، وادي زبيد، ووادي نخلة[3].

وقد أقيمت على بعض الأودية السدود لتخزين مياه الأمطار والإستفادة منها أيام الجفاف في ري الحقول والبساتين والمزروعات، مثل وادي أذنة والذي أقيم عليه سد مأرب[4]، وسد قتبان الذي أقيم في وادي بيجان عند هجر بني حميد وكان يسقي منطقة واسعه من دولة قتبان[5].

3. نباتـات وحيوانـات شبــه الجزيـرة العربيــة:

أ. النباتـات: ليس من شك في أنّ الماء هو العنصر الفعال في نمو النباتات، لكن الجفاف الذي سيطر على معظم أقاليم شبه الجزيرة، إلى جانب ملوحة أجزاء كبيرة من أرض شبه الجزيرة يحولاني دون نمو النباتات وازدهارها، إلا أنّها عرفت أنواعًا مختلفة من النباتات توزعت على مناطق مختلفة من شبه الجزيرة العربية، تبعًا لمقدار خصوبة الأرض أو نوع تربتها وتبعًا لحظها من الرطوبة أو الحرارة، كما أنّ عددًا منها لم يكن أصيلًا في المنطقة إنّما دخل إليها من بلدان أخرى[6].

---

(1)- محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص 116.

(2)- نفس المرجع، ص 117.

(3)- عبدو عون الروضان، المرجع السابق، ص28.

(4)- محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص 117- 118.

(5)- علي محمد معطي، **تاريخ العرب الإقتصادي قبل الإسلام**، ط1، دار المنهل اللبناني، بيروت، 2003 م، ص 20.

(6)- نبيه عاقل، المرجع السابق، ص 22.انظر كذلك: لطفي عبد الوهاب يحي، المرجع السابق، ص 108.

تعد النخلة من أهم نباتات شبه الجزيرة العربية وأكثرها انتشارًا، ويعد التمر مع الحليب الغذاء الرئيسي لسكان شبه الجزيرة العربية، ومن التمر يستخرجون خمرًا وشرابًا وبعض أجزائها يتخذونه دواء يتطيبون به، ويصنع من بذورها بعد دقها علفًا للإبل ومن هنا اكتسبت شجرة النخيل أهمية خاصة عند سكان شبه الجزيرة، ومن مظاهر هذه الأهمية أيضا فقد زخرفت معابدهم بصورها واستعمال سحفها الأخضر في استقبال الملوك وكبار الضيوف[1].

ولعل الفوائد الجمّة لهذه الشجرة[2]، دفعت بعض الأعراب من أهل نجران إلى تقديسها[3] وعن وجودّة تمر نجران يذكر" الهمذاني" قال لي أبي: دخلت الكوفة وبغداد والبصرة وعمان ومصر ومكة وأكثر بلاد النخل وطعنت التمران ما رأيت مثل مدبس نجران جودّه وعظم تمره خاصة تملأ الكف التمرة[4].

والنخيل ثروة ورأس مال تدر على صاحبه ربحًا وافرا، ومن كان له نخل وافرا كان غنيا ثريا، فالنخلة هي سيدة المزروعات في الجزيرة العربية بل تكاد تكون النبات المنفرد بالزرع في أكثر الأمكنة[5].

وظهرت الأعناب بشكل واسع في زخارف سكان شبه الجزيرة العربية وبخاصة في بلاد اليمن، حيث أغصان العنب وعناقيده محفورة على الآثار اليمنية سواء على الأحجار أو الخشب[6]، والعنب أنواع عدة ومنه الملاحي، والدوالي، والأشهب، والدّريج، والنواسي والزيادي، والأطراف، والعيون، والقوارير، والنشاني، والنابكي، والرازقي، والضروع[7].

[1]- جواد علي، المرجع السابق، ج 7، ص 67 – 82 .انظر كذلك: لطفي عبد الوهاب يحي، المرجع السابق، ص 109.

[2]- يقال أن للنخيل نحو 360 فائدة ، جواد علي، المرجع السابق، ج7،ص 69.

[3]- الحموي ياقوت، المصدر السابق، مج 5 ، ص 266.انظر كذلك: لطفي عبد الوهاب يحي، المرجع السابق، ص 109.

[4]- الهمذاني، المصدر السابق، ص 319.

[5]- جواد علي، المرجع السابق، ج7، ص 68.

[6]- محمد سهيل طقوس، المرجع السابق، ص 49 .

[7]- الهمذاني، المصدر السابق ص 314. يقال أن اليمن ينتج ما يزيد عن 22 نوعا من العنب. انظر: الهمذاني الحسن بن أحمد بن يعقوب، **الإكليل**، تح، محمد بن علي الحسن الأكوع ،ج8، مكتبة الكاتب العربي، دمشق، 1979م، ص 119.

وقد تم ذكر أشجار النخيل في آيات كثيرة من القرآن الكريم لتحتل مع الأعناب المكانة الأولى بين الأشجار والنباتات التي ذكرها، ومن هذه الآيات قوله تعالى:﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ﴾[1]،ومن الأشجار المثمرة أيضا الإجاص والمشمش والتفاح والخوخ والجوز واللوز[2].

ومن الأشجار التي كانت على جانب كبير من الأهمية في بعض أجزاء شبه الجزيرة العربية أشجار البخور واللبان، التي كانت تنمو على الساحل الجنوبي لشبه الجزيرة، وكان إحراق الطيوب يشكل قسمًا أساسيًا من الطقوس أو الشعائر الدينية، ليس فقط على صعيد المناسبات الرسمية وإنما على صعيد الحياة اليومية، في حين كان اللبان يستخدم في كثير من الأغراض الطبية، كما كانت هذه الأشجار هي السلعة الأساسية التي تحملها القوافل التجارية من جنوبي شبه الجزيرة العربية لتجد طريقها إلى أسواق مصر والشام، ثم بوجه خاص إلى بلاد اليونان والرومان، الذين كانوا يستخدمون كميات هائلة من الطيوب واللبان للأغراض الدينية والطبية، ولأغراض الزينة التي تقوم مقامها الآن الروائح العطرية[3].

والسدر من الأشجار المعروفة في جزيرة العرب، حيث ترتفع شجرته أمتارًا عن سطح الأرض، وتكون ظلًا يقي من لهيب الشمس ووهجها المحرق وهو لا يحتاج إلى سقي دائم، لأنّ جذوره تمتد عميقه في باطن الأرض، وسمي ثمره النبق، أما ورقه فيستعمل في تنظيف الجسم[4].

ومن الأشجار والنباتات التي كانت تنمو في شبه الجزيرة العربية أيضا:

- **أشجار المر**: كانت تنمو في مرتفعات ظفار وحضرموت وعمان، واستعمل كبخور أيضا.

---

(1)- سورة يس، أية 34، سورة البقرة، أية 266، وسورة النحل، الآية 67، وسورة مريم، الآية 25، وسورة الأنعام، الآية 99، وسورة المؤمنون، أية 19، وسورة الرحمن، الآية 11.

(2)- الهمذاني،(صفة...)،المصدر السابق، ص 314.

(3)- لطفي عبد الوهاب يحي، المرجع السابق، ص 57 .

(4)- جواد علي، المرجع السابق، ج 1، ص207. يقصد بتنظيف الجسم ليس من الأوساخ وإنما من الأمراض والسموم.

– **أشجار القنة واللادن:** تنمو في جنوب شبه الجزيرة العربية في مرتفعات ظفار وحضرموت وعمان، وتنتج مواد صمغيه زكية الرائحة تستعمل في البخور[1].

– **شجرة العرعر**: أوراقه دائمة الخضرة، وله ثمر صغير كالحمص ولكن لا يستفاد منه وإنما يستفاد من جذوعه كأخشاب، وينتشر بكثرة فوق الجبال وخاصة جبال السراة[2].

وقد دخلت أشجار الكرمة إلى الجزيرة العربية في حوالي القرن الرابع ميلادي وأشهر مناطق الكرمة، الطائف ويستخرج منها الشراب المعروف بنبيذ الزبيب[3].

وفي مجال الحبوب يحتل القمح المرتبة الأولى بينها، وهو غذاء الطبقة المترفة والموسرة وذلك لغلاء ثمنه بالنسبة إلى الفقراء، وزراعته تستمر طول العام فهو يزرع شتاءً في الأقسام الشمالية والوسطى من شبه الجزيرة العربية ويزرع صيفا في الأقسام الجنوبية منها وذلك حسب اختلاف تساقط الأمطار[4].

ويأتي الشعير في المرتبة الثانية لقائمة الحبوب، وقد عرف في شبه الجزيرة العربية منذ زمن قديم وتحديدًا منذ الألف الأولى قبل الميلاد في جنوب شبه الجزيرة العربية، ومنه كان خبز أكثر السكان، ويقدم القش والحب علفًا للحيوانات، وقد اشتهرت يثرب بزراعته وكذلك الطائف ومن الحبوب التي عرفها العرب الذرة والحمص والعدس[5].

وقد كان للبقول والخضار بأنواعها المتعددة مكانتها، فكانوا يطلقون على البقول اسم "ورق" وتسمى أحيانا "قشم" حيث انتشرت زراعتها في جنوب غرب شبه الجزيرة العربية أما أهم أنواع الخضروات التي زرعها سكان الجزيرة العربية في مناطق كثيرة، فكانت الخيار والبصل والثوم والكراث وغيرها[6].

---

[1]– جمال سليمان علي عامر، **الحرف والصناعات اليدوية في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام**، رسالة ماجستير في حضارات الشرق الأدنى القديم، جامعة الزقازيق، د.ت، ص 81 .

[2]– محمود شاكر، شبه جزيرة العرب، عسير، المكتب الإسلامي، دمشق، د.ت، ص 38.

[3]– نبيه عاقل، المرجع السابق، ص 23.

[4]– جواد علي، المرجع السابق،ج7، ص57 . علي محمد معطي، المرجع السابق، ص 114.

[5]– لطفي عبد الوهاب يحي، الموجع السابق، ص 303 . أحمد رحيم هبو، **تاريخ العرب قبل الإسلام**، منشورات جامعة حلب، كلية الآداب، 1979-1980 م، ص 296.

[6]– اسمهان سعيد الجرو، **النهضة الزراعية في اليمن القديم**، مجلة سبأ، العدد السابع، جامعة عدن، 1998م، ص 30.

ب. الحيوانـات: يعتبر الحيوان ثروة مهمة وخاصة في شبه الجزيرة العربية، والتي تكون مواردها الطبيعية محدودة فتعوض عن الصناعة بتربية الحيوان وبالزراعة إن توفر الماء[1].

عرف العرب أنواعًا متعددة من الحيوانات، وكان للإبل طبيعته الخاصة فهو الحيوان الأليف الوحيد الذي استطاع بعناده وصلابته السير فوق رمال الصحراء[2]، إذ هو الحيوان الوحيد المؤهل لنقل الأحمال الثقيلة لمسافات بعيدة بحكم خفّه الذي يساعده على السير في الرمال بحمولته الثقيلة دون أن يغوص فيها، وبحكم قوته واحتماله وصبره الشديدين فهو يستطيع أن يحمل أربعة أطنان ويقطع بها 60 ميلًا في اليوم كما يستطيع أن يسافر 20يومًا بدون ماء في درجات حرارة مرتفعة[3]، قال تعالى: ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[4].

وقد اقترن الجمل باسم العرب، منذ بدأ العرب التجارة بين الشعوب المجاورة لهم فالجمل هو رمز الحياة التي لا يستطيع العرب أن يتصوروها بدونه في الصحراء[5]، والجمل نوعان:

النوع الأول: الهجان أو الهجائن وتستخدم للركوب والسفر[6].

النوع الثاني: البعران جمع بعير وهي الإبل التي تستخدم في حمل الأثقال[7].

فالجمل هو صديق البدوي الملازم له[8] وحاضنته التي ترضعه، فيشرب لبنه بدل الماء ويجعل طعامه من لحمه ولباسه من جلده، وبذلك يعد ثروة العربي وأداة انتقاله وفوق ذلك وحدّة القياس لمهر العروس، ودية القتيل، وكل ذلك يقدر بعدد معين من الجمال[9].

---

(1)- جواد علي، المرجع السابق، ج 7، ص 111.
(2)- محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص 127.
(3)- لطفي عبد الوهاب يحي، الموجع السابق، ص 113.
(4)- سورة النحل، الآية 7 .
(5)- لطفي عبد الوهاب يحي، المرجع السابق، ص 112 .
(6)- محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص 128.
(7)- نفس المرجع، ص128
(8)- فيليب حتي،**تاريخ العرب مطول**، ج1، د.د.ن، بيروت، د.ت، ص 33 .
(9)- محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص 128.

أمّا الخيل، فبالرغم من اشتهار بلاد العرب بجمال خيلها وبتربيتها لأحسن الخيول وبتصديرها لها فإنها من الحيوانات الواردة إليها وغير الأصيلة فيها (العراق، الشام، مصر) ويعود وجودها في شبه الجزيرة العربية إلى ما قبل الميلاد بكثير، لاستعمالها في الحروب[1] فكانت القبيلة قوية بقدر ما تملك من خيل وفرسان شجعان، لم يكن استعمالها في الحروب فقط وإنّما كان يستفاد منها في الصيد أيما فائدة، وكانت تمثل جانبًا من جوانب حياة العربي فكانت تقام حلبات السباق، وتعقد الرهانات على المتسابقين، ويعرض الفرسان فنونهم الفروسية أمام أبناء القبيلة أو القبائل المتنافسة[2].

أمّا البغال فإنها من الحيوانات المعروفة بتحملها للمشقات وقدرتها على السير في المناطق الوعرة، مثل الهضاب والأراضي المتموجة والجبال، وقد استعملت في الحمل والركوب، وهي بذلك تؤدي خدمات في المنطقة التي يتعسر على الجمل القيام بها، كما انها لا تستطيع العمل في البوادي ذات الرمال، ضف إلى ذلك أنها لا تستطيع صبر الجمل على تحمل الجوع والعطش أياما متوالية عديدة[3] قال تعالى:﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[4].

ويذكر "جواد علي" أن بعض الباحثين تمكنوا من معرفة أن الحمير في جزيرة العرب هي أقدم عهدًا من الجمل ومن الخيل ومن البغال، إذ كان واسطة الركوب والنقل في أوائل الألف الثانية قبل الميلاد فلما حلّ الجمل محله خفف من واجباته وأعماله وصار عند العرب في منزلة هي دون منزلة الجمل بكثير[5].

والبقر من الحيوانات القديمة في شبه الجزيرة العربية، وهي من الحيوانات الملازمة لأهل الحضر في الغالب ولاسيما أهل الريف، وكان يستفاد من ألبانها ولحومها وجلودها، كما يستفاد منها في حرث الأرض وفي سحب الماء من الآبار وجر العربات[6].

---

(1)- محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص 128.

(2)- أحمد رحيم هبو، المرجع السابق، ص 65 - 66.

(3)- جواد علي، المرجع السابق، ج 7، ص 202.

(4)- سورة النحل، أية 8.

(5)- جواد علي، المرجع السابق، ج 7، ص 202.

(6)- أحمد أمين سليم، (معالم...) ،المرجع السابق، ص 17 - 18.

أمّا الأغنام والماعز فقد كان يستفاد من لحومها وألبانها وأصوافها، ولحاجتها إلى الماء والعشب بصورة دائمة، فقد كان يرعى بها في أماكن توفرهما، وتربى بصورة خاصة في الأراضي الجبلية المتموجة حيث يتسلق الماعز المرتفعات فيأكل ما يجد أمامه من شجر وحشائش[1].

وكانت تعيش في شبه الجزيرة العربية أنواع أخرى متعددة من الحيوانات كالأسد، والضبع والذئب، والفهد، والثعلب، والنمر، والضب، وغيرها من الحيوانات المفترسة، كما عرفوا القردة والطيور، كالهدهد، والعندليب، والحمام[2].

كان لحيوانات شبه الجزيرة العربية أهمية كبيرة في حياة السكان ونظرًا لطبيعة المنطقة الصحراوية كان الجمل هو رمز الحياة في شبه الجزيرة العربية.

II. السكــان:

1. أصــل ومدلـول كلمــة عــرب:

اختلف العلماء في تفسير معنى كلمة (عرب) ومصدر اشتقاقها وفي ذلك يقول "جواد علي": ولايزال علماء العربية حيارى في تعيين أول من نطق بالعربية، فبينما يذهبون إلى أن "يعرب" كان أول من أعرب في لسانه وتكلم بهذا اللسان العربي، ثم يقولون: ولذلك عُرِفَ هذا اللسان باللسان العربي، ثم تراهم يجعلون العربية لسان أهل الجنة ولسان آدم، أي أنهم يرجعون عهده إلى بدء الخليقة، وقد كانت الخليقة قبل خلق (يعرب) بالطبع بزمن طويلثم تراهم يقولون: أول من تكلم بالعربية ونسي لسان أبيه إسماعيل، ألهم إسماعيل هذا اللسان العربي إلهامًا وكان أول من فتق لسانه بالعربية المبينة وهو ابن أربع عشر سنة، وإسماعيل هو جد العرب المستعربة على حد قولهم[3].

---

(1)- جواد علي، المرجع السابق، ج 7، ص 116.

(2)- ديزيره سقال، **العرب في العصر الجاهلي**، ط1 ، دار الصداقة العربية، بيروت، 1995 م،ص 15.

(3)- جواد علي، المرجع السابق، ج 7، ص 14.

أمّا أصل كلمة (عرب) غير معروف بالتحديد رغم التفاسير المختلفة التي يقدمها علماء اللغة والفيلولوجيون[*] (philologisas)، ويقول بعضهم أن الكلمة مشتقة من أصل سامي معناه (الغرب) ،وأن سكان بلاد ما بين النهرين كانوا أول من أطلقها على الأقوام التي تسكن غربي منطقه وادي الفرات[1].

أن كلمة (عرب) في رأي فريق من العلماء ذات صله بكلمة (Arabha)، (عرابا) العبرية التي تعني (الأرض المظلمة) أو السهوب أو بكلمة (Erebh) (عيريب) العبرية أيضا التي تدل على حياة (الفوضى) أو غير (المنظمة)، أو من كلمة (Abhar) (عابر) وتعني بالعبرية(تحرك) أو (عبر)[2].

أما المستشرقون والعلماء المحدثون، فقد تتبعوا تاريخ الكلمة وتتبعوا معناها في الكتابات الأشورية، ووجدوا أن أقدم نص وردت فيه لفظة عرب يعود إلى القرن التاسع، وذلك في نقش خاصب الملك الأشوري (شلمنصر الثالث 858-823 ق م)،حيث يؤرخ النقش لمعركة انتصر فيها هذا الملك في حربه ضد ملك دمشق الأرامي وحلفائه، ومنهم "جندب" ملك العرب أو ملك "العربي" كما يرد في النقش، ويعود تاريخ المعركة إلى عام 854ق.م، وقعت في منطقة "قرقر"[3].

وظهرت بعد ذلك إشارات إلى العرب في نقوش الملوك الآشوريين:

- تجلات بلاسر الثالث: 745- 727ق.م.
- سرجون الثاني: 722- 705ق.م.
- سنحريب: 705- 681ق.م.

(*)- **الفيولوجية**: اصطلاح يتكون من معنيين.،قديم ويعني دراسة النصوص القديمة،وحديث ويعني علم اللغة،وعند الغرب فقه اللغة يعنيphilologie، وهي كلمة مركبة من لفظتين افريقيا،philos،وتعني الصديق، والثانية وهي logos وتعني الخطبة أو الكلام،وكان واضح المصطلح،يعني أن فقه اللغة يقوم على حب الكلام والتعمق في دراسته من حيث قواعده وأصوله وتاريخه، ويعني لدى الغربيين دراسة النصوص القديمة، من حيث القواعد والمعاني، والمفردات، وما يتصل بها من شروحات، ونقد...، للمزيد انظر:أحمد السعيدي، **الفيولوجية من فقه اللغة إلى تحقبق التراث**، مجلة الفيصل، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات،العهدين 501-502-2018/4/9، ص220.

(1)- نبيه عاقل، المرجع السابق، ص 41.

(2)- نفس المرجع، ص 42.

(3)- جواد علي، المرجع السابق،ج1، ص 574 .انظر كذلك: خالد بشير، **متى ظهر مسمى العرب؟،وعلى من أطلق؟**،حفريات عراقية،2020 م، ص40.

- ولد سنحريب إسرحدون: 680- 669ق.م.

وكلها نقوش تدل على الحملات التي قام بها هؤلاء الملوك على بلاد العرب وتلقيهم الجزية والهدايا من بعض ملكات العرب ومنهن الملكة (زبيبة) والملكة (شمسي)، و(تاربو) أو(تبؤة)[1].

وفي القرن السادس عشر قبل الميلاد ظهرت كلمة (عرب) أو (عرابه) (Arabaya) في النصوص الفارسة، في عهد الملك (دار الأول) (522-486ق.م) المعروف باسم (نقش بهستون)، ظهرت بمعنى البادية الفاصلة بين بلاد الرافدين ومصر بما فيها جزيرة سنياء[2].

ثمّ تردد ذكر العرب في النقوش الآشورية والبابلية بأشكال مختلفة فقد ورد بشكل (Aribi) و(Arubu) كما وردت بصيغة (Aribu) و(Arub) و(Arabi) و(Urbi) و(Arbi) وهذا لما كانت الكتابة الآشورية لا تحرك المقاطع، مِما صعب على العلماء ضبط الكلمة فاختلفوا في كيفية النطق بها[3].

ووردت في الكتابات البابلية جملة (ماتورابي) ومعنى (ماتو) أو (متو) (أرض العرب أو (بلاد العرب) أو (بلاد الأعراب) ويقصد بها البادية الواقعة غرب نهر الفرات الممتد إلى بلاد الشام[4].

ويذكر "ابن خلدون" قوم ثمود وعاد، ما يوحي بذلك وهو يتكلم عن العرب القدماء يقول: "أنهم انتقلوا إلى جزيرة العرب من بابل لما زاحمهم فيها بنو حام فسكنوا جزيرة العرب بادية مخيمين، ثم كان لكل فرقة منهم ملوك وقصور..." ويقول: فعاد وثمود والعماليق وأميم وجاسم وعبيل وجديس وطسم هم العرب[5].

---

(1)- محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص 143 – 144

(2)- إيناس محروس،**أصل اللغة ولهجاتها**، وهل اللهجات العامية لغات، دمشق،2020 م،ص 203.وكذلك:
- Louis,j,***History of Arabic language***, Werbling, 2019, p 25.

(3)- جواد علي، المرجع السابق،ج1، ص 16 .

(4)- نفس المرجع، ص 17- 18 .

(5)- ابن خلدون عبد الرحمن،**تاريخ ابن خلدون**، ج2 ، دار الفكر، بيروت، 2000 م، ص 21 .

وذكر بعضهم أن لفظة (عرب) مشتقة من فعل (يعرب) بمعنى يُفصِح في الحديث ومن ثم فقد أصبحت تدل على العرب لفصاحتهم في اللسان[1]، غير أن البعض يرى أن كلمة (عرب) نسبة إلى بلدهم (العربات)، وعربة هي مكة ودار أبي الفصاحة إسماعيل ابن إبراهيم وقال الكتاب: "وأقامت قريش بعربة فتنحت بها وانتشر سائر العرب في جزيرتها فنسبوا كلهم إلى عربة" لأن أباهم إسماعيل بن إبراهيم نشأ وربى أولاده فيها فكثروا، فلما لم تحتملهم البلاد انتشروا وأقامت قريش بها"[2].

ويرى بعض الباحثين المحدثين أن كلمة (عرب) مشتقة من الكلمات العبرية التالية:

– **أرابـا**: وتعني الأرض الداكنة، أي المغطاة بالكلأ، ويشير هذا المعنى إلى حالة اجتماعية قائمة على التنقل والترحال وراء موارد العشب، وكلمة (إرب) معناها الحرية وعدم الخضوع لنظام ما، أما (عابار) بمعنى التنقل من مكان إلى آخر، وقد ارتبط هذا المعنى بالبداوة من حيث أن العرب أنفسهم استعملوا هذه اللفظة ليميزوا البدو من سكان المدن والقرى الناطقين بالعربية، وأما (عرابة) بمعنى الجفاف والصحراء، ومعناها تسميه وادي العربة الممتد من البحر الميت إلى خليج العقبة[3].

واستخدمت بعض النصوص المصرية القديمة لفظ (أربايا) تحريفا فيما يبدو عن(عربية) أو(العربية)للدلالة على المنطقة القريبة من الحدود المصرية في شبه الجزيرة العربية[4].

ووردت كلمه عرب في التوراة بمعنى البدو في حين كان السكان الحضر يسمون بأسماء قبائلهم أو بأسماء المواضع التي ينزلون فيها ووردت في التلمود كلمة (عرب) و(عربيم) (Arbim) (عربِّيم) (Arbi,im) أي نفس المعنى الذي ورد في التوراة[5].

---

[1]- محمود شكري الألوسي،**بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب**، ج1، ط2، ص 08.عصام السعيد،**تاريخ العرب في العصور القديمة**، دار المعرفة الجامعية، بيروت، 2000 م، ص 51.

[2]- أحمد عبد الرحمن نواف،**تاريخ العرب قبل الإسلام**، ط1 ، الجنادرية للنشر والتوزيع، 2015 م، ص 8 .

[3]- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 60 – 61 .جواد علي، المرجع السابق، ج1، ص 19.

[4]- عبد العزيز صالح،**تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة** ، مكتبة الأنجلو المصرية ،القاهرة، 2010 م، ص 8.

[5]- التوراة، سفر التكوين: 10: 21-32.

أما في الكتابات الكلاسيكية فأقدم إشارة إلى العرب وجزيرتهم نجدها عند اسكيلوس (525–446ق.م) الذي يتحدث عن الجزيرة العربية ويصفها بأنها أرض نائية يأتي منها محاربون يحملون حرابًا مدببة حادة، ثم جاء هيرودوت نحو (484–425ق.م) وقد أطلق لفظ(عرب) على جميع مناطق الجزيرة العربية وسكانها بما في ذلك سكان جنوب الجزيرة وصحراء مصر الشرقية الواقعة بين النيل والبحر الأحمر[1].

وقد وردت لفظت (عرب) في النقوش السبئية في القرن الأول قبل الميلاد بمعنى الأعراب في حين كان أهل المدن المتحضرون يعرفون بمدنهم أو بقبائلهم، كما ورد ذكر العرب في نقش (النمارة) الذي يرجع للقرن الرابع قبل الميلاد (330ق.م) والمكتوب بالآرامية النبطية بمعنى الأعراب الذين يسكنون البادية[2].

لقد اختلفت الأقوال في كلمة العرب وأصل تسميتهم بها، إلا أن القرآن الكريم هو أول مصدر ورد فيه لفظ العرب للتعبير بوضوح عن هذا المعنى حيث وردت فيه لفظة (أعراب) و(عرب) وجاءت فيه لفظة (أعراب) عشر مرات كما وردت لفظة (عربي)إحدى عشر مرة، وبمعنى آخر أن القرآن الكريم هو الذي خصص الكلمة وجعلها علمًا لقومية تشمل جميع العرب[3].

وخلاصه ما تقدم أن لفظة (ع.ر.ب) (عرب) هي بمعنى البداوة والأعرابية في كل اللغات السامية ولم تكن تفهم إلا بهذا المعنى في أقدم النصوص التاريخية التي وصلت إلى الباحثين وهي النصوص الآشورية وقد عنت بها البدو عامة مهما كان سيدهم أو رئيسهم، وبهذا

---

(1)- التوراة، سفر التكوين: 1: 5، سفر الملوك الأول 17: 4-6،سفر الملوك الثاني: 16: 12.

(2)- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 62 .

(3)- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 63.وكذلك:

- Jan Resto*, **the arabs in the antiquity***, London, 2018, p 63.

السور والآيات التي وردت فيها كلمة "عربيا":

– سورة يوسف، الآية 2، سورة الرعد، آية 37، سورة النحل، آية 103، سورة طه، آية 113، سورة الشعراء، آية 195، سورة الزمر، آية 28، سورة فصلت، آية 3،44، سورة الشورى، آبة 7، سورة الزخرف، آية 3، سورة الأحقاف، آية 12،.

وكلمة "الأعراب" وردت في السور والآيات التالية:

– سورة التوبة آية 90، 97، 98، 99، 99، 101، 120.

– سورة الأحزاب، آية 20، سورة الفتح، آية 11، 16، سورة الحجرات، آية 14.

وردت كلمة "عربا" في سورة الواقعة، آية 37، وذلك بضم حرف العين والراء.

المعنى استعملت عند غيرهم، ولما توسعت مدارك الأعاجم وزاد اتصالهم واحتكاكهم بالعرب وبجزيرة العرب توسعوا في استعمال اللفظة حتى صارت تشمل أكثر العرب، على اعتبار أنهم أهل البادية وأن حياتهم حياة أعراب، ومن هنا غلبت عليهم وعلى بلادهم فصارت علمية عند أولئك الأعاجم على بلاد العرب وعلى سكانها وأطلق لذلك كتبة اللاتين واليونان على بلاد العرب لفظة (Arabae) (Arabia) أي العربية بمعنى بلاد العرب[1].

2.طبقــات العــرب:

العرب جيل من الناس موسومين بين الأمم بالبيان في الكلام والفصاحة في المنطق وذلاقة اللسان ولذلك سموا بهذا الاسم فإنه مشتق من الإبانة بقولهم أعرب الرجل عما في ضميره إذا أبان عنه[2].

ويكاد يتفق الرواة والإخباريون على أن العرب ينقسمون إلى ثلاث طبقات[3]، وهي العرب البائدة والعرب العاربة والعرب المستعربة أو المتعربة والطبقة الثانية والثالثة يطلق عليها اسم العرب الباقية[4].

هذه التقسيمات الثلاث لاقت قبولا عند بعض المؤرخين وأصبحت من الأمور التي يتبنونها ويستدلون على ذلك بسبب أنها توافق التسلسل الزمني، حيث أن بعض المؤرخين يعتقدون أنه لا يمكن وضع فواصل زمنيه محدّدة لأنّ الحديث ليس عن حكام أو ملوك أو أنبياء بحيث تنحصر المرحلة بموت هذا النبي أو هذا الحاكم أو ذاك الملك، بل الأمر يدور حول مجتمعات ذات تركيب اجتماعي معقد، إذ أنه لا توجد فواصل بين المجتمعات البشرية،

---

(1)- جواد علي، المرجع السابق، ج 1، ص 25 – 26.

(2)- ابن خلدون، المصدر السابق، ج 2، ص17.انظر كذلك: الألوسي، المصدر السابق، ج1، ص 8 .

(3)- أبو الفدا عماد الدين اسماعيل، **المختصر في أخبار البشر**، ج1، ط1، المطبعة الحسينية المصرية، د.ت، ص 99. جواد علي،المرجع السابق، ج1، ص 294. عمر فروخ، **العرب في حضاراتهم وثقافتهم** ، دار العلم للملايين، د. ت، ص 34. وكذلك:

- Bellamy, James, A, ***the Newton Reading of Al namarh inscription***, journal of American orient socit, 1985, p 31-34.

(4)- الطبري محمد ابن جرير،**تاريخ الأمم والملوك**، تح، محمد أبو الفضل ابرهيم،مج1 ،ط1،دار المعارف،مصر،د.ت، ص 618.

وهناك من يقسم العرب إلى طبقتين فقط: بائدة وباقية والباقية عندهم القحطانية باليمن والعدنانية بالحجاز.جورجي زيدان،**العرب قبل الإسلام**، مطبعة الهلال، مصر ،1922 ،ص 36 ، ويقسم ابن خلدون العرب إلى أربعة طبقات متعاقبة العرب العاربة وهم البائدة ثم العرب المستعربة من أبناء عابر بن شالخ أرفخشذ بن سام القحطانية ثم العرب التابعة لهم من العدنانيين والأوس والخزرج والغساسنة و المناذرة ثم العرب المستعجمة، ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص16وما بعدها .

كما أنه تقسيم لا نجد له ذكرا لا في التوراة أو الموارد اليهودية الأخرى ولا في المصادر اليونانية أو اللاتينية ويظهر أنه تقسيم عربي خالص نشأ من الجمع بين العرب الذين ذكر أنهم بادوا قبل الإسلام وبين العرب الباقية إما من عدنان وإما من قحطان وهذا ما يفسر الإهتمام بشجرة الأنساب[1].

- العـرب البائــدة:

وهم العرب الذين بادوا ولم يصلنا عنهم إلّا الشيء القليل وهم عاد وثمود وطسم وجديس وجرهم...[2]

– عاد: وهم عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح، وهم أقدم الأقوام حيث يضربون بعاد المثل في القدم[3]، وذهب الإخباريون إلى وجود طبقتين لقوم عاد وهما عاد الأولى وعاد الثانية[4] وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الأولَى﴾[5]، ويستدل من القرآن أنه أهلك عادا الأولى وهناك عاد الثانية، وأما مساكن عاد الأولى كانت بالأحقاف (الربع الخالي) شمال حضرموت وغربي عمان، وكان قوم عاد يعبدون الأصنام فقام هود عليه السلام بتحذيرهم وذكرهم بنعم الله عليهم وأن عليهم أن يستعملوا عقولهم ويعبدوا الله الذي خلقهم فسفه قومه وكذبوه واتهموه في عقله، وظل هود عليه السلام في محاولاته مع قومه ثم أنّذرهم بالعذاب، فأنزل الله بهم العذاب بأن أرسل إليهم الريح الشديدة فأهلكتهم[6]، ويستدل على هذا كله من خلال الآيات القرآنية وذلك في قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ أَخا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْبَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلا تَعْبُدُوا إلا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[7].

---

[1]- أحمد كاظم جواد المعموري، **الحياة الإجتماعية عند العرب قبل الإسلام**، ط1 ، دار الروضان، 2012 م، ص 47.انظر كذلك :جواد علي، المرجع السابق، ج 1، ص 295.

[2]- أبو الفدا، المصدر السابق، ج 1، ص99.

[3]- جواد علي، المرجع السابق، ج 1 ص 299.

[4]- عطية القوصي، **جزيرة العرب قبل الإسلام**، موسوعة الثقافة التاريخية والأثرية والحضارية، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت ، ص 9.

[5]- سورة النجم، الآية 50.

[6]- عطية القوصي، المرجع السابق، ص 09.

[7]- سوره الأحقاف، الآية 20- 21.

وقوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَمَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُه إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾[1] وكذلك في قوله: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ[6] سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾[2].

ولم يبق بعد هلاك عاد الأولى سوى هود وقلة آمنت به، فيهم لقمان الحكيم وهو الذي ورد ذكره في القرآن الكريم وسميت السورة بسورة لقمان، وقد توجه هؤلاء إلى مكة وهناك أقاموا دولة عاد الثانية وخاف العاديون انحباس المطر والجفاف في مكة فارتحلوا إلى اليمن وبقوا هناك حتى تغلبت عليهم القبائل القحطانية فالتجأوا إلى حضرموت واستقروا هناك واختلطوا في أهلها[3].

– **ثمود**: أما قوم ثمود فقد ورد ذكرهم في مواضع عديدة من القرآن الكريم مقرونا بأقوام أخرى مثل قوم نوح وقوم عاد[4]، وذلك في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ﴾[5] وهكذا تم ذكرهم في سورة التوبة، الفرقان، ص، النجم، والفجر.

وقوم ثمود في الغالب بقية من قوم عاد وكانوا يعبدون الأصنام، فأرسل الله تعالى إليهم نبيه صالحًا يأمرهم بترك عبادة الأصنام، وأن يعبدوا الله الواحد القهار، فهزأوا منه واستخفوا به ولم يستجيبوا لدعوته، وقد أورد الله تعالى رسالته لهم في كتابه الكريم بقوله تعالى: ﴿وَإِلى ثَمُودَ أَخاهُمْ صالِحاً قالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ قَدْ جاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ...﴾[6].

وأما ديارهم فكانت في منطقة يقال لها (الحجر) بوادي القرى بين المدينة والشام[7] ويستدل من القرآن الكريم أن ثمود هلكوا على أثر تفجُر بركان صحبته رجفة عنيفة أو زلزال

(1)- سورة هود، الآية 49-50.

(2)- سورة الحاقة، الآية 6- 7.

(3)- عطية القوصي، المرجع السابق، ص12

(4)- جواد علي، المرجع السابق، ج 1، ص322.

(5)- سورة إبراهيم، الآية 8 - 9.

(6)- سورة الأعراف ،الآية 63.

(7)- الحموي ياقوت، المصدر السابق، مج 2، ص 221.

وذلك في قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾[1] وكذلك في قوله تعالى: ﴿أَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[2].

– **طسم وجديس**: يقترن هذان الإسمان ببعضهما كما هو الحال بالنسبة إلى عاد وثمود يعود نسبهما إلى (لاوذ ابن إرام) وكان محلهما باليمامة[3]، حيث كانت اليمامة من أخصب البلاد وأكثرها خيرات، وكان ملك طسم رجل ظالم وغشوم يقال له عمليق لا ينهاه عن هواه شيء، استذل جديس وأهانها فساءت العلاقات بين القبيلتين، وقررت جديس التخلص من هذا الملك واهتدوا إلى حيلة فدفنوا سيوفهم في الرمال ودعوه إلى طعام فلما حضر عمدت جديس إلى سيوفهم وقتل الملك ومن كان معه من حاشيته، فاستعانت طسم بتبع ملك اليمن يقال له (حسان بن تبع) فوقعت حرب أهلكت طسمًا وجديسًا[4].

– **جرهم**: وهم من بني أرقخشذ بن يقطن بن عابر بن شالخ، وكانت ديارهم باليمن وكانوا يتكلمون بالعبرانية وقد نزلت جرهم بالحجاز لقحط أصاب اليمن، فنزلوا بمكة حتى قدمها إسماعيل عليه السلام، فأمنوا به وقاموا بأمره وورثوا ولاية البيت عنه حتى غلبتهم عليه خزاعة وكنانة فخرجت جرهم من مكة ورجعوا إلى ديارهم باليمن إلى أن هلكوا[5].

– **العمالقة**: وهم من ولد عمليق بن لاوذ بن سام، نزلت العمالقة بصنعاء من اليمن ثم تحولوا إلى الحرم وأهلكوا من قاتلهم من الأمم، وكان من العمالقة جماعة بالشام، وكان منهم من ملك يثرب وخيبر وتلك النواحي[6].

---

[1]- سورة الأعراف ،الآية 78.

[2]- سورة فصلت، الآية 18.

[3]- أبو الفدا، المصدر السابق، ج،1 ص335

[4]- جواد علي، المرجع السابق، ج1 ، ص 32.

[5]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج2،ص32 .

[6]- أبو الفدا، المصدر السابق، ج1، ص 98.

– **أميم**: هم إخوة عملاق بن لاوذ[1]، وكان من شعوبهم على زعم أهل الأخبار وبار بن أميم نزلوا برمل عالج بين اليمامة والشحر، وانهارت عليهم الرمال فأهلكتهم، وزعم أهل الأخبار أن ديار أميم كانت بأرض فارس[2].

– **عبيل**: زعم الإخباريون أنهم إخوان عاد بن عوص أو إخوان عوص بن إرم، وأنهم لحقوا بموضع يثرب حيث سكنوا يثرب وكان الذي سكنها منهم رجل يقال له (يثرب بن باثلة بن مهلهل بن عبيل) ثم قدم قسم من العماليق إلى يثرب وأخرجوا منها عبيلًا، فنزلوا موضع الجحفة، فأقبل سيل فاجتحفهم لذلك سميت "بالجحفة"[3].

– **حضورا**: كانوا يقيمون بالرّس، وكانوا يعبدون الأوثان، وبعث إليهم نبي منهم اسمه (شعيب عليه السلام بن ذي مهرع) فكذبوه وهلكوا، وهناك عدة مواضع يقال لها (الرس) منها موضع باليمامة[4].

– **أصحاب الرس**: ورد ذكرهم في القرآن الكريم مع عاد وثمود وذلك في قوله تعالى:﴿وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا﴾[5]وذهب المفسرون إلى أنهم كانوا جماعة حنظلة وهو نبي فكفروا به ورسّوه في البئر وذكر بعض أهل الأخبار أن نبي أصحاب الرس هو(خالد بن سنان)، كما ذكروا أن الرسول صلى الله عليه وسلم ذكره فقال: " ذلك نبي ضيعه قومه"[6].

انقرضت العرب من عاد وثمود وطسم وجديس والعماليق ... ولم يبق من العرب إلّا من كان من عدنان وقحطان ودخل ممن بقي من العرب البائدة في قحطان وعدنان فانمحت أنسابهم وزالت آثارهم [7].

[1]- ابن خلدون، المصدر السابق، ص 22 - 31.
[2]- جواد علي، المرجع السابق،ج1، ص 340.
[3]- نفس المرجع، ص 343.
[4]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص32.
[5]- سورة الفرقان، الآية 38.
[6]- جواد علي، المرجع السابق، ج1 ، ص 348 .
[7]- المسعودي أبي الحسن علي ابن الحسين ابن علي، **مروج الذهب والمعادن الجوهر**، تر، كمال حسن مرعي، ج2، المكتبة العصرية، بيروت، د.ت، ص 40.

-**العـرب العاربـة**: وينتسبون إلى قحطان بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح[1] وموطنهم الأصلي الذي سكنوه ففيه خلاف، إذ قال بعضهم بأنهم أتوا من الحوض الأردني لنهري الدجلة والفرات حيث قدموا إلى اليمن بعد اجتياز عدد من الصحاري فوجدوا فيها من الخصب والرخاء ما أغراهم على الإستقرار، غير أن الدراسة التي قام بها الأستاذ (فيليبي Philipy) قد خالفت هذا الرأي إذ يذهب إلى أن عرب الجنوب لم يجيئوا من مكان آخر بل إنهم أصل العرب وأن الهجرات السامية كانت منهم لاسيما أن لغتهم لا تختلف اختلافًا كبيرًا عن لغة الشمال[2].

أما أبناء قحطان فهم: يعرب وحضرموت وعمان ثم جرهم ويعرب كان يملك اليمن، أمّا حضرموت وعمان، فقد كانا يملكان المناطق المسماة نسبة إليهما، وجرهم الثانية التي جاءت بعد هلاك جرهم الأولى وقد كانت إقامتها في مكة[3].

– **العـرب المستعـربة (المتعربـة)**: ويعرفون بعرب الشمال أو العرب العدنانية أو عرب الحجاز أو العرب الإسماعيلية، ويغلب في تاريخ العرب تسميتهم بالعرب العدنانية نسبةً إلى عدنان بن سلالة إسماعيل عليه السلام، لأن إسماعيل عليه السلام عندما نزل مكة كان يتكلم الأرامية فلما صاهر اليمنية تعلم العربية[4].

اتفق الإخباريون على تقسيم العرب من حيث النسب إلى قسمين قحطانية منازلهم الأولى في اليمن وعدنانية منازلهم الأولى في الحجاز، وقد كان عدنان في نظر العدنانيين هو جدهم الأعلى كما أن قحطان هو الجد الأعلى للقحطانيين[5]وأبو اليمنيين جميعًا وأنه نسل شعبين وهما شعبا كهلان وشعب حمير، فشعب كهلان تفرع من فروع كثيرة أشهرها (طيء) وهمذان

(1)- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 67. الروضان عبدو عون، المرجع السابق، ص 63.
(2)- محمد مبروك نافع، المرجع السابق، ص 41 – 42.
(3)- أحمد رحيم هبو، المرجع السابق، ص 101.
(4)- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 67.
(5)- جواد علي، المرجع السابق، ج1، ص 375.

والأزد وأما شعب حمير فأشهرها قبائل قضاعة تنوخ وكلب وجهينة[1]،وينقسم العدنانيون إلى فرعين كبيرين هما ربيعة ومضر فأما ربيعة فأشهر قبائلها أسد، وائل، وأما مضر فأشهر قبائلها قيس، وعيلان، وتميم، وهذيل، وكنانة.[انظر الشكل رقم 1]

توجد فروق بين العرب العاربة والمستعربة يرجع بعضها إلى البيئة الطبيعية أو النظام الإجتماعي أو اللغة أو الدين أو غير ذلك، فعرب الجنوب كانوا يعيشون عيشة مستقرة عكس أهل الشام الذين غلبت عليهم البداوة والتنقل كما أن لغة اليمنيين تخالف لغة أهل الشمال وكان يشترك الشعبان في الوثنية وفي عبادة الأصنام ولكن آلهة الجنوب كانت تمُتُ بصلة إلى آلهة بابل على عكس آلهة الشمال[2].

انفرد كل من الشعبين بأسماء تخالف أسماء الشعب الآخر كما أن أهل الشمال مستطيلوا الرؤوس أشد شبهًا بأجناس البحر المتوسط أما أهل الجنوب فمستديرو الرؤوس يمتازون بالفك العريض والأنف الأقنى[3].

أنشأ أهل الجنوب حضارة بحكم استقرارهم، أما أهل الشمال فيرجع الفضل إلى الإسلام في أن كون منهم دولة ووحدهم لأول مرة في التاريخ، وأدى انقسام العرب إلى قحطانية وعدنانية، إلى قيام الحروب والمنازعات وازدياد الخصومة بينهم[4].

يستخلص مما سبق أنه كان للموقع الجغرافي لشبه الجزيرة العربية أهمية واضحة فهي تتوسط قارات العالم القديم، وبذلك سيطرت على الطرق الرئيسية في العالم القديم، وأدت دورا مهما في التبادل ومحور العلاقات بين مختلف المجالات، ونتيجة للطبيعة الصحراوية ذات المناخ الجاف، أدى إلى وجود نمطين من الحياة، وبذلك انقسم سكان شبه الجزيرة العربية إلى قسمين.

---

[1]- أحمد أمين،**فجر الإسلام**، ط10، دار الكتاب العربي، بيروت، 1969 م، ص 7.

[2]- نفس المرجع.

[3]- محمد مبروك نافع، المرجع السابق، ص 46 - 47.

[4]- محمود عرفة محمود، المرجع السابق، ص 26.

وبالتالي فهذه الخلفية الجغرافية ،وكذا هذه المجموعة البشرية تمكنت من إيجاد منظومة سياسية متكاملة راعت فيها خصوصيات كل منطقة، من حيث الجوانب الجغرافية والوضعية الإقتصادية وكذا الإجتماعية، حيث حققت هذه البيئة نوعا من الإستقرار الإجتماعي الذي مكن هذه المجتمعات من تطوير نظمها السياسية بما يحقق مصلحة هذه المجتمعات في شتى المجالات.

الفصـل الأول:

ماهيــة ومفهــوم النظـام السياســي العربــي القديـــم

I. تحديـد مصطلـح النـظام السياسـي والقبيلـة:

1. النــظام السياسي

2. القبيلــة العربيــة

أ. تعريـف القبيلـة

ب. أقسـام القبيلـة

ج. التكويـن الإجتماعـي للقبيلـة

د. التنظيـم السياسـي للقبيلـة

3.عوامل الوحدة في المجتمـع القبلــي

أ. العصبيــة القبليــة

ب. الأخذ بالثأر

ج. التحالفات القبلية

II. الدولــة:

1. تعريـف الدولـة

2. نشــأة الدولــة

3. أركــان الدولـة

I. تحديـد مصطلـح النـظام السياسـي والقبيلـة:

1.النـظام السياسي:

تتكون عبارة النظام السياسي من كلمتين هما النظام والسياسة.

أ. النـظام لغـة: التأليف: يقال نَظَمهُ نظماً ونِظاما: ألفه، ونظمت اللؤلؤ إذا جمعته في السلك ومثله التنظيم، وكل شيء قرنته بآخر، أو ضممت بعضه إلى بعض فقد نظمته ويقال: ليس لأمرهم نِظام، أي ليس لهم هدي ولا استقامة، والنظام العادة: يقال: مازال على نظام واحد أي عادة[1].

ب. السياسـة لغـة: السياسة: القيام على الشيء بما يصلحه، والسياسة فعل السائس يُقال: "هو يسوس الدواب" إذا قام عليها وراضها، والوالي يسوس رعيته، وكأن الإنسان بعد تمرسه في سياسة الدواب ارتقى إلى سياسة البشر، والسوس: الرِّياسةُ، يقال: ساسوهم سوسًا وإذا رأسوه قيل: سَوَّسُوه وأساسوه، وساس الأمر سياسةً: قام به، وسَوَّسه القوم: جعلوه يسوسهم ويقال: سُوّس فلان أمر بني فلان أي كُلِّف سياستهم[2].

السياسـة اصطلاحـا:

وجدت عدة تعريفات للسياسة منها:

1. السياسة علم وفن حكم المجتمعات[3].
2. السياسة هي كل ما يتصل بالدولة[4].
3. السياسة هي القدرة على صنع القرارات والقدرة على تنفيذها[5].

---

(1)- ابن المنظور الإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، **لسان العرب**، مج12، دار صادر، بيروت، ص 578 .

(2)- نفس المصدر، مج6، ص 108.انظر كذلك: صخري محمد، **مفهوم النظام السياسي ووظائفه وإمكاناته**، الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية والإستراتيجية، 2002م، ج3، ص 318.

(3)- جاسم محمد زكريا، **مبادئ علم السياسة**، ط1،د.د.ن، دمشق، 2013 م، ص9.

(4)- صخري محمد، المرجع السابق، ص 319 .

(5)- جاسم محمد زكريا،المرجع السابق، ص 9.

فالنظام السياسي هو مجموعة عناصر مهمتها الإبقاء على المجتمع من حيث هو كيان حي قائم بذاته، تديره سلطة سياسية، والعناصر التي يتألف منها النظام السياسي هي التنظيمات السياسة، والعلاقات السياسة، والوعي السياسي، ويؤثر كل من هذه العناصر في الآخر ويعتمد عليه، وتفاعل هذه العناصر هو الذي يجعل منها نظامًا[1].

2. القبيلــة العربية:

لم تكن بلاد العرب قبل الإسلام دولة بالمفهوم الحالي، فقد أوجبت حياة العرب التي يعيشونها والبيئة الصحراوية التي يسكنوها على إيجاد تنظيمات تتناسب مع طبيعة الحياة فأوجدوا نظام القبيلة، فالتنظيم القبلي قائم على الأساس العشائري، وتربط بينهم رابطة الدم التي أوجدت ما عرف بالحسب، ومن هنا ظهر أهم رباط في النظام القبلي قبل الإسلام هو مسألة العصبية القبلية، وكان من نتائجها عدة حروب وقعت بين القبائل العربية[2].[انظر الخريطة رقم 6].

وللقبيلة كل مقومات الدولة فيما عدا الأرض الثابتة التي يتحدد من خلالها نطاق نفوذها والظروف الجغرافية هي المسؤول الأول عن عدم وجود وطن ثابت للقبائل فالنشاط الإقتصادي الأساسي لهذه الجماعات يقوم على توفر الماء والكلأ اللازمين للرعي، ولهذا السبب فإنهم دائمي الترحال بحثًا عن مناطق تتوفر فيها أسباب حياتهم، ولم تكن عادة الترحال في كل الأوقات حيث كانت القبائل العربية تلجأ للترحال من منطقة لأخرى في زمن الجفاف وهكذا فإن الأفراد مقيدون للقبيلة في كل مطالبها ورغباتها[3].

---

(1)- باسل الشوارب، **الأنظمة السياسية**، المركز الوطني للمتميزين،2015 م، ص 02.انظر كذلك: صالح جواد الكاظم وعلي غالب العاني، **الأنظمة السياسية**، جامعة بغداد، 1990، ص 05.

(2) - واد علي، المرجع السابق، ج4، ص

(3)- نفس المرجع،342.وكذلك:

-Andrew, Gardiner, university, of Puget soundwashingtom,2018,p81

-Richard Tapper, tribalism in midle Eastern states,London,2018,p29

أ. **تعريـف القبيلـة: لغة:** أوردت العديد من المعاجم أن القبيلة جمعها قبائل منحدرين من أبناءِ أب واحد وقد أضاف معجم الرائد أن القبيلة هي كيان اجتماعي اقتصادي سياسي،يضم عائلات تجمع بينها روابط القربى وتخضع لرئيس واحد .[1]

-. **تعريـف القبيلـة اصطلاحا:** القبيلة أسرة كبيرة تتكون من أبنائها الذين يؤمنون بالإنضمام إليها ويحترمون عرفها المتفق عليه فيما بينهم، ويتعصبون لها ويدافعون عنها ويبذلون في سبيلها كل نفيس[2]،فتستمد قوتها من التماسك والتلاحم بين الأفراد دون الحاجة إلى قوة خارجية [3].

ب. **أقسـام القبيلـة:** وردت عدّة تقسيمات لمكونات القبيلة العربية إلّا أن أغلب الدارسين يتفقون على تقسيمها إلى ستة أقسام وكلها أقسام وفروع للنسب القبلي تقابل أسماء من أعضاء الجسم وأفراد القبيلة يعتبرون أنفسهم جسمًا واحدًا لا تنقسم أجزاؤه عن بعضها البعض وهي الشعب، القبيلة، العمارة، البطن، الفخذ، الفصيلة[4].

– **الشعب**: ويشمل النسب الأبعد "كعدنان وقحطان" فالشعب موصول قطع الرأس (في أعلاه)، وربما يسمى الشعب بهذا الاسم لأنّه أعلى مرتبة من مراتب النسب.

– **القبيلة**: تتفرع عن الشعب "كربيعة ومضر"

– **العمارة**: وهي بمثابة العنق والصدر من الإنسان وهي ما انقسمت فيه أقسام القبيلة "كقريش أو كنانة" وهي أصغر من القبيلة.

– **البطن**: وهو ما انقسمت فيه أقسام العمارة "كبني عبد مناف، وبني مخزوم".

– **الفخذ**: وقد جعلوها بعد البطن" كبني هاشم، وبني أمية".

---

[1]– جبران مسعود، **الـرائــد**، معجم لغوي عصري، ط 7،دار العلم للملايين،بيروت،1992م، ص 620

[2] – محمود عرفة محمود، **العرب قبل الإسلام**،ط1،عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية،القاهرة،1995، ص 49.

[3]– عبد الحميد حسين أحمد السامرائي، **بعض مظاهر التنظيم القبلي في صدر الإسلام**، مجلة السامرائي،المجلد5،العدد 14،2009 م، ص 02.

[4]– توفيق برو، المرجع السابق، ص255. وكذلك:

-Pesston, ***The tribal in state*** **formation in the Golf**, London, 2016, p16.

– **الفصيلة**: وتأتي بعد الفخذ لأنها بمثابة الساق، والفصيلة ما انقسمت فيه أقسام الفخذ "كبني العباس"[1].

ج. التكوين الاجتماعي للقبيلة (طبقات القبيلة): كانت القبيلة العربية تنقسم إلى ثلاث طبقات اجتماعية هي طبقة الصرحاء، والموالي، والرقيق[2].

– **طبقة الصرحاء (الأحرار)**:فهم أبناء القبيلة الذين يرتبطون في ما بينهم برابطة الدم، والذين ينتسبون إلى جد واحد[3]، وكانوا يهبون إلى تلبية نداء القبيلة والتضامن معها ظالمة كانت أو مظلومة، ولكنها لا تبيح لهم الخروج عن العرف والتقاليد فإذا سلك الفرد سلوكًا شائنًا يسيء إلى سمعة القبيلة ويجلب عليها العار نبذته القبيلة وأخرجته منها فيعتبر خليع قبيلته وعندئذ يلجأ إلى قبيلة أخرى أو يلجأ إلى الصحراء ويعيش صعلوكًا من صعاليك العرب[4].

– **طبقه الموالي**: يمثلون الطبقة الثانية بعد الصرحاء، وعليهم نفس واجبات الطبقة الأولى ولكنهم لا يتمتعون بنفس حقوقها[5]، ويتألف الموالي من الحلفاء والعتقاء فالحلفاء أفراد التجأوا من إحدى القبائل إلى قبيلة أخرى بعد أن خلعتهم قبيلتهم لسبب ما، ويطبق عليهم التقليد المعروف باسم (الجوار) والعتقاء الذين كانوا عبيدًا في الأصل ثم أعتقوا[6].

– **الرقيق(العبيد)**:وهم آخر الطبقات في المستوى الاجتماعي، ومعظمهم يشترى في الأسواق وبعضهم يجلب من أسرى الحروب وكان العدد الكبير من الرقيق عبيدًا سودًا يعرفون بالأحابيش يستقدمون من الحبشة أو السودان، ولكن بعضهم كان من بين الأسرى في الحروب وكان أبناء

---

(1)– أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، **نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب**، دار الكتب العلمية، بيروت، 1971م، ص 20 –21.

(2)– السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 435.

(3)– أحمد رحيم هبو، المرجع السابق، ص 263.

(4)– السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 435. وكذلك:

- Jack Macgin, ***tribe and state in the centemporary Arabian Peninsula***, 2018, p 13.

(5)– ابراهيم السايح،**النظم السياسية والاقتصادية في شبه الجزيرة العربية**، ط1، دار البستاني للنشر والتوزيع، مصر، 2001 م، ص 37.

(6)– أحمد رحيم هبو، المرجع السابق، ص 263– 264 .

الإيماء البيض من أباء عرب يعرفون " بالهجناء"، أمّا أبناء الإيماء السود فيطلقون عليهم اسم "أغربة العرب" ومن هؤلاء عنترة بن شداد[1]، تشبيهًا لهم بطائر الغراب المشؤوم.

كانت طبقة العبيد تشكل طبقة محرومة في المجتمع الجاهلي، من الإمتيازات التي كان يتمتع بها غيرها من الطبقات رغم ثقل الواجبات التي كانت تقع على كاهلها اتجاه طبقة السادة[2].

كان بوسع العبد أن يسترد حريته بأن يؤدي لسيده خدمة عظيمة، أو يظهر شجاعة فائقة في إحدى الحروب، أو أن يتفق مع سيده على أن يشتري حريته بمبلغ من المال ويعرف ذلك باسم المكاتبة والعبد الذي يتحرر بهذه الطريقة يعرف باسم (المكاتب)[3].

د. التنظيـم السياسـي للقبيلـة: تستند الحياة السياسية في أي مجتمع من المجتمعات الإنسانية على ظاهرة انقسام المجتمع إلى فئتين متمايزتين، هما فئة الحكام وفئة المحكومين ولا يشترط للقول بوجود هذا التمايز بين الحكام والمحكومين أن تكون هناك هيئات حكومية في المجتمع، لأنّ مثل هذه الهيئات لا تظهر إلا بعد تطور طويل، أما في المرحلة الجنينية من الحياة السياسية في المجتمع فتتجسد السلطة السياسية في وجود شخص يحظى باحترام أفراد المجتمع ويكون له عليهم حق الطاعة، وهذا الشخص قد يكون شيخًا أو رئيسًا أو حاكمًا[4].

- سيـد القبيلــة:

بما أن الظروف التي كان العرب يعيش فيها لا تبعث على الراحة والإستقرار، فقد كانت كل قبيلة معرضة للغزو ولهجوم القبائل المعادية في أي وقت، فكان لزامًا على الجميع أن يكون مهيئين للحفاظ على كيان القبيلة تحت قيادة رجل شجاع محنك يفهم في أمور القتال

(1)- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 435.

(2)- أحمد رحيم هبو، المرجع السابق، ص 265.

(3)- توفيق برو، المرجع السابق، ص 258-259.

(4)- هاشم يحي الملاح، **الوسيط في تاريخ العرب قبل الإسلام**، دار الكتب العلمية، د.ت،ص 369.

والمعارك[1]، وفي هذا يقول ابن خلدون: "من الثابت أنه إذا اجتمع الناس ومروا بمراحل تشكيلهم الإجتماعي دعت الضرورة إلى المعاملة واقتضاء الحاجات ومَدّ كل واحد منهم يده إلى حاجته يأخذها من صاحبه، لما في الطبيعة الحيوانية من الظلم والعدوان ويمنعه الآخر عنها بمقتضى الغضب والأنفة ومقتضى القوة البشرية ...، فيقع التنازل المفضي للمقاتلة وهي تؤدي إلى انقطاع النوع البشري، وهو ما اختصه البارئ سبحانه وتعالى بالمحافظة فاستحال بذلك بقاءهم فوضى دون حاكم يزع الناس بعضهم عن بعض، واحتاجوا من أجل ذلك إلى الوازع وهو الحاكم عليهم وهو بمقتضى الطبيعة البشرية الملك القاهر المتحكم"[2].

– صفـات الرئيـس (شيـخ القبيلـة):

كان المطلوب ممن يرأس القبيلة أن يتصف ببعض الصفات الخلقية[3]، وقد عدها الألوسي ست خصال فقال: وكان أهل الجاهلية لا يسودون إلا من تكاملت فيه ست خصال السخاء والنجدة والصبر والحلم والتواضع والبيان[4]، أما البيان فضروري للأفصاح عن الرأي والإقناع والإدارة، في مجتمع ليس فيه سلطة إلزامية، وأما الحلم فيتطلب الذكاء والتسامح والنصح والنشاط، وهي ضرورية لشعب يشعر بفرديته المتطرفة وينقاد لعواطفه العنيفة وليس للرئيس عليه سلطة قانونية أو عقاب[5].

إلّا أنه يمكن ارجاع هذه الخصال الست إلى ثلاث خصال هي العقل والكرم والشجاعة وذلك لأن الصبر والحلم والتواضع والبيان كلها مظاهر على قوة العقل وحسن التفكير، أما النجدة فهي إحدى علامات الشجاعة، وأما السخاء فيعني الكرم[6].

(1)- أحمد رحيم هبو، المرجع السابق، ص 277.

(2)- ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 54- 56.

(3)- صالح أحمد العلي، **محاضرات في تاريخ العرب**،ج1، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1968م، ص156.

- Pesston,***the tribal***,op,cit,p21.

(4)- الآلوسي، المصدر السابق، ج2، ص 187.

(5)- صالح أحمد العلي، المرجع السابق، ص 157.

(6)- هاشم يحيى الملاح، المرجع السابق، ص 370.

وقد أجاب "قيس بن عاصم" أحد سادات العرب لما سئل كيف سوَّدك قومك؟ فقال: "ببذل الندى وكف الأذى ونصرة المولى وتعجيل القرى"[(1)]، وقد ترددت مثل هذه المعاني عندما سئل "عرابة بن أوس" بأي شيء سدّتَ قومك يا عرابة؟ فقال: "وإنّي والله لأعفو عن سفيههم وأحلم عن جاهلهم وأسعى في حوائجهم وأعطي سائلهم فمن فعل فعلي فهو مثلي ومن فعل أحسن من فعلي فهو أفضل مني، ومن قصر عن فعلي فأنا خير منه"[(2)].

كل هذه الصفات هي صفات مستوحاة من ظروف القبيلة واحتياجاتها وهي صفات ثانوية بالنسبة للوضع الطبقي الذي ينبغي أن يكون عليه شيخ القبيلة، فلا يمكن أن تكون الرئاسة لأشجع رجال القبيلة إن كان من فقرائها، بينما كان من الممكن أن تؤول الرئاسة إلى أكثر رجال القبيلة ثراءً ونفوذاً، على حين يتكفل الثراء والنفوذ بإضفاء كل الصفات الأخرى المطلوبة[(3)].

– واجـباتــه:

لشيخ القبيلة وظائف يمكن استنباطها من الصفات التي سوّدته، وشدت إليه أنظار القبيلة وجعلته أقدر من غيره على ممارسة القيادة، وبالتالي فهو مبالغ في التفاني في خدمة قومه، فعليه أن يعين الضعفاء، ويفتح بيته للضيوف والغرباء، ويدفع الديات عن فقراء قبيلته، وأن يكون كريما معطاء، وإلا فالعزل والذم مصيره ،كما يقول زهير بن أبي سلمى:

ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله ... على قومه يستغنى عنه ويذمم[(4)]

---

(1)– الآلوسي، االمصدر السابق، ص 187.

(2)– نفس المصدر.

في هذا المعنى قال عامر بن الطفيل أحد سادات العرب:

وإني وإن كنت ابن سيد عامر ... وفارسها المشهور في كل موكب
فما سودتني عامر عن وراثة ... أبى الله أن أسمو بجدٍّ ولا أب
ولكنني أحمي حماها وأتقي ... أذاها وأرمي من رماها بمنكبي

أنظر: الأندلسي ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، تح،مفيد محمد قميمة، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ص 149.

(3)– لطفي عبد الوهاب يحي، المرجع السابق، ص 359.

(4)– أحمد رحيم هبو، المرجع السابق، ص278.

كما عليه أن يدير المناقشات في المجلس، ويتولى المفاوضات مع القبائل الأخرى أو يبدي رأيه، ولكن ليست له سلطه قانونية لمنع أحد من الكلام أو إقرار رأي، أو ان يفرض رأيه إلا بقدر ماله من حجه في الإقناع، وهو يقود العشيرة في أوقات الحرب، ولكنه لا يحتكر هذا قد يظهر قائد أو فارس شجاع يقوم بالقيادة[1].

يقوم بكل هذه الوظائف والواجبات معتمدًا على قوة الإقناع وقوة شخصيته ونفوذه، إذ لم تكن له سلطة إلزاميه يجبر بها أفراد القبيلة على تنفيذ قراراته، فلم تكن له شرطه لتنفيذ أوامره أو سجون يسجن بها من يعصيه[2].

- حقوقــه:

لشيخ القبيلة العديد من الامتيازات المعنوية والمادية في مقابل الواجبات الملقاة على عاتقه وتتلخص في ضرورة توقيره واحترامه وتقبل رأيه من كل أفراد القبيلة، وعدم إبرام أمر من الأمور دون الرجوع إليه وأخذ موافقته[3].

في جمله حقوق سيد القبيلة حق المرباع والصفايا فضلا عن الحكم والنشيطة والفضول وفي هذا يقول عبد الله بن غنيمة الظبي في رثاء بسام بن قيس سيد شيبان:

لك المرباع منها والصفايا ... وحكمك النشيطة والفضول[4][*]

وبالنسبة لتداول السلطة فكان وراثيا في الغالب، ولكن هذا لم يكن يعني أنّ انتقال السيادة من الأب إلى الابن كان أمرا مقبولًا، بل كان يتوجب على السيد الجديد أن يحوز

---

[1]- صالح أحمد العلي، المرجع السابق، ص 159.

[2]- نفس المرجع.

[3]- محمد بيومي مهران، **الحضارة العربية القديمة**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1988 م، ص 19.

[4]- أحمد رحيم هبو، المرجع السابق، ص278.

[*]- **المرباع**: وهو ربع الغنيمة، و**الصفايا**: هي الأشياء التي يصطفيها الرئيس لنفسه من خير ما يغنم، و**الحكم**: هو أن يبارز الفارس فارسًا قبل التقاء الجيشين فيقتله ويأخذ سلبه فالحكم في ذلك للرئيس، و**النشيطة**: ما أصاب الجيش في طريقه قبل أن يصل إلى هدفه، و**الفضول**: ما لا تصح قسمته على عدد من المحاربين كالناقة الواحدة أو الشاة الواحدة أو الفرس، انظر: علي جواد المرجع السابق، ج5، ص 266- 267.

على رضى أبناء قبيلته وموافقتهم على مبايعته أميرًا عليهم، إضافة إلى اقتناع مجلس القبيلة المؤلف من زعماء القبيلة وأشرافها ومن ذوي الرأي فيهم[1].

أما عن طريق الشورى، فتحدث عند عدم وجود وريث للرئيس المتوفى، أو عند وجودتنافس وتباغض بين أبناء الرئيس المتوفى، فيخشى عندئذ من انقسام القبيلة، فيختارون أفضل الأبناء وأحسنهم لسيادة القبيلة، أو يتم اختيار وتنصيب أحد أبناء القبيلة من غير أبناء الرئيس المتوفى يجدونه أهلا وكفؤًا لتولي الرئاسة[2].

- مجلس القبيلة (الملأ):

توجد لكل قبيلة عادة مجلس هو ندوة لهم[3]، فلم يكن شيخ القبيلة يحكم القبيلة حكمًا فرديًا مطلقًا إنما كان يستعين بمجلس القبيلة الذي يضم زعماء القبيلة وعقلائها وفرسانها فهو حكم (ملأ القبيلة) وقد يكون بيت رئيس القبيلة هو مجلسها وموضع حكمها[4]، وفي القرأن الكريم ما يثبت وجود الملأ في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (29) إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (30) أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (31) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ (32) قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ (33)﴾[5][*]

لم يكن لمجلس القبيلة "الملأ" موعد معين يجتمع فيه فكان يجتمع كل ما دعت الضرورة إلى اجتماعه[6]، فالمجلس في المجتمع البدوي كالبرلمان في عصرنا الحاضر يبحثون في الأمور التي تخص القبيلة ولكل فرد من القبيلة الحق في إبداء وجهة نظره[7].

---

[1]- محمود عرفة محمود، المرجع السابق، ص 54.

[2]- جواد علي، المرجع السابق، ج4، ص 349- 350

[3]- صالح أحمد العلي، المرجع السابق، ص 159.وكذلك: - Andrew Gardiner, op cit, p89

[4]- محمد بيومي مهران،(دراسات...)، المرجع السابق، ص 211.

[5]- سورة النمل، الآية 29- 33.

[*]- في القرآن الكريم لفظة (الملأ) بمعنى جماعة يجتمعون على رأي، وتعبر هذه اللفظة عن الغالبية، أي عن الرأي العام الغالب لمكان ما، أو الجماعة من الجماعات، ومعنى ذلك اتخاذ(أهل الحل والعقد) من الملا رأيا يكون ملزما للأخرين، وأهل الرأي والحل والعقد، هم السادة أصحاب الجاه والعقل والسن. انظر: جواد علي، المرجع السابق،ج5، ص 235.

[6]- أحمد رحيم هبو، المرجع السابق، ص 279 .انظر كذلك: صالح أحمد العلي، المرجع السابق، ص 155.

[7]- حسين الحاج حسن، المرجع السابق، ص 74.

كما يتم في هذا المجلس القاء الشعراء لأشعارهم، ويُظهر الخطباء مواهبهم ويسمع الجميع الأحاديث الطريفة الطيبة، ويصبح المجلس ندوة أدبية يتمرن فيها الأفراد على قوة البيان وتُكتشف أثناء ذلك المواهب الأدبية والسياسية، وكانت تتخذ بعض القرارات بعد المناقشات والمحاورات بأصوات الأغلبية[1].

3.عوامل الوحدة في المجتمع القبلي:

أ. العصبيــة القبليــة:

1. مفهــوم العصبيـــة:

– **لغـــة**: العصبية في اللغة مشتقة من العصب، والعصب بمعنى أطناب المفاصل التي تلائم بينها وتشدّها، والعصب الطيُّ الشديد، والتعصب المدافعة والمحاماة، والعُصبةُ بالضم من الرجال والخيل والطير ما بين العشرة إلى الأربعين، والعِصابة بالكسر ما عصب به كالعصاب والعمامة وعصبة الرجل بنوه وقرابته لأبيه، وسموا عصبة لأنهم عصبوا به أي أحاطوا به، فالأب طرف والابن طرف والعم جانب والأخ جانب، والجمع عصابات فالعصابة الجماعة[2]ومنه قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾[3].

– **اصطلاحــا**: عرفها ابن خلدون بأنها النعرة[4]، على ذوي أرحامهم وقرباهم، إذ أنه لا يصدق دفاعهم إلّا إذا كانوا عصبة وأهل نسب واحد لأنهم بذلك تشتد قوتهم ويُخشى جانبهم، إذ نعرة كل أحدٍ على نسبه، وبها يكون التعاضد والتناصر وتعظم رهبة العدو لهم[5].

وهناك من عرفها على أنها رابطة دموية شعورية ولكن هذا الشعور لا يبدو واضحًا ولا يصبح شعورا فعالا إلا إذا كان هناك خطر يهدد أولئك الأفراد[6]، وهناك من عرفها على

---

[1]- حسين الحاج حسن، المرجع السابق، ص 74.

[2]- محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، **القاموس المحيط**، ط8، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2005 م، ص 115.انظر كذلك: الجوهري، **الصحاح**، ج1، ط4، تح، أحمد عبد الغفور العطار، دار العلم للملايين، بيروت،1978 م، ص 182- 183.

[3]- سورة يوسف، الآية 08.

[4]- **النعرة**: بالضم والنعير الصراخ والصياح في الحرب، والمعنى هنا التعصب لذوي الأرحام ونجدتهم، انظر: ابن خلدون المصدر السابق، ج1، ص 160.

[5]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 160.

[6]- محمد عابد الجابري، **ابن خلدون (العصبية والدولة)**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، د.ت ،ص 168.

أنها رابطة مقدسة لا يجوز الاستهانة بها أبدًا وعلى الفرد أن يهب لتلبية نداء قبيلته فهي أسرته الكبيرة وعليه أن يتضامن معها ظالمة كانت أو مظلومة من دون تردد إذن فالعصبية القبلية ليست أكثر من الشعور بصلة الرحم[1].

2. أنــواع العصبيــة: هناك نوعان من العصبية خاصة وعامة، فالعصبية التي يجمعها نسب خاص أو قريب تشكل عصبية خاصة أما العصبيات الأكثر اتساعًا والأقل ترابطًا والتي يجمعها نسب عام فهي تشكل العصبية العامة[2].

والعصبيات الخاصة ليست على درجة واحدة من القوة ففيها العصبية القوية والعصبية الأقوى ولما كانت السياسة لا تتم إلا بالغلب –والغلب إنما يكون بالعصبية– فقد وجب أن تنحصر الرياسة في العصبية الأقوى وتتم لأهلها، ولا تزال الرياسة فيهم ما داموا أقوياء لأن كل عصبية منهم إذا أحست بغلب عصبية الرئيس لهم أقروا بالإتباع[3].

3.أهـم الأســس التي تقـوم عليـها العصبيــة القبليــة:

أ. **وحـدة النسب والـدم:** تعتبر من أقوى الروابط القبلية، التي تقوم عليها العصبية القبلية، حيث أنّ وحدة القبيلة تزداد كلما كان أفراد القبيلة ينحدرون من نسب واحد.

وقد اعتبر (ابن خلدون) أن صلة الرحم أمر طبيعي في البشر وفي هذا يقول: "أن صلة الرحم طبيعي في البشر إلاّ في الأقلِّ" ومن صلتها النعرة على ذوي القربى، وأهل الأرحام أن ينالهم ضيم أو تصيبهم هلكة، فإن القريب يجد في نفسه غضاضة من ظلم قريبه أو العداء عليه، ويودُّ لو يحُولُ بينه وبين ما يصله من المعاطب والمهالك نزعةٌ طبيعية في البشر مذ كانوا فإذا كان النسب المتواصل بين المتناصرين قريبًا جدًا بحيث حصل به الإتحادُ والإلتحام كانت الوصلة ظاهرة فاستدعت ذلك بمجردها ووضوحها وإذا بعد النسب بعض الشيء فربما تُنوسي بعضها..."[4].

---

[1]- أحمد رحيم هبو، المرجع السابق، ص 260 -261.

[2]- مصطفى النشار، **تطور الفكر السياسي القديم (من صولون حتى ابن خلدون)**، ط1، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة،1999 م، ص 290.

[3]- محمد عابد الجابري، المرجع السابق، ص 171.انظر كذلك: مصطفى النشار، المرجع السابق، ص 290.

[4]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 160- 161.

للنسب عند العرب شأن كبير، ولا سيما عربي البادية، فعلى نسب المرء في البادية تقوم حقوق الإنسان بل حياته في الغالب، فنسب الإنسان هو الذي يحميه، وهو الذي يحافظ على حقوقه ويردع الظالم عنه ويأخذ حق المظلوم منه[1].

-**الأرض والمـاء**: تعتبر الأرض والماء أحد أركان القبيلة، لذلك كانت تقوم عليهم العصبية القبلية، فالقبائل العربية تبحث دائمًا عن مواضع توفر الماء والتربة الصالحة الخصبة المساعدة على حياة التجمع والإستقرار[2].

فالقبيلة العربية قبل الإسلام لم تكن ترغب في ترك موطنها والإنتقال إلى موطن جديد إلا في حالة قحط وجذب أو احلالها بالقوة، وهو ما كان يخلق حروبًا بين القبائل.

ب. الأخذ بالثأر: كان أفراد القبيلة جميعا يضعون أنفسهم في خدمتها وخدمة حقوقها وعلى رأسها حق الأخذ بالثأر ممن سولت له نفسه من القبائل الأخرى أن يتعدى على أحد أبنائها، فكل فرد فيها يضحي بنفسه كما يضحي بماله فهي حياته وكيانه[3].

فالأخذ بالثأر يمثل اعتزاز العربي بعصبيته وصون كرامته وكيانه، ويهون على العربي أمر الحياة ويستهين بالموت من أجل الثأر دفاعًا عن الحرمات وحفظًا للكرامة، فإن المنيّة عند العرب خير من إعطاء الدنية، فالأخذ بالثأر هو معنى من المعاني التي تعبر عن الروح العصبية[4]، فمعالجة القتل بالقتل كانت تعتبر الطريقة الشرعية لأن شعارهم " الدّم لا يغسله إلا الدّم" وعلى ذلك كان الأخذ بالثأر أمرًا مقدسًا وعقيدةً راسخةً في نفوس أفراد القبيلة وكان على الثائر إدراك ثأره أو الموت دونه[5]، فالثأر نتيجة طبيعية للعصبية وامتداد لها ومكمل

(1)- جواد علي، المرجع السابق، ج1، ص 466.

(2)- نفس المرجع، ص 188.

(3)- شوقي ضيف، **تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي)**، ط13، دار المعارف، القاهرة، د.ت ،ص 61.

(4)- عبد الرحمن خالد الجريسي، **العصبية القبلية من المنظور الإسلامي**، مؤسسة الجريسي،1426 هـ، ص 38.

(5)- محمود عرفة محمود، المرجع السابق، ص 58.

مهمتها الهادفة إلى الحفاظ على كيان القبيلة، وقد أضحت احدى واجبات رئيس القبيلة وفي هذا يقول: "عامر بن الطفيل سيد بني عامر" وهو يفخر بتأديته لواجبه في طلب الثأر:

سلاح إمرئ قد يعلم الناس أنه ... طلوب لثارات الرجال مطلَّب[1]

ثم يتحدث بعد ذلك عن اختيار قبيلته له سيداً عليها ويبين مغزى الثأر بالنسبة لها:

ولكنني أحمي حماها وارتقي ... أذاها وأرمي من رماها بمنكب[2]

فالمجتمع القبلي قد وجد نفسه بسبب عادة الثأر هذه مدفوعا إلى ايجاد نوع من "التعايش السلمي" بين الجماعات التي يتشكل منها وذلك بالتخفيف من هذه العلاقات السلبية بأعراف وتقاليد ونظم، وأهم هذه النظم، نظام الحلف، ولكن هذا لا يعني القضاء على النزاع بكيفية نهائية، إنما عبارة عن تكتل مجموعات ضد أخرى من أجل الحفاظ على المصلحة المشتركة[3].

ج. **التحالفات القبلية**: كانت الظروف الصعبة التي تتحكم في حياة قبائل الجزيرة العربية تجعل كل قبيلة هدفًا للغزو، ما لم تكن قد أخذت احتياطاتها، فكان الحلف سببًا في لجوء بعض القبائل الصغيرة إلى التكتل مع بعضها لتشكل قبيلة أكبر تردع من يفكر في حربها[4]، وفي ذلك يقول البكري: "فلما رأت القبائل ما وقع بينها من اختلاف وفرقة وتنافس الناس في الماء والكلأ، والتماسهم المعاش في المتسع، وغلبة بعضهم على بعض على البلاد والمعاش واستضعاف القوي الضعيف انضم الذليل منهم إلى العزيز وحالف القليل منهم الكثير...."[5].

---

[1]- محمد سهيل طقوس، المرجع السابق، ص 163.

[2]- نفس المرجع.

[3]- محمد عابد الجابري، المرجع السابق، ص 176.

[4]- أحمد رحيم هبو، المرجع السابق، ص 281- 282.

[5]- البكري أبو عبيدة الله عبد الله بن عبد العزيز، **معجم ما استعجم من أسماء البلد والمواضع**، ج1، تر، مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، 1945 م، ص 53.

وبمجرد أن تدخل القبيلة في حلف يصبح لها على أحلافها كل الحقوق فهم ينصرونها على أعدائها ويردون كيدهم عنها في نحورهم[1]، لذلك يستطيع أبناء القبائل المتحالفة المرور بمواطن هذه القبائل غير خائفين فتمروا قوافلهم بأمان لا يتعرض لها وفق ما اتفق عليه وجرت عليه عادة المتحالفين، وعلى أبناء هذه القبائل حماية من يجتاز أرضهم، وتقديم المساعدات له، ودفع الأذى عنه، وإذا وقع عليه اعتداء من قبائل غريبة فعليه مساعدته واستنجاد قومهم لنجدته، لأنّهم من حلف واحد وعلى الإنسان أن يتعصب للحلف تعصبه لقبيلته[2].

والفكرة التي حملت على عقد الأحلاف، هي نفس الفكرة التي تدفعهم اليوم على عقد الأحلاف بينهم، أو مع غيرهم، وهي الضرورة والدفاع عن مصالح خاصة أو عامة، أي نفس الفكرة التي تدفع الدول على التكتل والتحزب وعقد الأحلاف الدولية اليوم[3].

أما مدة الحلف فقد تطول أو تقصر تبعًا لدوام المصلحة بين الطرفين المتحالفين، وقد يتفكك الحلف بسبب عدم تنفيذ أحد الطرفين الشروط المتفق عليها، وقد يطول فترة طويلة من الزمن فتندمج الأطراف المتحالفة في نسب واحد، وتندمج القبائل الصغيرة في القبائل الكبيرة، ويضرب مثلا على ذلك حلف "تنوخ" حيث اجتمعت قبائل، فتحالفوا وتعاقدوا على التناصر والتآزر فصاروا يدًا واحدةً ضمَّهم اسم "تنوخ"[4].

وأشار ابن خلدون إلى هذه الظاهرة بقوله: "اعلم أنه من البين أنّ بعض من أهل الأنساب يسقط إلى أهل نسب آخر بقرابة إليهم أو حلف أو ولاء أو لفرار من قومه بجناية أصابها فيدعى بنسب هؤلاء ويعد منهم في ثمراته من النصر وحمل الديات وسائر الأحوال وإذا وجدت ثمرات النسب فكأنه وجد، لأنه لا معنى لكونه من هؤلاء، ومن هؤلاء إلّا جريان أحكامهم وأحوالهم عليه وكأنه التحم بهم، ثم إنه قد يتناسى النسب الأول بطول الزمان ويذهب أهل العلم به فيخفى على الأكثر، ومازالت الأنساب تسقط من شعب إلى شعب ويلتحم قوم بآخرين في الجاهلية والإسلام والعرب والعجم"[5].

---

(1)- شوقي ضيف، المرجع السابق، ص 58.وكذلك:. Pesston, ***the tribal***, op. cit, p23

(2)- جواد علي، المرجع السابق، ج4، ص 385.

(3)- نفس المرجع، ص 372.

(4)- أحمد رحيم هبو، المرجع السابق، ص 282.

(5)- ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 163.

ويقترن قيام الأحلاف عادة بطقوس ومراسم خاصة، إذ كان المتحالفون يغمسون أيديهم في الطيب أو في الدم أو بسوائل أخرى كالرُّب أو الماء وربما أوقدوا نارًا عند تحالفهم وكانوا يقولون: "الدم الدم والهدم الهدم"[1].

ومن أشهر الأحلاف التي عرفها العرب قبل الإسلام:

- حلـف الفضــول:

هو حلف يقضي بنصرة المظلوم وأخذ الحق له، والسبب في إقامته أن رجلاً من زبيد قدم مكة ببضاعة فاشتراها منه العاص بن وائل وكان ذا قدر فحبس عنه حقه، فقام أبي قبيس بالإستنجاد بقريش، فاجتمع بنو هاشم، وبنو المطلب، وأسد بن عبد العزي، وزهرة بن كلاب وتميم بن مرّة، في دار ابن جدعان، وتعاقدوا وتعاهدوا على أن لا يجدوا بمكة مظلومًا من أهلها وغيرهم ممن دخلها من سائر الناس إلا قاموا معه وكانوا على من ظلمه حتى ترد عليه مظلمته.[2]، وقد أقر النبي صلى الله عليه وسلم هذا الحلف بعد البيعة بقوله: "لقد شهدت في دار عبد الله ابن جدعان حلفا، ما أحب أن لي به ،ولو دعي به في الإسلام لأجبت"[3].

- حلـف المطيبيــن:

هو حلف تعاقد فيه بنوا الدار وأحلافهم من بني مخزوم، وبنو سهم، وبنو جمح، وبنو عدي، ضد بنو عبد مناف وأحلافهم، من بنو أسد، وبنو زهرة، وبنو تيم، وبنو الحارث وبنو مهر، وسموا (المطيبين) لأنّ بعض نساء "بني عبد مناف" أخرجن جفنة مملوءة طيبًا غمس القوم فيها أيديهم فتعاقدوا وتعاهدوا هم وحلفائهم على أن لا يتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضا[4].

ومن الأحلاف العربية المشهورة أيضا حلف الرباب وهم خمس قبائل "ضبة، ثور، عكل تيم، عدي، وحلف عبس وعامر ضد ذبيان وأحلافها من تميم وأسد، وحلف الخمس بين قريش وكنانة وخزاعة[5].

---

(1)- محمد سهيل طقوس، المرجع السابق، ص 165- 166.

(2)- ابن هشام، الإمام أبو محمد عبد الملك، **السيرة النبوية**، ج1، ط3، دار الكتاب العربي، بيروت،1950 م، ص 153- 154.

(3)- نفس المرجع، ص 154- 155.

(4)- نفس المرجع، ص 149- 150.

(5)- شوقي ضيف، المرجع السابق، ص 59.

حملت الضرورات قبائل شبه جزيرة العرب على تكوين الأحلاف للمحافظة على الأمن والدفاع عن مصالحها المشتركة، ومثل هذه الأحلاف بين القبائل لم يكن يتجاوز مصالح العشائر أو القبائل الخاصة لأنها تتألف للمسائل المحلية التي تخص القبائل، فوطن القبيلة ضيق بضيق الأرض التي تنزل فيها فإذا ارتحلت عنها ونزلت في أرض جديدة كانت الأرض الجديدة الموطن الجديد للقبيلة الذي تدافع عنه، وهذا ما أعاق تكوين الحكومات والكيانات السياسية في البادية العربية(1).

كما أوجبت حياة العرب التي يعيشونها، الإحتماء بالعصبية القبلية لحماية أنفسهم والدفاع عن أموالهم، حيث لا حق يحمي المرء غير حق العصبية القائم على أساس النسب والدم(2).

II. الدولــة:

1. تعريـف الدولــة:

أعطيت عدّة تعريفات للدولة وهذه بعض التعريفات:

أ. يعرفها رجل القانون الفرنسي "كاريه دي ملبر" بأنها مجموعة من الأفراد مستقرة على إقليم معين، ولها من التنظيم ما يجعل للجماعة في مواجهة الأفراد سلطة عليا آمرة وقاهرة(3).

ب. ويعرفها رجل القانون السويسري "بلنتشلي" بأنها جماعة مستقلة من الأفراد يعيشون بصفة مستمرة على أرض معينة، بينهم طبقة حاكمة وأخرى محكومة(4).

ج. وأما ابن خلدون فيعرف الدولة: على أنها الإمتداد المكاني والزماني لحكم عصبية ما(5).

د. ويذكر "جواد علي" الدولة، فيقول: " هي الشعب والحزب أو الجماعة الحاكمة له في أرضه وتحت سلطانه وفي حيازته وملكه وقد تكون الدولة حكومة قرية مثل "يثرب ومكة"

(1)- جواد علي، المرجع السابق،ج4، ص 514- 516.

(2)- نفس المرجع، ص 513.

(3)- نعمان عبد الرزاق السامرائي، **النظام السياسي في الإسلام**، ط2، د.د.ن ،الرياض،2000 م، ص 79.

(4)- نفس المرجع.

(5)- ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 202.

وقد تكون حكومة قبلية وقد تكون أكبر من ذلك وأوسع مثل دولة الحيرة ودولة الغساسنة ودولة اليمن[1].

2. نشـأة الدولـة:

انطلق ابن خلدون من مقولة الحكماء: " الإنسان مدني بالطبع" ويذكر أن الإجتماع الإنساني ضروري وهو معنى العمران، ومن هذا العمران ما يكون بدويًا وهو الذي يكون في الضواحي والجبال ومنه ما يكون حضريًا وهو الذي بالقرى والمدن[2].

والعائلة هي نواة المجتمع، ومنها تتكون الأسرة الكبيرة فالقبيلة ونتيجة للتحالفات القبلية الكبيرة واستوطانها في مناطق متقاربة ظهرت التجمعات القبلية التي تضم أفرادا من قبائل متعددة، جمعتهم مصالح مشتركة دينية واقتصادية واجتماعية، تحتم على رؤساء القبائل اختيار من ينظم حياتهم داخليًا وخارجيًا بصفتهم جماعات متداخلة، وتقف على رأس التنظيم (السلطة)، وبذلك كان لابد من اختيار أحد الكهان من المعبد بوصفه أفضل شخص محايد وجامع[3].

ويرجع ذلك لما لدين عند العرب من تأثير واضح وعميق في نفوسهم، لذلك ظهر المكرب أول حاكم سياسي في جنوب الجزيرة جمع السلطتين السياسية والدينية، فالدولة هي نتاج وجود الناس في مجتمع تتحد بمنظومة علاقات اجتماعية ودينية واقتصادية وسياسية، أنشأت كيانًا كبيرًا يجمع عددا من القبائل تحت حكم رجل من الكهنة، نظر إليه الشعب نظرة تقديس واحترام[4].

وهكذا كانت القبيلة في الواقع دولة لها وطنها الذي نشأت فيه ومواطنوها وهم أفرادها وساداتها ورؤساء أفخاذها، كما أن لها أعرافها وسياستها، ولها مجلسها المكون من أصحاب الرأي والسداد والحكمة.[5]

---

(1)- جواد علي، المرجع السابق، ج5، ص 178.

(2)- ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 53- 54.

(3)- جواد مطر الحمد، **الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في اليمن القديم**، ط1، دار الثقافة العربية للشارقة، 2002 م، ص 59.

(4)- نفس المرجع، ص 59- 62.

(5)- جواد علي، المرجع السابق، ج5،ص 178

وعملية نشوء الدولة لا تسير على خط مستقيم بل على شكل دورة، وهذه الدورة تأخذ شكلين رئيسيين هما: دورة اجتماعية تاريخية، تمثل صراع حضاري يتضمن انتقال الحضارة من أمة إلى أخرى، أو من عصبية مؤثرة في العمران إلى عصبية أخرى لا تربطها بها أي رابطة وهذا ما يسميه ابن خلدون خلل الدولة الكلية، ودورة عصبية، أي حينما تنشأ الدولة بانتقال الحكم والسلطة من عصبية خاصة إلى أخرى مماثلة داخل عصبية عامة واحدة[1].

3. أركــان الدولــة:

كان هناك اختلاف في تعريف الدولة نتج عنه اختلاف مماثل في أركانها إلا أنه يوجد شبه اتفاق على ثلاثة أركان وهذه الأركان نجدها في شبه الجزيرة العربية عند كل من البدو والحضر.

1.الشعب أو القبيلة.

2. الإقليم (الأرض).

3. أولو الأمر (السلطة الحاكمة)[2].

أ. البـــدو:

– **القبيلة:** هي أصل الدولة ونواتها، وتقوم على رابطة الدم أي على فكرة أن القبيلة هي من صلب رجل، وأن أفرادها من هنا يرتبطون بينهم برابطة الدم.

– **الأرض:** أما وطن القبيلة فهي الأرض التي نشأت فيها ثم الأرض التي هي عليها فمن القبيلة ومن أرضها تكونت دولتها.

– **السلطة الحاكمة:** ويمثلها الشيخ أو سيد القبيلة.

ب. الحضــر: أما الحضر فإن الدولة عندهم تختلف باختلاف درجه أولئك الحضر:

– **الشعب**: ويتكون من قبائل عديدة وفئات رسمت لها حدود معينة.[3]

---

(1)– جمعة الزروق وفرج بلعيد، **دور القبيلة في الأنظمة السياسية العربية (اليمن أنموذجا)** رسالة ماجستير في العلوم السياسية، جامعة الشرق الأوسط، 2015 م، ص 42.وكذلك: Dominique Sourdel, ***Les arabes avant l'islam***,p.u.f,2007, p 7-18.

(2)– عبد الرزاق نعمان السامرائي، المرجع السابق، ص 81.

(3)– جواد علي، المرجع السابق، ج5، ص 178.وكذلك: Bernard Lewis, ***The Arabs in History***,London,1912, p 7.

– **الأرض**: وهي المواضع الغنية بالماء، التي أوجدت حياة والإستقرار والإستيطان.[1]

– **السلطة الحاكمة**: ويمثلها حاكم قد يكون كاهنًا وقد يكون ملكا وقد يكون أميرًا، واجبه حكم رعيته وارشادهم وقيادتهم في السلم والحرب. [2]

ولابد لظهور دولة في مكان ما من توفر مقومات، يجب وجودها فيه لتساعد على ظهورها، مثل أرض ذات حدود ،وشعب يتكلم أكثره بلغة مشتركة، ويعتقد بدين يؤمن به أغلب ذلك الشعب، وتجمع بينه مصالح مشتركة تساعد على تكتل أبناء ذلك الشعب وتضامنه في السراء والضراء، في السلم وفي الحرب، ومن وجود قوة تدافع عن حدود تلك الدولة، ومن وجود قوة أخرى تقوم بحفظ الأمن، وأخذ الحقوق المسروقة ممن سرقها وردها إلى أصحابها الشرعيين، ومن تنظيم الأسواق؛ وقد توفرت هذه المتطلبات (إله، شعب، أرض) في الدول التي ظهرت في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام.[3]

من خلال ما سبق نخلص إلى أن هناك مفاهيم عديدة للنظام السياسي، وكذا للنظام السياسي العربي القديم، حيث لا يوجد هناك توافق بين المحدثين نظرا لاختلاف مشاربهم الثقافية والتي انعكست في تفسيرهم ونظرياتهم، خاصة عندما يتعلق الأمر بالنظام السياسي العربي القديم، حيث سيطرت على معالجاته نظريات المستشرقين المختلفة، وظل الكثير من رواد الفكر العربي يعيدون إنتاج نفس المفاهيم والتعريفات، مركزين على دور القبيلة في الحياة السياسية والملاحظ هنا أنه كان للنظام القبلي والعصبية القبلية الدور الأساسي في التأسيس للبنة الأولى لميلاد النظام السياسي العربي القديم، والوصول به إلى نظام الدولة المدينة مبكرا.

(1)– جواد علي، المرجع السابق، ج5، ص 186.

(2)– نفس المرجع، ص 185.

(3)– لمزيد من التفصيل حول الموضوع انظر: جواد علي، **مقومات الدولة العربية قبل الإسلام**، مجلة المجمع العلمي العراقي، ج 2-3، مج38، بغداد، 1987 م. ص 29 وما بعدها. وكذلك كتابه (أبحاث...)، المرجع السابق، ص 398 ومابعدها.

الفصــل الثانـــي:

المرتكـزات الإقتصاديـة لتطـور النظام السياسـي العربـي

I. الرعـــي:

II. الزراعــة:

1. أهـم المناطـق الزراعيــة فـي شبـه الجزيــرة العربيــة

2. أساليب الزراعــة ووسائلـها

3. بنـاء السـدود وأساليب الـري

4. نـظام المعامـلات الزراعيــة

III. الصناعــة:

1. الصناعــة المعدنيــة

2. صناعــة الغـزل والنسيــج

3. الصناعــة الجلديــة والدباغــة

4. صناعـة الروائـح والعطـور

5. الصناعــة الخشبيــة

VI. التجــارة:

1. أهميــة التجـارة

2. التجـارة الداخليــة وأهــم مراكزهــا

3. طـرق التجـارة فـي شبـه الجزيـرة العربيــة

للطبيعة دوراً هاماً في تكييف اقتصاد الشعوب وفي تحديد اتجاهاته وموارده[1]، وقد أثرت طبيعة الجزيرة العربية في تكييف اقتصاد العرب الجاهليين، وفي تحديده موارده وفي توجيه العرب الاقتصادي، فبينما اعتمد سكان المناطق الصحراوية بشكل رئيسي على الرعي المتنقل لأنعامهم وعلى التجارة في حين اعتمد سكان المناطق الخصبة على الزراعة ولم يهملوا التجارة كما كان عندهم إلمام بالصناعة[2].

إلّا أن الأساس الاقتصادي الذي قامت عليه ممالك جنوب شبه الجزيرة العربية كان أكثر ثباتًا واستقرارًا من ممالك شمال شبه الجزيرة العربية، وذلك لاعتماد ممالك الجنوب على اقتصاد قوي ومستمر تمثل في موارد رئيسية: هي الزراعة المنظمة التي تقوم على مساحات زراعية واسعة وخصبة، وقدر كاف من الأمطار الموسمية، ضف إلى ذلك منتجات واسعة تمثلت في غابات شجرية ومنتجات التوابل والطيوب وهي أهم سلعة في العالم القديم، أما التجارة فتميزت بوجود أكبر مقوماتها بالبلاد، زيادة على تحكمها في الطريق التجاري البري من الجنوب إلى الشمال، والطريق التجاري بين الشرق والغرب عند ملتقى البحر الأحمر[3].

I. الرعــي:

شكل الرعي بنوعيه الثابت والمتنقل المورد الاقتصادي الأساسي للرعاة، ومورد الإنتاج الرئيسي في القسم الأكبر من شبه الجزيرة العربية بحكم الطبيعة الجغرافية للمنطقة[4].

فالرعي الثابت هو الذي مارسه سكان بعض القرى والواحات حيث يخرج الرعاة صباحًا بالماشية إلى المراعي القريبة ثم يعودون بها مساءًا إلى حضائرها، أما الرعي المتنقل فهو الذي مارسته القبائل العربية غير المستقرة في البوادي والذي يعد مصدرا أساسيًا لمعيشتهم[5] وكان

(1)- أحمد رحيم هبو، المرجع السابق، ص 289.

(2)- محمد سهيل طقوس، المرجع السابق، ص 33.

(3)- بلقاسم رحماني **حضارة العرب القديمة** (الحضارة اليمنية أنموذجًا)، ج1، قسنطينة،2009 م، ص81.

(4)- لطفي عبد الوهاب يحي، المرجع السابق، ص 290.وكذلك:

-Adas Michael, ***Agricultural and pastoral socie taires in ancient classical history***, temple university philadelphie U.S.Apress, 2001, p29.

(5)- محمد سهيل طقوس، المرجع السابق، ص 34.

رعي الإبل هو النوع الأساسي من الرعي في الأماكن التي يقل فيها العشب في جوف الصحراء حيث يقل الماء، ومن ثم يصبح التنقل وراء مناطق العشب ضرورة أساسية في حياة الرعاة فالجمل له صفات تلائم هذه الطبيعة الجغرافية أكثر من غيره، وأهمها الصبر على العطش أيام طويلة، إلى جانب قدرته على السير في المناطق الرملية، مما يعطيه ميزة في هذا المجال على غيره من الدواب[1].

كانت أرض المراعي مشاعا بين القبيلة حينما تستقر في مناطق العشب، وهو أمر أملته ظروف الطبيعة والتعايش معها، وهكذا أصبح قانونا ملازما لرعاة البادية سواءً في العصور السابقة للإسلام أو حتى عند ظهور الإسلام، حيث نجده ينعكس في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: "الناس شركاء في ثلاث الماء والنار الكلأ"، ولكن هذه الملكية العامة أو المشاع لم تمنع من وجود أراضي بداخلها تدخل في نطاق الملكية الخاصة طوال الفترة التي توجد فيها القبيلة في منطقة أو أخرى من مناطق العشب، وهذه الأراضي هي الأحماء التي كان الانتفاع بها قاصرًا على بعض أفراد أو مجموعات من القبيلة ترعى إبله فيه وحدها، إلى جانب الانتفاع بأراضي الرعي المشاع التي ترعى فيها ابل القبيلة بأكملها، وكان رئيس القبيلة وأصحاب السلطة أو النفوذ يتمتعون بهذا الحق ولكن ملكية أراضي المراعي سواء كانت مشاعيه أو أحماء كانت ملكية مؤقتة فهي ملكية تستمر طالما وجد عشب في المنطقة وتزول عند ترك القبيلة أراضها انتجاعا لعشب في منطقه أخرى، وتصبح الملكية للقبيلة الجديدة التي حلت محلها[2].

[1]- لطفي عبد الوهاب يحي، المرجع السابق، ص 290-291.

[2]- نفس المرجع، ص 291- 292.

II. الزراعـــة:

1. أهــم المناطــق الزراعيــة فــي شبــه الجزيــرة العربيــة:

انحصرت الزراعة في الأماكن التي تتوفر فيها المياه وفي المناطق الخصبة، أي الأماكن التي جادت عليها الطبيعة بالأمطار، أو التي تتوفر على مياه الطبيعة، وتعود أهميتها إلى أنها توفر حاجيات الإنسان المعيشية من الغذاء[1]، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا العنصر الطبيعي الهام فوصفه بالجنات قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ۗ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[2].

وقد وجهت بعض المناطق في شبه الجزيرة العربية اهتمامها إلى تنمية موارد الثروة الزراعية في بلادهم فنشطوا في حفر القنوات وإقامة السدود والقناطر، وقد نالت الأراضي الواقعة في جنوب الجزيرة العربية وفي شرقيها حظا وفرا من العناية كل ذلك أدى إلى تنوع المنتجات الزراعية ووفرتها[3].

أ. **ممــالك اليمــن**: كانت الزراعة بمثابة العمود الفقري للحياتين الإقتصادية والسياسية للدولة، وقد ساعدت خصوبة التربة واعتدال المناخ وغزارة الأمطار على تقدم الزراعة وازدهارها[4]،كما أن آثار القنوات والسدود المنتشرة في مختلف نواحي اليمن هي في حد ذاتها دلالة على مقدار توسع اليمنيين في مجال الزراعة[5].

(1)- جواد علي، المرجع السابق،ج7،ص 24.

(2)- سوره الأنعام، الآية 99.

(3)- محمود عرفه محمود، المرجع السابق، ص 211.وكذلك:

-Albert.hourani, ***A History of the Arabs people***, m.j.f. book NW, 2016, p 10-11.

(4)- محمد عبد القادر بافقية، **تاريخ اليمن القديم**، د.ط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1985م، ص 185 – 186. انظر كذلك: حلمي محروس اسماعيل، **الشرق العربي القديم وحضارته**، د.ط، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية،1997 م، ص 218.

(5)- جواد علي، المرجع السابق، ج 5، ص 25.

تمكن علماء الآثار من العثور على الكثير من المصطلحات الزراعية في عدد من النقوش السبئية وكذلك العثور على ألات وأدوات استخدمت في الزراعة، ومما يدل على أهمية الزراعة بالنسبة للمجتمع اليمني القديم، نقيشة تذكر أن شعب سبأ قد تقربوا للآله (المقة) بتماثيل تشكرًا لأنه أرسل لهم المطر بعد توقفه مدة طويلة [1] (انظر الشكل رقم 2)

ينعم/ أذرح/ وبنيمو / أب كرب / وكريم / بنو / ذغيمن / وذ نأسم / أقول شعبن / غيمن / هقنيو / ألمقة / صلن / حجن / وقههمو / ألمقه / بمسألهمر / ولسعدهمو ألمقه / نعمتم / ووفيم / ومنجوت / صدقم / ذه رضون / ألببهمر / ولسمد / ألمقه آدمهو / بنى / ذغيمن / وذ نسم / رضو / وحضيي / مراهمو / سعد شمس / أسرع وبنهو / مرثدم / يحمد / ملكى / سبأ / وذريدن / بنى / إل شرح / يحضب / ملك سبأ / وذريدن / ولوزأ / ألمقه / صدقهمو / ووفينهمو / بكل / املأ / يستملأ / بعمهو ولخر ينهمو / ألمقه / بن / بأستم / ونكيتم / وبن / كل / نضع / وشصى / شنام ذرحق / وقرب / وكونت / ...ذذ...يذت / نعمت / وتنعمن / جينع . / بنيهو أب كرب / وكريم / بنى / ذغيمن / وذنأسم / وقلبمو / وشعبهمو / ....من / بعثتر وهوبس / وألمقه / وبنت / حميم / وبذت / بعدنم / وبسمس / ملكن / تنف وبشيمهمو / حجرم / قحمم / عدى / عرنهن / تنع. / ولمس / ورثدو / شقنيتمو بعثتر / شرقن / وألمقه / بعل أوم.(نقيشة عنان 54) .[2]

وكذلك نقيشة تذكر أيضا أن شعب سبأ جميعًا تقربوا إلى الآله (المقه) بالعشر من مزارعهم، تعبيرا عن شكرهم لما جاد عليهم من خيرات زراعية ،كما يشكرونه لما منّ به عليهم من أمطار[3]، (انظر الشكل رقم 3).

(1) كرب عثت / يـــهدف وسعـــــد عثتر / يسكر / بني / جرت / دزبنر /

---

[1]- زيد علي عنان،**تاريخ حضار اليمن القديم**، ط1، المطبعة السلفية ومكتباتها، د.ت، ص 385.

[2]- نفس المرجع.

[3]- مطهر علي الأرياني،**في تاريخ اليمن، نقوش مسندية**، ط2، مركز الدراسات والبحوث اليمني، 1990م، ص 149.

وتزأد / أقول / شعبن / أربعو / سمهرم / هقنيو / المقه / شهـون/ بعـــل أوم / صلمن / ذذهبن / حمدم / بذت تأولى / وستوفين / مرأيهمو / الشرح / يخضب / وأخيهو / يأزل / بين / ملكي / سبأ / وذريدن / بني / فرعم / ينهب / ملك / سبأ / وخمسمهى / وأفرسهمى / بن / سبأت / سبأى / وضباً / بعلى / حبشت / وعكم / وذسهرتم / وكل / ذكون / كونهمو / بسهرتن / وتأولو / بن هنت / سبـــأتن / بـــوفيم / ومهرجتم / وأحللم / وسبيم / وغنمم / وملتم / ذعسم/ ذهرضو / وهخضفن / مرأيهمو / الشرح / يحضب / وأخيهو / يأزل / بين / ملكي / سبأ / وذريدن

(2) وحمـدم / بذت / تسأول / وستوفين / عبدهمو / كربعثت / بن / جربت / بن / هنت / سبأتن / وضبأتن / سبأو / وشوعن / مرأيهمو/ الشرح/ يحضب / بن / هنت / سبأتن / وضبأتن / سبأو / وشوعن / مرأيهمو / الشرح / يحضب / وأخيهو / يأزل / بين / ملكي سبأ / وذريدن / بوفيم / ومهرجتم / وسبيم / وغغنمم / ذهر ضوهمو / ولوزأ / المقه / شهون بعل أوم / وضع / وضرغ / وهمس / وهكمس / كل / ضر / وشنأ / مرايهمو / الشرح يحضب / وأخيهو / يأزل / بين / ملكي / سبأ / وذريدن / وحمدم / بذت / هوشع / المقه شهون بعل / أوم / عبـديهو / كرب عثت / وسعد عثتر / بني / جرت / بكل / هوكل / وإملأ / وصرى / وتبشر / ستوكلو / وستملان / بعم / المقه شهون بعل أوم / بكل / خرفت / وأبرق / بقدمى / ذت / هقنيتن / (نقيشة أرياني رقم 19) .[1]

---

[1]- مطهر علي الأرياني ،المرجع السابق،ص 149.

وقد تم العثور على حجر نقشت عليه صورة فلاح حافي القدمين يرتدي ثوبا يصل إلى ركبتيه ووسطه مشدود بحزام، ويمسك بيده اليسرى حبلا متصلا بالمحراث، ويمسك بيده اليمنى آلة على هيئة فأس، ورسمت تحت الصورة، صورة ثلاث رجال، وقد أفادت في تكوين فكرة عن الفلاح القديم وبعض جوانب حياته الخاصة[1].

ومن المصطلحات الخاصة بالزراعة لفظة (سقح) التي تعني غرس في لغة المسند[2]ويعبر عن الأراضي الزراعية بلفظة (أرض) في جميع اللهجات العربية الجنوبية، وقد يراد بها أرضًا صالحة للزراعة، أو أرضًا مزروعة، أو بمعنى لفظة مزرعة، ويعبر في المسند عن الحقول والبساتين وكل المزارع التي تكون داخل حدود القرى (الهكر) أو (الهجر) أي المدن أو في ضواحيها وأطرافها بلفظه (أقنى) التي تعني الممتلكات أو المزارع المملوكة والمغروسة بالشجر أما لفظة أرض المذكورة سابقا فتطلق على الأراضي المزروعة خارج حدود القرى والمدن وتزرع عادة بالمزروعات، وتحدد الأراضي بحدود تعين معالمها وتثبتها ويقال للحدود (وشن) أي حد وهناك لفظة أخرى تطلق على الحدود هي (زنن) وتعني الخط الفاصل الذي يعين الحدود[3].

إضافة إلى المعطيات التاريخية التي تشير إلى كثرة عدد الأماكن التي يعمل بها سكانها في الأرض، وينتجون المحاصيل الزراعية التي تفيض عن حاجتهم أحيانا، وتجد طريقها إلى أسواق التبادل المحلية، تتواجد هذه الظاهرة في الجنوب واليمن بشكل خاص[4].

وقد استغل أهل اليمن الجبال والمناطق المرتفعة، فزرعوها بمختلف المزروعات التي تلائم طبيعتها، ففي الأماكن التي يكون المناخ فيها باردا في الشتاء ولطيفا في الربيع والصيف

[1]- جواد علي، المرجع السابق، ج7، ص 26.

[2]- نفس المرجع، ص 26.

[3]- نفس المرجع، ص 31- 34.

[4]- محمد سهيل طقوس، المرجع السابق، ص 38.

غرست الأشجار التي تلائم ذلك المناخ، أما في المناطق المنخفضة الحارة فقد غرست النباتات التي يناسبها ذلك المناخ وبذلك تنوعت المزروعات وكثرت[1].

والشيء الأخر الذي أبدع فيه اليمنيون من أجل زيادة مساحة الأرض المزروعة هو بناء مدرجات زراعية وهذا عمل لم يسبقهم إليه أحد في شبه الجزيرة العربية وأطلق على الجبال المكونة للقسم الجنوبي من السراة اسم الجبال المدرجة، فهي ترى وكأنها ذات سلالم[2].

أما بخصوص استغلال الأراضي وإيجارها وجباية الضرائب، والعقود التي يعقدها الملوك مع كبار الإقطاعيين، وتنظيم المياه فكانوا يعلنونها على الناس ليطلع الناس عليها ويعملون بموجبها وكانت تكتب على الحجارة وتوضع في محلات عامة[3]، وقد أصدر (الملك القتباني: شهر هلل بن ذرا كرب) مرسومًا زراعيًا نقيشة(Res:3854) [انظر الشكل رقم 4] وأهم بنوده:

1. على كل شعب أو قبيلة الاهتمام بأراضيه الزراعية وعنايتها دون تقصير أو تخاذل.

2. حدد القانون موسم الزراعة لهذه الأعمال الزراعية.

3. الإبقاء على هذا القانون على طول المدى.

4. أي فرد يتهرب من القيام بواجباته نحو الأراضي يدفع غرامة مالية قدرها عشر قطع نقديه تامه وتقديمه للمحاكمه.

5. يتولى كبير تمنع تنفيذ هذا القانون.

6. إذا تخاذل كبير تمنع في تنفيذ القانون يتولى الملك تنفيذه[4]، وهو ما يظهر مدى اهتمام حكومات جنوب الجزيرة بالزراعة وعدم إهمالها.

---

(1)- جواد علي، المرجع السابق، ج7، ص 35.

(2)- سلطان ناجي، **مظاهر الحضارة اليمنية القديمة**، مجلة الحكمة، العدد 17،1973 م، ص36.

(3)- جواد علي، المرجع السابق، ج7، ص25.

(4)- نورة عبد الله علي النعيم، **التشريعات في جنوب غرب الجزيرة العربية حتى نهاية الدول حميرية**، الرياض،2000 م، ص 196-197.

1- ح ج ك م/س ح ر/ و ح ر ج/ش هـ ر/هــ ل ل/ب ن/ د ر أ ك ر ب/م ل ك
ق ت ب ن/ش ع ب ن/ق ت ب ن/و ذ ع ل س ن/و م ع ن م/و ذ

2- ع ث ت م/أ ب ع ل/ ظ ر و ب/ ع د و/ س د و/ ك ذ م/ب ي ف ر و ن/ و أ ج
و/ و أ هـ و/ و ح ر ث/و ق ظ ر/و ق ظ ر/ و ع ز ز/و س ق ح/و س ع هـ د/

3- ش ع ب م/ش ع ب م/ظ ر ب ت س/ي و م م ي و/ي و م م ي و/ب و ر
خ م/ب ع س ت ن م/ذ ف ر ع م/و س د ث م/ذ ف ق ح و

4- و ر خ م/و ر خ م/ب ع ب ر س/ب د/أ و ر خ ن/ و خ ر و ف ن/ و أ ي
و أ ي/أ س د م/ب ي د ر/و س خ د ع/ب ن/ و ف ر/

5- و ع ش ق/و س ق ح م/و س ع د هــ م/ ظ ر ب س/ح ج ذ ن/ذ م ح ر
ن/و ل/ي هــ ب/و س ت و ف ي/د و ر ن/و م س خ د

6- ع ن/أ ب ع ل/س ي ت/ظ ر ب ت ن/ب ع م/م ل ك ن/و ك ب ر/ت م
ن ع/ب ع ش ر/ع ش ر/خ ب ص ت م/م ص ع م/ل ط ت/ ط ت

7- ي و م م/ذ ت م/ب ي د ر/و س خ د ع/ ب ن/ع ش ق/و س ق ح م/و س
ع هــ د م/ظ ر ب ت س/ح ج ذ ن/ذ م ح ر ن/و ل/ي ل ص

8- ق/ و ق ر و/و س ع ذ ب/و س أ ج ي/و ع ت هـــ د/ح ج ذ ن/م ح ر ن
ك ب ر/ت م ن ع/و هــ م و/ي س س ل ب/ك ب ر ن/ب ن/ل

9- ص ق/و ق ر و/و ع ت هــ د م/و س ع ذ ب م/ح ج/ذ ن/م ح ر ن/ف
ل/ ي ع ت ن ي/م ل ك ن/ب خ ط أ ت ن/و ل/ي ف ت خ/ح ج

10- ذ ن/ذ م ح ر ن/ب خ و/خ ل ف/ذ س د و/و ر خ س/ذ ع م/ خ ر ف أ ب
ع ل ي/ب ن/ش ح ز/ق د م ن/و ت ع ل م أ ي/ي د/ش هــ ر

كما يوجد قانون ملكي سبئي (GI1628)[1] أقره الملك (نشأ كرب يهأ) من ملوك سبأ وذو ريدان ونصه كالتالي: [انظر الشكل رقم 5]

(1)- نورة عبد الله علي النعيم،(التشريعات)،المرجع السابق،ص 510.

1- ح ج ن/ك و ق هـ/[+- 10حروف][/ن ش]أ ك ر[ب ي أ م ن]ي هـ ر ح ب/م ل ك س ب أ و ذر ي د ن/ب ن/ إ ل ش ر ح/ي ح ض ب و ي أز ل

2- ب ي ن/م ل ك ي/س ب أ/وذر/ ي د ن/[د م هـ و/]م ر ث د م/و أل س [ل]م/و ب ن ي هـ م و/ش [ر]ح م/ب ن ي/ذ م أ ذ ن م/

3- [م س و د هـ م و/و م ر أ س هـ م و/ب هـ [ث]هـ م و/و ق ط ن هـ م و/ك ل/ت س ع ن/و ر ت ت ع ن/و ت ق ف ن/ب ن/ح م ل/[و] و ن و م/ع د ي[/س ر ن/ ح ر

4- د/ك ل/أ ب ل م/و ب ق ر م/و ب ع ر ن/و ب ن/ح ص م/و بك]ش ط/و ن ض و/و خ ل ب/ب ن/هـــــ و ت/س ر ن/ح ر د/ب ن/ح ر م ت ن/ذ ....

5- ع د ي /ت ق ب ل/ف هـ د م/ذ ب خ ل ف ن/[+-9 حروف] ي م ن/س ر ن/ح ر د/ح ج ن/ك أ../و ع م ن هـ ن/ب ح ل .هـــــ ن/و.ن ق ل.....

6- ي [هـ]أ س ي ن/ك ح ..م/...ف ر م/[+-7 حـــروف]م[+- 6 حروف]ف أ و/ب ق ر م/ف ل أ ب ل م/ل ي ذ ب ح ن[ل]ودم/خ م س/ق[ن ي م]...

7- ث و ر م/ي دو م/ف ل +-35 حروف قن ين/و ذ ي هـــ ي ى ن/ف ح ص م....

8- ناقص.................

لا يحق شرعًا جلب حيوانات كالبقر والإبل إلى وادي جرد، كما لا يحق شرعًا الإعتداء على مزروعاته، كأن تداس أو تقطع أو تخرب أو تحصد، حمايةً للمحاصيل النامية في هذا الوادي، استنادًا لهذا الأمر...ومن يرتكب هذه الأمور ويكرر عمله، يذبح للإله ود خمسة ثيران من ماله الخاص[1].

[1]- نورة عبد الله علي النعيم، المرجع السابق، ص 196-197.

رغم اهتمام سكان جنوب الجزيرة اهتمامًا كبيرًا بالزراعة، إلا أن الزراعة كمورد اقتصادي أساسي، لم يكن قاصرًا على القسم الجنوبي من الجزيرة العربية، بل شمال الجزيرة كذلك ويلاحظ أن القرون السابقة لظهور الإسلام تتميز بخصوصياتها من حيث منحى التوجهات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية، ففي تلك المرحلة تطورت وسائل الإنتاج والقوى المنتجة، وتوسعت أعمال الري وازداد الإنتاج الزراعي[1].

ب. حواضـر وسـط الجزيـرة العربيـة:

- يثرب:

استغل أهل يثرب إمكانات مدينتهم الطبيعية، وجعلوها من المناطق الزراعية في شبه الجزيرة العربية، فقد توافرت في يثرب أرض بركانية خصبة تكونت بفعل تفتت الصخور البركانية، فهي أخصب أراضي الحجاز، كما توفر لها المناخ المعتدل نسبيا مما ساعد أهلها على الاشتغال بالزراعة واتخاذها مهنة رئيسية في حياتهم[2].

لقد قامت الزراعة في يثرب على الري بصورة رئيسية وذلك بفعل قله الأمطار وعدم انتظام هطولها، وقد تهطل بغزارة فتفيض الأودية وتروى الأرض وتحدث سيولًا، لذلك أقام أهلها شبكة ري واسعة لسقاية نخيلهم وزروعهم[3].

ويعتبر النخيل من أهم المزروعات التي كان يعتمد عليه سكانها، فتمر يثرب الصيحاني لا يوجد في بلد من البلدان مثله، ومن مصادر الثروة أيضا حب اللبان ومنها يحمل إلى سائل البلدان[4].

كما يعد الشعير المصدر الثاني لثروات يثرب الزراعية، بالإضافة إلى القمح والكروم وبعض أنواع الفاكهة الأخرى من الرمان والموز والليمون والبطيخ، كما كانت تزرع بعض الخضروات والبقول كالقرع واللوبياء والبصل والثوم[5].

(1)- محمد سهيل طقوس، المرجع السابق، ص 38.

(2)- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 404 .

(3)- محمد سهيل طقوس، المرجع السابق، ص 52.

(4)- الحموي ياقوت، المصدر السابق، مج5(مدينة يثرب)، ص 87.

(5)- أحمد إبراهيم الشريف، المرجع السابق، ص 381.

- الطائـف:

تعد الزراعة القاعدة الأساسية التي تستند عليها الحياة الاقتصادية في الطائف فقد ساعد اعتدال المناخ وجودّة تربتها وتوافر المياه فيها على قيام حياة زراعية متقدمة[1].

وسكنت الطائف قبائل من ثقيف وحمير وهوزان والأوس والخزرج وجهينة وقريش ومارست الزراعة كحرفة رئيسية بالإضافة إلى التجارة وأنشأت القرى والمزارع[2]، وتعتبر الحنطة الإنتاج الزراعي الأول في الطائف، كما اشتهرت بفواكهها المتعددة الأنواع، ففيها يكثر النخل، والأعناب والموز، والرمان، والتين، والخوخ، والسفرجل، والبطيخ، وأهم هذه الفاكهة على الإطلاق التمر والعنب[3].

- اليمـامـة:

تعتبر اليمامة من المناطق الزراعية في شبه الجزيرة العربية، وكانت تشتهر بأنواع مختلفة من التمور والحنطة وقد افتخروا بذلك في قولهم "ليس في الدنيا أحسن ألوانًا من نسائنا، ولا أطيب طعامًا من حنطتنا، ولا أشد حلاوة من تمرنا، ولا أطيب مضغه من لحمنا ولا أعذب من مائنا"[4]؛ ويعتبر وادي (العرض) أو (العارض) الذي يخترق اليمامة من أعلاها إلى أسفلها من أهم المواطن الخصبة فيها لوجود الماء على مقربة من سطح الأرض، فكثرت القرى والزروع وفي ذلك يقول الشاعر:

ألم ترى أنّ العرض أصبح بطنة ... نخيلا وزرعًا نابتًا وفصافصًا[5]

---

(1)- هاشم يحيى الملاح، المرجع السابق، ص 381 .

(2)- محمد سهيل طقوس، المرجع السابق، ص 54

(3)- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 376.

(4)- محمود عرفه محمود، المرجع السابق، ص 213.

(5)- جواد علي، المرجع السابق، ج7، ص 39- 40. وكذلك: Adas Michel, op cit, p30.

2. أساليب الزراعـة ووسائلـها فـي شبــه الجزيــرة العربيــة:

عرف سكان شبه الجزيرة العربية كيف يختارون أجود أنواع التربة الملائمة للزراعة حيث كانوا يختارون الأرض اللينة وهي أحسن أنواع الأراضي لاعتدالها ورطوبتها وبرودتها وهي تتقبل كل أنواع المياه سواء الجارية أو الجوفية[1]، فقد كان يتم اختيار الأرض التي تلائم المحصول الذي يزرع بها، لأنّ الأرض هي أساس النبات الذي ينمو فيها وتعد التربة البركانية من أهم الأتربة من حيث الخصوبة مما يجعلها صالحة للزراعة وهذا النوع من التربة امتازت به أراضي يثرب كما ذكر سابقا[2].

كما كان الفلاح العربي يعد أرضه إعدادًا كافيًا قبل زراعتها فكان يحرثها قبل سقيها ثم يحرثها مرّة أخرى بعد عدة أيام من ريّها وذلك قبل أن تجف قشرتها الخارجية وتتقشف ثم يتركها أيام معدودة، يحرثها بعدها للمرة الأخيرة وهكذا حتى تصبح خصبة وصالحة لبذر البذور، وتنال المدرجات ذات التربة الزراعية الضعيفة غير السميكة اهتمامًا خاصًا من الفلاح ففي موسم الجفاف يحرث المزَارعُ هذه المدرجات مرتين على الأقل، ويحفرها مسافة متر ويقلب تربتها بالمعول، وقد يجلب لها مزيدًا من التربة من مناطق أخرى ثم يحرثها ويعيد حراثتها في موسم الأمطار كي يمتص أكبر كمية من المياه، فيمنع بذلك جفاف قشرتها السطحية، وقد يضطر المزارع إلى الاستمرار في حرثها ليلًا ونهارًا نظرا لما للحراثة من أهمية في استغلال مياه السيول[3].

أما الأساليب المعتمدة في حرث وتقليب الأرض فهي متنوعة، منها ما هو بدائي جدًا يستعمل في حراثة الأراضي الصغيرة، مثل الحجارة والأخشاب والفؤوس على اختلاف أنواعها ومنها ما يستعمل في حراثة الأراضي الكبيرة مثل المسحّاة والمعول لتكسير الحجارة كما يتم استخدام بعض الحيوانات في الحراثة مثل الثيران والحمير والخيل والجمال[4].

---

(1)- ظاهر ذباح الشمري، **لمحة عن الأحوال الإقتصادية عند العرب قبل الاسلام**، مجلة مركز باب للدراسات الإنسانية، المجلد4، العدد2، د.ت، ص 323.

(2)- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص404.

(3)- علي محمد معطي، المرجع السابق ص 74.

(4)- جواد علي، المرجع السابق، ج7، ص 46-48.

ولتخصيب الأرض أكثر، استخدموا التسميد[1]، وكانت هذه العملية تتم ما بين فترة وأخرى، كي تحافظ الأرض على خصوبتها وإنتاجها، وكانت فضلات الحيوانات من أهم أنواع السماد المستخدم في شبه الجزيرة قديمًا، وقد يلجأ الفلاح إلى إحراق بقايا النباتات والأعشاب اليابسة لتسميد أرضه[2].

ولحمايه الزرع من عبث الطيور وبقية الحيوانات به، اتخذوا وسائل عديدة لحمايته منها "اللعين"[3] ما يتخذ في المزارع كهيأة رجل فلا تقربها، ويحصد الزرع بعد نضجه، والحصاد هو "فقل" في لغة المسند، وللمحافظة على الحبوب وغيرها من التلف اتخذت المخازن تحت الأرض تحفظ فيها وسميت "مدافن" أو "المدفن" في لغة المسند[4].

3. بنـــاء السـدود وأساليب الـــري:

لم يقف سكان شبه الجزيرة العربية مكتوفي الأيدي أمام العوامل الطبيعية بل حاولوا تذليل الصعوبات فعملوا على الحد منها، واتبعوا أساليب شتى[5]، لجمع المياه وتخزينها وجرها إلى الحقول حيث المزارع والبساتين ومن هذه الأساليب ما يتسم بالبدائية والبساطة ومنها ما يدل على التحديث والتطور وبراعة الوسائل[6].[انظر الشكلين رقم 6 و7]

وتحدد البيئة الطبيعية شكل الأسلوب المستخدم في جمع المياه وري المزروعات فأين تهطل الأمطار بغزارة في أقصى الجنوب الغربي لشبه الجزيرة العربية، تبنى السدود وتحفر الآبار وتجمع مياه السيول لسقي النباتات أيام الجفاف، وفي المناطق التي تتوفر فيها المياه الجوفية وسط الجزيرة العربية تحفر القنوات الجوفية لجر المياه إلى الأراضي العطشى حيث تسقى الخضار والأشجار المثمرة.[7]

---

[1]- جواد علي، المرجع السابق، ج7، ص 50.

[2]- علي محمد معطي، المرجع السابق، ص 75.

[3]- جواد علي، المرجع السابق، ج7، ص50.

[4]- نفس المرجع.

[5]- محمد سهيل طقوس، المرجع السابق، ص 39.

[6]- علي محمد معطي، المرجع السابق، ص 75.

[7]- علي محمد معطي، المرجع السابق،ص75.انظر كذلك: محمد حسين المرقطن، **هندسة الري ودورها في نشأة الدولة في جنوب غربي الجزيرة العربية وتطورها**، مجلة أدوماتو،جانفي،2013 م،ص199- 129.

تعددت أساليب الري التي استخدمها العرب قبل الإسلام إلّا أن أنظمة السدود والقنوات تعد من أهمها:

– نــظام الســدود: تهطل الأمطار الموسمية الغزيرة عادة في اليمن في فصل الصيف وحينما تهطل تفيض أودية جبال اليمن الكثيرة بمياه السيول المتدفقة، وفي طريقها تسقي السيول ما يمكن أن تسقيه من الأراضي الواقعة على جانبي الأودية ذات الارتفاع المقابل لها، إلّا أن نهاية مطاف الجزء الأكبر منها يغور في الصحاري أو يصب في بحار اليمن الغربية أو الجنوبية الشرقية في أقصى حضرموت، ولكن الإنسان اليمني القديم كان حريصًا في استغلال هذه الكميات الهائلة من المياه لإرواء الأرض وتوسيع مساحة الرقعة المزروعة منها وبذلك لم يتركها تذهب إلى البحر بل فكر في بناء السدود لتجميعها وكذا استغلالها للزراعة[1].

فقد أجمع كثير من الباحثين على أن أساليب استخدام السدود عند اليمنيين القدماء كان غاية في الفعالية والأصالة وكانت تختلف تماما عن الاستخدام المتعارف عليه في فكرة السدود عمومًا فالغرض من بناء السدود عادة هو من أجل خزن المياه زمن فيضانات الأنهار للانتفاع بها في الفصول التي تشح فيها مياه الأنهار، أمّا في اليمن فلم تكن هناك أنهارا كبيرة جارية، ولذلك فإنّ السدود فيها صممت لمواجهة سيول الأمطار الموسمية، ولم يكن غرضها خزن المياه للفصول المجدبة وإنّما لاستغلال مياه السيول في وقتها وتوزيعها على أكبر مساحة ممكنة[2].

لقد كان هذا النوع من السدود يبنى في وسط الوديان، لرفع مستوى الماء في الوادي وتتميز بالضخامة والصلابة، وتحتاج لبنائها إلى أحجار صلبة، ومواد بناء مختلفة، كما تحتاج إلى أعداد كثيرة من العمال، وهكذا عن طريق مثل هذا النظام الأصيل الرائع كانت مياه السيول تتوزع على أكبر مساحة ممكنة من الأراضي[3].

---

(1) – سلطان ناجي، المرجع السابق، ص 59

(2)– نفس المرجع، ص 59– 60

(3) - نفس المرجع، ص60.وكذلك:

Richard Brown, ***Irrigation in Ancient qataban***, johns Hopkins press, Baltimore 1958 ,p p 69, 70, 87

لم تكن السدود في شبه الجزيرة العربية على نسق واحد فبعضها كان بسيطا ومؤقتا لأنه مجرد حاجز من الأتربة والأحجار الصغيرة تنجرف مع السيول في كثير من الأحيان ويعاد بناؤها في الموسم التالي، وتختلف أشكاله وطريقة بنائه من منطقه لأخرى، فمنها ما يقام في وسط مجرى الوادي بحيث تقسم التيار المائي إلى اتجاهين، ومنها ما يقوم على جانب واحدمن حافة الوادي بحيث تحجز مجرى الوادي كله أو جزءًا منه.[1] أمّا النوع الآخر من السدود أقيم على شكل حرف (V) لحجز التربة والطين المنجرف مع مياه السيول[2].

أقيمت السدود في مناطق مختلفة من شبه جزيرة العرب فقد بنى الأنباط عددًا منها في صحراء النقب وفي وادي خرنوب، ووادي رمليا ووادي أبيض[3]، وبنى التدمريون بعض السدود منها سد حريقا في الوادي الكبير، ووجدت في شمالي الحجاز آثار بعض السدود مثل سد وادي المعتدل في العُلا، وخيبر والطائف وسد وادي رم في حسمى في بلاد الأنباط[4].

ومن أشهر سدود خيبر سد قصر البنت (سد قصيبة)، وقد أنشئ من حجارة البازلت الأسود المتوفرة بكثرة في المنطقة، وبنيت في أقاليم الجنوب والجنوب الغربي من شبه الجزيرة العربية سدود كثيرة[5].

إذا ذكرنا نظام الزراعة في اليمن القديم فإن أول ما يذكر سد مأرب، حيث يعتبر أشهر آثار اليمن وأعظم عمل هندسي ووجد في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام وقد ذكر القرآن الكريم هذه الحقيقة في قوله تعالى:﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾[6].

---

(1)- نورة عبد الله علي النعيم، **الوضع الإقتصادي في الجزيرة العربية في الفترة من القرن الثالث قبل الميلاد حتى القرن الثالث ميلادي**، دار الشواف، الرياض، 1992، ص 103 – 104.

(2)-J, boyton ,***The problem of climatica Change in Arabia Peninsula***, Institute of Archaeology, London, 1875 p 54.

(3)- محمد سهيل طقوس، المرجع السابق، ص 40

(4)- نورة عبد الله علي النعيم،(الوضع الإقتصادي...)، المرجع السابق، ص 105- 107.

(5)- علي محمد معطي، المرجع السابق، ص 78.

(6)- سوره سبأ، الآية 15.

وآثار هذا السّد العظيم لا تزال قائمة إلى يومنا هذا[1]. [انظر الشكل 8]

والهدف من السّد، عدة أغراض منها:

1. التقليل من اندفاع السيول إلى الوادي، تلك السيول التي كان جريانها أحيانا يؤدي إلى انجراف التربة وتدمير القرى.

2.رفع منسوب المياه عدّة أمتار حتى تصل إلى المدرجات الزراعية المرتفعة على جانبي الوادي.

3.التحكم في توزيع المياه حسب الحاجة، بواسطة مصرفين كبيرين على جانبي السد فالغرض إذن من بناء السد ليس فقط حجز المياه في بحيرة صناعية ولكن كسر حِدَّة السيل والتحكم في مياهه[2].

والحقيقة أنّ السدود وأنظمة الري قد غطت معظم أجزاء اليمن[3]، وآثار هذه الأنظمة والقنوات شاهدة على ذلك، فقد وجدت آثار السدود والقنوات في دار العرائس في وادي لحج، وفي وادي رحب، ووادي شرجان، وفي منطقه (هكر) قرب مكيراس و(نقب الحجر) في ميفعة، ووادي جردان، ووادي حضرموت، وحريضة، ونجران، ووادي بيجان[4].

وقد اثبتت الحفريات الأثرية أنّ وادي بيجان كان لا يقل خصوبة عن منطقة مأرب، وأنه كانت هناك قناة رئيسية على طول الوادي تقريبا، ومنها تتوزع القنوات الفرعية إلى المزارع

---

(1)- سلطان ناجي، المرجع السابق، ص 60

(2)- اسمهان سعيد الجرو، **التاريخ السياسي القديم لجنوب شبه الجزيرة العربية**، اليمن القديم، مؤسسة جمادة للخدمات والدراسات الجامعية، الأردن، 1996 م، ص 10. صالح عبد العزيز، **تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة**، مكتبة الأنجلوا المصرية،2010 م، ص 55.

(3)- وقد عدها الهمذاني 80 سدا وفي ذلك يقول الشاعر:

وبِالرَّبْوَةِ الخضراء من أرض يَحْصِب ... ثمانون سدًا تقلس الماء سائلا

- أنظر الهمذاني، (صفة...)، المرجع السابق، ص 200.

(4)- سلطان ناجي، المرجع السابق، ص 60.

والحقول، وقناة (هجر بن حميد) تبين أنّ أنظمة الري هناك كانت من أرقى ما وجد في اليمن[1].

- نـــظام القنـــوات:

استخدم سكان شبه الجزيرة العربية نظام القنوات لري أراضيهم فكانوا يحفرون مجاري للمياه على سطح الأرض وفي داخلها، ويحولونها إلى قنوات قد تطول أو تقصر حسب الحاجة ويوجد نوعان من هذا النظام، نظام القنوات السطحية، ونظام القنوات الجوفية.

1.نـــظام القنـــوات السطحيـــة:

وهو عبارة عن شبكة من القنوات أو الجداول التي تحفر على سطح الأرض لتصريف مياه السيول والعيون والينابيع والآبار، وتمتد أحيانا مسافات طويلة، مثل قنوات عمان ووادي بيجان ووادي حريضة في حضرموت وقناة خيبر التي يمتد طولها حوالي 18 كيلومترا وتزود القناة الرئيسية بمنافذ توصلها بقنوات فرعية، تتفرع هي الأخرى إلى قنوات أصغر حتى يتم إيصال المياه إلى جميع الحقول والبساتين[2].

وتشق القنوات المرتبطة بالعيون والينابيع، على هيئة مجاري واسعة تصل بين مصدر الماء والأراضي الزراعية، وتعرف بالفيول، ويكون مجراها موازي لمجرى الوادي، وعلى الجانب القريب من مصدر الماء، وعاده تبنى القنوات السطحية بانحدار بسيط ومناسب، وقد تحول إلى قناة جوفية إذا واجهها عائق طبيعي مثل الواد، فيصبح تعرضها للخراب أمرًا واردًا، وفي حالة تعرضها لواد ضيق أو شعاب صغيرة، يستخدم جذع نخلة مجوف كمجرى للمياه من جانب إلى الجانب الأخر، وذلك لسهولة استبداله إذا جرفته السيول، وفي حالة تعرضها إلى واد كبير، فتحمل القناة على جسر من القناطر التي تبنى بالحجارة الصلبة لتقاوم قوة السيل أو تحول إلى قناة جوفية[3].

---

(1)-سلطان ناجي، المرجع السابق. وكذلك:

-Mouton. M. ***lrrigation et formation de la sociètè dans les basses terres du Yemen***, 1981, p 204.

(2)- محمد سهيل طقوس، المرجع السابق، ص 44.انظر كذلك: نورة عبد الله علي النعيم،(الوضع الإقتصادي...)، المرجع السابق، ص 111- 112.

(3)- علي محمد معطي، المرجع السابق، ص 95.انظر كذلك: محمد حسين المرقطن، المرجع السابق، ص 228.

2. نـــظام القنـــوات الجوفيـــة:

هو عباره عن أنفاق تحفر في باطن الأرض أو مجموعة من الآبار يصل بعضها ببعض بواسطة نفق تحت الأرض[1]، يستعمل لجر المياه من مصدرها في باطن الأرض إلى أماكن استعمالها في القرى والمدن والحقول، ويبدوا أن هذا النظام وجد في عمان وفي جنوب شرق الجزيرة العربية[2]، ويقوم على مبدأ جلب الماء من الأماكن المرتفعة التي تتوفر فيها المياه الجوفية، وذلك عن طريق حفر النفق، فينحدر انحدارًا بسيطًا من مصدر الماء ويجري فيه حتى يظهر في النهاية على سطح الأرض، لذا فإنّ أماكنها تقع بين السهول والمرتفعات حيث يكون منسوب الماء فيها مرتفعًا[3].

أدت حقوق الري في شبه الجزيرة العربية إلى وقوع خصومات ومنازعات بين أصحاب المزارع بسبب اشتراكهم في الماء، اذ كان يحتفظ بعضهم به، ولا يدع الماء يذهب إلى غيره إلا بعد أن يسقي زرعه سقيا كاملًا، وكان أصحاب المزارع الذين تقع مزارعهم في أعالي المنابع المائية يستحوذون عليه بتوجيهه إلى مزارعهم ولا تنال المزارع الأخرى إلّا القليل منه[4]وقد ذكر هيرودوت في حديثه عن شبه الجزيرة العربية أن ملكًا كان يجلب الماء من نهر (كردس) في البحر الأحمر بواسطة أنبوب مصنوع من الجلد[4].

أمّا أنظمة توزيع الري فكانت تخضع لأعراف ونظم محدّدة تضمن للمزارعين في بلاد العرب حقوقهم في سقي مزروعاتهم وكانت هذه النظم تختلف من منطقة لأخرى، إلّا أنّ الإكتشافات الأثرية الحديثة تشير إلى بعض الألفاظ التي تعبر عن هذه الأنظمة مثل: لفظه (م ـ ح ـ م ـ ي ـ ت) (محميت) التي تعني سقي الأراضي بالسبائية، ولفظة (م ـ هـ ـ ض ـ ر ـ م) (مهضرم) التي تعني السقي بالغمر، ولفظة (د ـ ر ـ ر) (درر) التي هي حق ممارسة السقاية، وعبارات (ذ ـ ا ـ ت ـ ن ـ / خ ـ ر ـ ق ـ ن) (ذاتن فرقن) التي تعني

---

(1)- نورة عبد الله علي النعيم، (الوضع الإقتصادي...)، المرجع السابق، ص 114.

(2)- محمد سهيل طقوس، المرجع السابق، ص 44.

(3)- علي محمد معطي، المرجع السابق، ص 97.

(4)-Herodotus, ***The history Of Herodotus***, trans by A.D Godley , London 1981, p 131.

السقاية الموسمية، وألفاظ (م ـ ح ـ رـ ث) محرث و(ف ـ ق ـ ح) (فقح) و(ي ـ هـ ـ رـ وـ ي ـ ن) (يهرون)، والتي تدل جميعها على أنواع أخرى من أنظمة الري التي كانت تستخدم في شبه الجزيرة العربية[1].

أمّا في حالة المياه الجوفية فكانت تقسم على سطح الأرض إلى عدد من القنوات الفرعية يتناسب مع عدد المالكين لها، بحيث توزع المياه فيها وفقًا لنظام الدور أو الوجبة، فكان ينال كل مزارع وجبة كاملة تكون مدتها من شروق الشمس إلى غروبها، أو من غروبها إلى شروقها بما يعادل اثنى عشر ساعة[2].

وفي حالة الآبار التي تكون ملكيتها عامة فإنّ الماء فيها يوزع على المشتركين بتحديد فترة زمنية لكل مزارع، وكذلك بالنسبة للعيون والينابيع الطبيعية فإنّ مياهها توزع بواسطه قناة رئيسية تمر في وسط الأراضي الزراعية، وتفتح مخارجها تبعًا لري الأراضي الزراعية الواحدة تلوى الأخرى، وهكذا حتى يتم ريّ جميع الأراضي الزراعية، ثم توجه المياه الزائدة في قناة أخرى تقوم بتوزيعها على قسم آخر من الحقول[3].

وكان ضمان تطبيق هذه الأعراف، يقع على عاتق السلطة المحلية التي تعين ممثلًا عنها لمراقبة سقي المزروعات، بحيث يكون مسؤولا عن أية مخالفة لاستخدام مياه الري وأن يكون ذا خبرة واسعة في توزيع المياه على الأراضي المزروعة، حتى يضمن التوزيع العادل للمياه وقد ذكرت النقوش العربية هذا الموظف تحت اسم (م ـ د ـ ر ـ ر) (مدرر) والتي تعني الساقية[4].

---

(1)- علي محمد معطي، المرجع السابق، ص 101.

(2)- عبد الله آدم نصيف، **القنوات والنظام الزراعي في المدينة**، ج2، دار المريخ، لندن، الرياض، 1986 م، ص 208.

(3)- علي محمد معطي، المرجع السابق، ص 102.انظر كذلك: نورة عبد الله علي النعيم،(الوضع الإقتصادي...)، المرجع السابق، ص 144. وكذلك: Mouton. M. op cit, p102.

(4)- علي محمد معطي، المرجع السابق، ص103.

4. نــظام المعامــلات الزراعيــة:

اتبع سكان شبه الجزيرة العربية بعض المعاملات المتصلة بالزراعة وهي ذات تنظيم متقن ودقيق ومن بين هذه المعاملات:

– **نظام المحاقلة:** يقوم هذا النظام على أساس استئجار الأرض الزراعية مقابل كمية من الحنطة أو مقدار من الذهب أو شيء آخر يقوم مكانهما.

– **نظام المزارعة:** وهو أن يسلم مالك الأرض أرضه لشخص آخر يزرعها لقاء نسبة من ثمار المحصول يتفق عليه، ويكون الثلث هو الربع منه، أو أقل من ذلك أو أكثر، وأحيانا يكون بالدينار أو الدرهم.

– **نظام المخابرة:** على نمط نظام المزارعة غير أن مالك الأرض يقدم أرضه للمزارع على أن تكون بذور الزرع من تأمينه، وتكون المخابرة على نصف المحصول أو الثلث أو على نصيب معين.

– **نظام المخاضرة:** وهو بيع المحصول قبل نضجه كي، يتخلص مالك الأرض من مشقات جني الثمار وحراستها وحملها للأسواق، وما يتصل بذلك من معاملات، وفي كثير من الأحيان كانت تحدث خلافات بسبب ما قد يصيب المحصول من تلف قبل نضجه.

– **نظام المساقاة:** وهو أن يتم الاتفاق بين شخصين على أن يوصل أحد هما الماء إلى أرض الآخر مقابل أن يقدم الشخص المستفيد من الماء نسبة من الإنتاج.

– **نظام المحاينة:** وهو أن يقوم شخص بالحصاد مقابل أجر[1].

أمّا فيما يخص المحاصيل الزراعية فقد كان هناك تنوع في المحاصيل الزراعية نتيجة خصوبة الأرض وتنوع تربتها والمناخ الملائم، وتوفر أهم عنصر فعال في الإنتاج الزراعي وهو الماء، حيث تتصدر تلك المحاصيل ثلاثة أنواع وهي الحبوب والنخيل والأعناب[2].

---

(1)- جواد علي، المرجع السابق، ج7، ص 216- 220.انظر كذلك: علي محمد معطي،المرجع السابق، ص 105.

(2)-Reza-Ur-Rahim, M, ***Agriculture pre-islamic in arabia*** *introduction*, IslamAbad Staber Islamic studies vol 10, Num 1 marches 1971, p 53.

نستطيع أن نلمس مما سبق مدى اهتمام سكان شبه الجزيرة العربية بالنشاط الزراعي وتقنيات هو نفي الرأي القائل باحتكار العرب لحرفه الزراعة فقد مارسها بعض السكان وذلك لعدة أسباب منها:

- توفر العوامل المساعدة على الزراعة من أرض خصبة ومناخ ملائم، وخاصة في جنوب شبه الجزيرة حيث كان المناخ أكثر ملائمة.

- أدى التباين في العوامل الطبيعية إلى تنوع المحاصيل الزراعية

- اتباعهم لعدّة أنظمة لحفظ المياه واستخدامها وقت الحاجة.

III. الصنـاعـــة:

الصناعة حرفة الصانع وعمله، معتمدًا على ذكائه في تحويل الأشياء إلى أشياء أخرى يريدها[1]، ولم تقتصر الصناعة في شبه الجزيرة العربية على نوع واحد أو صنف معين، بل شملت جميع أنواع الصناعات التي تعكس مدى الثراء والرقي الذي وصلت إليه شبه الجزيرة العربية[2]، فكانت الصناعة في شبه الجزيرة العربية تشمل كل ما يحتاجه الإنسان من أدوات وألبسة، وتلك الصناعات تندرج بين الصناعات البسيطة البدائية، مثل أوتاد الخيام، وبيوت الشعر، وأربطة الدواب، والأوعية الفخارية، وقد قامت في المجتمع البدوي على استغلال المواد المتوفرة في بيئتهم، أما الصناعة المتطورة والغاية في الدقة والإتقان، ظهرت في المجتمعات المستقرة[3].

وقد ساعد على بروز الصناعة وتطورها عدة عوامل وأهمها ما يلي:

---

[1]- ابن المنظور، المصدر السابق، ج8، ص 209.انظر كذلك:جواد علي، المرجع السابق، ج7، ص 505.

[2]- علي محمد معطي، المرجع السابق، ص 142.

[3]- جمال سليمان علي عامر، المرجع السابق، ص 131. وكذلك:

- Strabo, op cit,volI,P39.   voiciPhilby, ***the back grund of islam***, 1949, p 59.

– **نمو القطاع الزراعي**: المعروف أن بين الصناعة والزراعة علاقة تبادلية ومتكاملة فالزراعة تقدم الخدمات اللازمة للقطاع الصناعي، وفي المقابل يقدم القطاع الصناعي الأدوات والآلات التي تحتاجها الزراعة لنموها وتطورها في مجتمع شبه الجزيرة العربية[1].

– **الظروف البيئية**: ومن تلك الظروف المناخ الذي كان مواتيًا للنشاط البشري ونستطيع أن ندرك ذلك بوضوح خاصة أن شبه الجزيرة العربية تقع في مكان –متوسط بين المناطق ذات الطبيعة الجغرافية القاسية فهي تقع بين مناطق الزحف الجليدي في الشمال وبين مناطق هطول الأمطار الغزيرة في المنطقة الاستوائية[2].

– زراعة بعض النباتات التي تستخرج منها مواد تدخل في بعض الصناعات كالدباغة والنسيج والعطور والزيوت والخمور.

– ظهور أيدي عاملة ذات خبرة اكتسبت مهارات مهنية جديدة[3].

كانت بلاد العرب مصدرًا للعديد من المعادن، وخاصة معدني الذهب والفضة، فقد عثرت شركة التعدين السعودية في منجم (مهد الذهب) وهو المنجم الذي كان (لبني سليم) على أدوات ترجع إلى ما قبل الإسلام، استخدمت لاستخراج الذهب واستخلاصه من شوائبه ومن ذلك رحى، أدوات تنظيف، ومدقات، ومصابيح[4].

وتعد اليمن في مقدمة أجزاء شبه الجزيرة العربية في الصناعة، ولم تبرز صناعته في نوع واحد أو في صنف معين بل برزت في أنواع مختلفة مثل صناعة الحديد واستخراج المعادن وتحويلها إلى مصنوعات والحياكة والدباغة والأصباغ وغيرها[5].

ومن أهم الصناعات التي عرفتها شبه الجزيرة العربية ما يلي:

[1]– محمد سهيل طقوس، المرجع السابق، ص 58.

[2]– جمال سليمان علي عامر، المرجع السابق، ص 16-17.

[3]– محمد سهيل طقوس، المرجع السابق، ص 58.

[4]– جواد علي، المرجع السابق، ج7، ص 514.

[5]– نفس المرجع، ص 511.

1. الصنـاعـة المعدنيـــة:

عثرت البعثات الأثرية على أعداد كبيرة من المصنوعات المعدنية والتي كانت تعتمد أساسا على خامات معدنية مستخرجة من مناجم شبه الجزيرة العربية[1]، مثل التماثيل واللوحات البرونزية والأقداح والأسلحة والمسكوكات والحلي.

أ. **صناعه الحلي والمجوهرات:** كانت صناعة الحلي والمجوهرات من الحرف المنتشرة في الكثير من أنحاء شبه الجزيرة العربية، وتقوم هذه الصناعة على تحويل المعادن المتوفرة من ذهب وفضه ونحاس وبرونز إلى قطع من الحلي تتزين بها النساء، وأهم هذه الأنواع القلائد والأساور والخلاخل والخواتم والتيجان والأقراط والسلاسل، وقد يضيف إليها الصانع قطعًا من الجوهر الثمينة كالعقيق والياقوت والزمرد واللؤلؤ والزجاج وقد عثر على الكثير من قطع الحلي في مدن شبه الجزيرة العربية كالفاو ومأرب والبحرين والبتراء وتدمر[2].

وتميزت يثرب عن غيرها من المدن الحجازية في هذه الصناعة، فقد كان في قرية زهرة[*] ثلاثمائة صائغ[3]، يصنعون أنواع كثيرة من الحلي منها الأساور، والدمالج، والخلاخيل والأقرطة، والخواتم، والفتخ (جمع فتخة وهي الدبلة) والعقود من ذهب أو من الجوهر والزمرد واختص يهود بنو قينقاع بهذه الصناعة واحترفوها وكان لهم سوق خاص تباع فيه الحلي والمجوهرات، يأتيها الناس من يثرب وغيرها[4].

ومن الأماكن التي وجدت بها الحلي مقبرة قديمة من مقابر (تمنع) عاصمة دولة قتبان فقد عثر على قلادة جميلة تدل على مهارة الصائغ العربي الجنوبي حيث كانت على شكل هلال بداخله زخارف[5][انظر الشكل رقم 9].

(1)- الطاهر ذراع، **المجتمع العربي القديم وحضارته**، ج1، د.د.ن، قسنطينة، 2010 م، ص 170.

(2)- عبد الرحمن الطيب الأنصاري، **قرية الفاو صورة للحضارة العربية قبل الاسلام**، د.د.ن، الرياض،1982 م، ص 28.

(*)- **زهرة:** هي أكبر قرى يثرب بين حره وواقع والسالفة.

(3)- محمد سهيل طقوس، المرجع السابق، ص 63.

(4)- أحمد إبراهيم الشريف، المرجع السابق، ص 400.

(5)- جواد علي، المرجع السابق، ج8، ص 57.

ب. صناعة المسكوكات (النقود المعدنية): عرف العرب صناعة النقود المعدنية وذلك بفعل الإزدهار التجاري الذي عرفه العرب خاصة في العربية الجنوبية، فكان العرب من خلال ممارساتهم للأعمال التجارية واتصالاتهم بالأمم المجاورة قد تعرفوا على النظام النقدي واستخدامه في المعاملات وقد أدركوا أنه من الضروري سك عملات خاصة بهم وذلك لزيادة دورهم التجاري في العالم القديم، وقد استخدم في سك العمولات الذهب والفضة والنحاس والبرونز، وإن كانت الفضة والبروز تشكل النسبة الكبرى منها[1].

ويبدو أن سبأ كانت أول دولة عربية جنوبية سكّت نقودًا، وقد قلدت العملة الآتيكية ثم تأثرت بالعملة الرومانية، ونقش عليها اسم مركز الضرب مثل (نجران، حضرموت) وورثت الدولة الحميرية العملة السبئية فسكت نقودًا مماثلة في ظفار، لكنها أضافت إليها رسومًا عربية مما جعل الطابع العربي غالبًا على الطابع الأجنبي[2].

وسكت الدولة المعينية نقودا خاصة بها نقش عليها كتابات عربية تميزت مع النقود النبطية بسعة انتشارهما وانتقالهما إلى خارج حدود شبه الجزيرة العربية، كما سكت الدولة القتبانية نقودا في الفترة الواقعة بين 50 إلى 150 ميلادي في حاضرتها تمنع، واستمرت الدولة الحضرمية تسك العملة حتى القرن الثالث الميلادي، وقد نقش على أحد وجهيها صورة وجه الملك وعلى الوجه الآخر صورة نسر، إلى جانب صورة رأس الثور في بعض الأحيان ونقش على بعضها اسم الآله (سن) كما تحمل بعض النقود إشارات ورموز لها صلة بديانة العرب الجنوبيين[3].

---

[1]- الطاهر ذراع، المرجع السابق، ج1، ص 173.

[2]- محمد سهيل طقوس، المرجع السابق، ص 65.

[3]- نفس المرجع.

وفي شمال شبه الجزيرة العربية سك الأنباط عملة خاصة بهم مقلدين العمولات اليونانية في العهد الهلّيني، وبمرور وقت تطورت النقود النبطية وأخذت طابعها العربي. [انظر الشكل رقم 10].

وفي شرقي شبه الجزيرة العربية مركزان لسك العملة وهما في الجرهاء وهجر، والتي كانت تقليدًا للعملة اليونانية، لكنها تحمل نقوشًا عربية باسم ملك البلاد[1]،كما تعامل الناس في دولة كندة بالعملات المحلية ذات الطابع العربي وقد نقش على أحد وجهيها صورة إنسان، من المرجح أن تكون صورة الملك، ونقش على وجهها الآخر نقش يشير إلى اله الدولة "كهل"[2].

ج. صناعة الأواني: شكلت صناعة الأواني المعدنية نسبة كبيرة من مجمل أواني سكان شبه الجزيرة العربية، وقد تمثلت في القدور، والأطباق، والسكاكين، والأكواب، والأقداح والمرايا، حيث كانت تصنع من البرونز والنحاس، كما صنعت من الذهب والفضة للطبقات الثرية[3].

د. صناعة الأسلحة: عرفت شبه الجزيرة العربية صناعة الأسلحة والدروع، كما احترفها يهود يثرب وروجوا لها ترويجا، ومنها صناعة السيوف والنبال[4].

أما عن المعادن المستخدمة في حرفة التعدين وأماكن تواجدها، فيأتي الذهب في مقدمتها فقد وجد في عدّة مناطق، مثل بيشة في عسير، وضنكان، كما أن المنطقة الممتدة بين (القنفذة) في تهامة عسير شمالًا حتى قرية (عقود) في تهامة اليمن جنوبًا، كانت معروفة بوجود التبر فيها، واشتهرت ديار (بني سليم) بوجود المعادن فيها وارتبط منجم الذهب فيها باسمها وقيل معدن (بني سليم)، كما وجد في مواضيع أخرى من أرض مدين واليمامة[5].

(1)- علي محمد معطي، المرجع السابق، ص 154– 155.
(2)- عبد الرحمن الطيب الأنصاري، المرجع السابق، ص 124- 125.
(3)- الطاهر ذراع، المرجع السابق، ج1، ص 171.
(4)- أحمد ابراهيم الشريف، المرجع السابق، ص 400.
(5)- جواد علي، المرجع السابق، ج1، ص 192- 194

أما معدن الفضة فيعتبر من المعادن المشهورة المعروفة في اليمن، وقد عرف في نصوص المسند بـ(صرفن) أو (الصرف)، وأهم مواضعه الرضراض شمال مأرب واليمامة[1]، كما اشتهرت منطقه عمان بوجود النحاس[2].

وقد تم اكتشاف أكثر من 44موقعًا لاستخراج المعادن، وأهمها موقع السيل، ووادي بني عمر الغربي، وعرجاء، وموقع سمادة، كما وجد الرصاص في همدان، وكذلك وجد الجزع والعقيق وهما من الأحجار الكريمة في مواضع عديدة من اليمن، وفي نجران وبيحان، وبعضه بأرض وادعة بين صعدة والحجاز[3].

وقد عرف المشتغلون بالمعادن طريقه خلط المعادن فخلطوا بين الفضة والرصاص أو النحاس في صنع النقود، ويكون خلط المعادن بنسبة معلومة حتى تؤدي الغاية المرجوة من ذلك الخلط[4].

2. صناعة الغزل والنسيج:

تعتبر حرفة الغزل والنسيج من الحرف التي وجدت في مناطق مختلفة من شبه الجزيرة العربية كالقسم الشرقي والحجاز وغيرها، غير أن أهمها هي العربية الجنوبية، التي انتشر منتوجها من هذه الحرفة في كل أنحاء شبه الجزيرة العربية، وقد عرفت هذه المنتوجات بأسماء مناطق انتاجها واشتهرت بها[5].

ونشطت صناعة الغزل والنسيج لتوافر مواد خام وجدت في شبه الجزيرة العربية، كالقطن والكتان، والصوف، وشعر الماعز، بالإضافة إلى مواد جلبت من الخارج، كالحرير الذي يأتي برًا عبر البلدان الواقعة شمال شبه الجزيرة العربية، أو بحرًا من الصين والهند وغيرها[6].

---

[1]- جواد علي، المرجع السابق ،ج7، ص 514- 515.

[2]- هشام عبد العزيز ناشر، المرجع السابق، ص 51.

[3]- الطاهر ذراع، المرجع السابق، ج1، ص 167.

[4]- جواد علي، المرجع السابق، ج7، ص 569.

[5]- هشام عبد العزيز ناشر، المرجع السابق، ص 53.

[6]- نفس المرجع. انظر كذلك: جمال سليمان علي عامر، المرجع السابق، ص 24،110،130.

وقد قامت صناعة النسيج في مدينة مكة وحاولوا استغلال صوف الضأن التي يمتلكونها فنسجوا منها الثياب الموشاة بالحرير[1]، ولم تقتصر صناعة النسيج على الرجال فقط في مكة بل امتهنتها النساء، وهي حرفه عرفها المجتمع العربي قبل، من خصوصيات المرأة[2].

وبوجود صناعة النسيج، كان لابد من وجود حرفة الصباغة، التي ارتبطت بها ارتباطا وثيقا وكان العرب عامة وأهل اليمن خاصة، يستخدمون أصباغًا مستخرجة من النباتات الطبيعية لتلوين الثياب والأقمشة باللون الأحمر أو الأصفر أو الأخضر، أو بمزج الألوان للحصول على صبغة أكثر ثباتًا وتركيزًا، وهكذا راجت الأقمشة والثياب اليمنية، وأقبل عليها الناس من مختلف أنحاء شبه الجزيرة العربية[3].

3. الصنـاعـة الجلديـة والدباغـة:

كانت دباغة الجلود من الصناعات الرائجة في شبه الجزيرة العربية، وكانت تشمل عدّة صنائع مثل القرب والنعال، فضلا عن الخيام [4]، وقد بين القرآن الكريم ذلك في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ (80)﴾[5]، ويتم فيها معالجة جلود الحيوانات كالبقر والغنم والإبل والحيوانات البرية إذ يعمل الدباغون على تنظيف وترقيق الجلد مستخدمين بعض المواد المستخلصة من الأشجار، والنباتات[4]، وأهم النباتات التي تستخرج منها الألوان ما يلي:

- **الورس**: ويزرع في اليمن ويبقى في الأرض مدة عشرين عامًا من دون أن يتلف.
- **العصفر**: صبغة حمراء وهو نوعان بري وريفي وكلاهما ينبت في أرض العرب.

---

(1)- ظاهر ذباح الشمري، المرجع السابق، ص 333.

(2)- نفس المرجع.

(3)- هشام عبد العزيز ناشر، المرجع السابق، ص 53.انظر كذلك: علي محمد معطي، المرجع السابق، ص 161- 162.

(4)- محمود عرفه محمود، المرجع السابق، ص 230.

(5)- سوره النحل، الآية 80.

– **الزعفران**: لون زهرها أصفر ومصدرها بلاد العجم وقد حرفه العرب فقالوا: ثوب مزعفر وزعفر ثوبه، ويزعفره زعفرة[1].

– **الأرقان والحلق**: فأما الأرقان فهو شجر له صبغ أحمر، والحلق شجرة تنبت نبات الكرم ولها ورق حامض.

– **الحناء**: منابته بأرض العرب كثيرة، وقد استعمل في صبغ الأنسجة الحريرية[2].

– **ماء الشقائق**: فإنه شديد السواد يصبغ به الشعر وغيره.

– **ورق العشرق والقان**: العشرق يسود الشعر وينبته والقان يجعد الشعر ويسوّده[3].

– **قرف الأرطى وقرف السدر**: القرف لحاء الشجر، ذات عروق حمراء فإذا صبغ الثوب بقشور هذه العروق قيل صبغ ثوبه بقرف.

– **الصرف**: صبغ أحمر يصبغ به شرك النعال.

– **اللّكُّ**: نبات صبغه أحمر يصبغ به الأدم، جلود البقر والماعز وغيرها وهو شديد الحمرة[4]، وكانت عملية استخراج الأصباغ تتم إمّا بنقع هذه الخامات بالماء أو طبخها على النار حتى تصبح مادة صالحة لتلوين الجلود والأقمشة والثياب[5]، وكان العرب القدماء ينسجون الثياب ويصبغونها وهي في حالة النسيج الأصلي أي قبل تفصيلها وكانت بعدَّة ألوان وأهمها:

– **الصبغة البنية**: ويرجع العلماء اللون البني الموجود على الملابس والأقمشة إلى نبات الكاد الهندي، حيث كان الهنود يستخدمونه في صباغة الملابس القطنية.

---

(1)- محمد سهيل طقوس، المرجع السابق، ص 71 – 72.

(2)- جمال سليمان علي عامر، المرجع السابق، ص 133.

(3)- علي محمد معطي، المرجع السابق، ص 167.

(4)- محمد سهيل طقوس، المرجع السابق، ص 72.

(5)- علي محمد معطي، المرجع السابق، ص 164.

– **الصبغة الزرقاء**: وكانت تستخرج من أنواع عديدة من النباتات، وكانت تعرف باسم الصبغة النيلية حيث كانت تنمو في الهند وأهمها أوراق نبات النيلة البرية.

– **الصبغة الخضراء**: اللون الأخضر في الأقمشة كان مكون من اللونين الأزرق والأخضر.

– **الصبغة الحمراء**: كانت الصبغة الحمراء في الغالب من نباتات فوة الصباغين، أو من مادة المغراة الحمراء الموجودة في صحراء شبه الجزيرة العربية، كما يرجح أن يكون اللون الأحمر البرتقالي مصدره نبات الحناء، الذي كان ينمو في شبه الجزيرة العربية مخلوطًا بلون أحمر مستخرج من زهور القرطم.[1]

أما الآلات التي كانت تستخدم في دباغة الجلود وصبغها فهي: الإشفى، والمبخر والمسرد، والمخصف والمغراص، والمجوف، والمنحاز، والأزاميل، والمحط، وهو نوع من الخشب وقيل من الحديد، وهناك المحلاة فكانت تستعمل لإزالة شعر الجلد، واستخدم الجير لهذه الغاية أيضا[2].

4. صناعة الروائح والعطور:

تعتبر صناعة الروائح والعطور من الصناعات الرائجة التي كانت تدر أرباحًا كبيرة، وخاصة العربية الجنوبية التي كانت تصنع اللاريم وهو من أزكى العطور رائحة، والطيب الذي كان يصنع من جملة مواد عطرية مع الماء أو الدهون، فمنه الذي يرش وآخر يدهن به أو يمسح به[3].

ومن المواد العطرية أيضا اللبان ومنه الرند والضرو والمر وغيرها وتستخرج كلها من نباتات تنمو في أنحاء مختلفة من شبه الجزيرة العربية، وكان يصنع من المر الأدوية ويضاف إلى الخمور لإكسابها رائحة زكية، أما العنبر فهو مادة بحرية تجمع في فصل الشتاء من السواحل الجنوبية، وأشهره العنبر الشجري ومن أنواعه الأبيض والأسود والدخني الذي يعتبر أجوده[4].

[1]– جمال سليمان علي عامر، المرجع السابق، ص 226.

[2]– علي محمد معطي، المرجع السابق، ص 165.

[3]– محمود عرفة محمود، المرجع السابق، ص 233.

[4]– محمد سهيل طقوس، المرجع السابق، ص 73 .انظر كذلك: نورة عبد الله علي النعيم،(الوضع الإقتصادي...)،ص 190-191.

5. الصناعة الخشبية:

هي الصناعة التي يعالج بها النجار الخشب، لصنع ما يلزم من مواد يحتاجها الإنسان وقد استفادوا منها في مجالات البناء المختلفة، كتقوية الجدران، وصنع السقوف، والأبواب والشبابيك، والسلالم وغيرها، بالإضافة إلى أثاث القصور والمنازل؛ وقد ساعد في قيام هذه الصناعات، نمو عدد كبير من الأشجار في مرتفعات شبه الجزيرة العربية وخصوصا في جهتها الغربية وفي جنوبها الشرقي، واستفادت منها في صناعة المراكب والسفن وقد ساعدها في ذلك الخشب الذي يتم استيراده من الهند وشرق إفريقيا[1].

إلى جانب الصناعات الخشبية، فقد استخدموا من النباتات البرية والأشجار الجبلية الفحم، ويتم ذلك بحرقها أولا ثم بإطفاء جمرها، وذلك للاستفادة منه في أغراض شتى، ثم ينقل الفحم إلى المدن والأسواق للبيع[2].

ومن أشهر الأشجار التي أدخلها العرب في صناعتهم النخلة، الجوز، الطلح، العوسج الخزم، الضرو، العرعر[3]، وعلاوة على الصناعات التي ذكرناها هناك صناعات أخرى مثل الصناعة الغذائية والفخارية وغيرها.

تركزت أغلب الصناعات في شبه الجزيرة العربية في المنطقة الجنوبية وذلك لتوفر المواد الأولية والأيدي العاملة، بالإضافة إلى أهم عنصر وهو الاستقرار في ظل حكومات قوية وكل هذا ساعد على تطور الصناعات في شبه الجزيرة العربية.

IV. التجارة:

تعد التجارة مورد اقتصادي آخر، ولعله أهم الموارد التي لعبت دور أساسيًا في تشكيل الحياة الاقتصادية بما لها من تدخلات أخرى (اجتماعية ـ سياسية ـ دينية) في مجتمع شبه الجزيرة العربية[4]، فهي الحرفة الوحيدة التي مارسها العرب بمختلف فئاتهم[5].

---

(1)- هشام عبد العزيز ناشر، المرجع السابق، ص 54 .انظر كذلك: علي محمد معطي، المرجع السابق، ص 170.

(2)- جواد علي، المرجع السابق، ج7، ص 92- 93.

(3)- نفس المرجع، ص 93.

(4)- لطفي عبد الوهاب يحي، المرجع السابق، ص 306.

(5)- جواد علي، المرجع السابق، ج7، ص 228.

1. أهميـــة التجـــارة

لقد كان لموقع الوسط الذي تحتله شبه الجزيرة العربية وما ترتب عليه من مرور التجارة من الشرق إلى الغرب، ظاهرة جلبت اهتمام الكتاب الكلاسيكيين في العصرين اليوناني والروماني بدرجة تعطي تصور واضح عن حجم هذا المورد وأثره في التنمية الإقتصادية في شبه الجزيرة العربية في ذلك العصر، الذي وصل فيها استهلاك الطيوب والتوابل إلى حد كان مجالا لحديث هؤلاء الكتاب، فإلى جانب التفاصيل التي أفاضوا فيها عن طيوب شبه الجزيرة العربية وتوابلها ووصولها إلى العالم الغربي، فإنه يعرف من خلال الكتابات التي تركها هؤلاء أنّ عرب شبه الجزيرة العربية لم يكونوا يقتصرون على تصدير طيبهم وتوابلهم إلى الغرب، وإنما كانوا يصدرون ما يستوردونه من هذه السلع من الهند والحبشة وبعض مناطق السودان والصومال ويشير (بلينوس) إلى الحجم الهائل الذي كانت تستورده روما من شبه الجزيرة العربية ضمن حديثه عن واردات روما من بعض هذه المناطق في أواسط القرن الأول الميلادي، حيث يذكر في مجال الحديث عن هذه السلع أن الهند والصين وشبه جزيرة العرب تأخذ كل عام 100مليون سستركة Sesteros (عملة رومانية)، وهذا المبلغ كان كبيرا حتى بالنسبة إلى الإمبراطورية الرومانية آنذاك وينهي حديثه بهذه العبارة: (وهذا هو ما يكلفنا ترفنا ونساؤنا)(1).

وقد عاد هذا المورد التجاري على عدد من مناطق شبه الجزيرة بقدر كبير من الثروة ويتحدث الجغرافي سترابون (Strabo) عن غنى المنطقة الجنوبية الغربية في مجال وصفه لأسباب الحملة الرومانية(2) التي شنها أغطس على هذه المنطقة في 24ق.م،فيذكر أن الحافز الذي دفع الإمبراطور الروماني إلى محاولة احتلالها هو ما سمعه عن ثروة سكانها ومن ثم كان هدفه هو التعامل معهم كأصدقاء أثرياء أو السيطرة عليهم كأعداء أثرياء(3) [انظر الخريطة رقم 7].

(1)-Pliny, Natural history,***translation By rackham (h)***,London, 1957 vol6 p 84.
- Musil, A,***in the arabian desert***, N Y, 1930, p 21.
(2)-Strabo,***the geographyof Strabo translated by jones (H. C***) in 8 vols, London, 1912, V4, p 19- 22.
(3)-Strabo, op, cit, vol 4, p 2.Browen, R,***Ancient trade routes, Johnson hopikins***, press Baltimore, 1958, p 60.

2. التجــارة الداخليــة وأهــم مراكزهــا:

نشطت الحركة التجارية في شبه الجزيرة العربية نشاطا كبيرا، فكانت القوافل تجوب الطرق والدروب والمسالك المنتشرة ببلاد العرب، ومما زاد في إنتعاش التجارة معرفة العرب منازل النجوم وتحركات السحاب والرياح فكانوا يخرجون قوافلهم التجارية في أكثر الأوقات ملائمة صيفًا وشتاءً[1]،وقد جاء في القرآن الكريم ما يدل على ذلك فقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾[2].

لقد لقيت التجارة في المجتمعات الحضارية اهتمامًا وأقبل القوم عليها اقبالًا شديدًا[3] فجنوب الجزيرة عامة واليمن خاصة كغيره من المراكز الحضارية التي توفرت له جملة من المقومات الطبيعية والبشرية، هيأته ليحتل مكانة بارزة في النشاط التجاري[4].

وكان من أسباب ذلك الازدهار الإقبال الكبير على مواد البخور وأهمها اللبان الذي تنتج منه اليمن أجود أنواعه، وقد اشتهرت ظفار بإنتاجها له، والمر الذي كان يدخل في صناعات حيوية،(أهمها صناعة تحنيط الموتى في مصر القديمة)، وقد لعبت شبوة عاصمة حضر موت دورًا هامًا في تجارة البخور[5].

وقد استغل حكام الممالك العربية الجنوبية موقع الوسط والاستراتيجي فزادوا ضرائب البضائع زيادة مؤثرة، فعلى سبيل المثال لم يكتفي ملك قتبان بجباية الضرائب على كل الطيوب بمناطق نفوذه، بل فرض على التجار إعطاء حصص معينة من الطيوب لعدد من فئات الدولة مثل: رجال الدين وأمناء الملك وحرسه وحاشيته وخدمه وحراس البوابات فالقانون القبتاني المعروف عند الدارسين باسم (قانون تمنع التجاري) نقيشة (Res4337)[*] صدر

---

[1]- محمود عرفه محمود، المرجع السابق، ص 245.

[2]- سورة الأنعام، الآية 97.

[3]- توفيق برو، المرجع السابق، ص 237. وكذلك:

Browen.R, ***Ancient trade Routes***, Johnson hopikins, presse Baltimore, 1958, p 60.

[4]- وائل فتحي مرسي، **المجتمع اليمني القديم**، دراسة من خلال المناظر والنقوش، ماجستير في الآثار، جامعة القاهرة، د.ت، ص 76.

[5]- محمد عبد القادر بافقية، المرجع السابق، ص ص 174، 175، 189أحمد أمين، **فجر الاسلام**، ط10، دار الكتاب العربي، 1969 م، ص 12.

[*]- للإطلاع على القانون، أنظر: نورة عبد الله علي النعيم،(التشريعات....)، المرجع السابق، ص 645. وما بعدها.

عن الملك (شهر هلال) وهو قانون يتكون من 24مادة تهدف إلى تنظيم التجارة داخل العاصمة تمنع أراضي قتبان، ولحماية حقوق الشعب القتباني، وسنذكر بعض منها:

–أي تاجر غريب يأتي إلى تمنع وينوي التجارة فيها يجب أن يكون له متجر.

–. يحق للقتبانيين فقط المتاجرة مع القبائل الأخرى المجاورة.

– على تجار تمنع دفع ضريبة السوق في تمنع مهما كانت تجارتهم.

– فرض غرامة مالية على أي تاجر دخل أراضي قتبان وهو محمل بالسلع وينوي المتاجرة بها دون الحصول على إذن رسمي[1].

أدى انهيار سد مأرب، في جنوبي شبه الجزيرة العربية، واحتلال الأحباش لليمن عام 525 ميلادي، إلى تقلص نفوذ الجنوبيين على مسرح التجارة، مما أفسح المجال أمام أهل الحجاز عمومًا وأهل مكة خصوصًا من أن يلعبوا دورًا رئيسيًا، وأن يحتلوا مركز الزعامة التجارية في شبه الجزيرة العربية في بداية القرن السابع ميلادي[2].

وقد تكفل موقع مكة الجغرافي بالمساعدة على النشاط التجاري وذلك لأنّ مكة تقع في منتصف طرق القوافل الذي يربط اليمن بكل من الشام وبلاد الرافدين، لذا فقد كانت محطة لأصحاب القوافل يتوقفون بها طلبًا للراحة والتزود بالماء والمؤونة وبذلك وجد أهل مكة فرصة لكسب معيشتهم من خلال تقديم الخدمات لأصحاب القوافل وتعاطي التجارة معهم[3] ومما ساعدهم على ذلك كونها مركزًا دينيًا يحج إليه سنويًا عدد كبير من العرب، وبذلك يتيحون للمكيين سوقًا تجاريًا للمبادلة والإستهلاك[4].

[1]– نورة عبد الله علي النعيم،(التشريعات ...)، المرجع السابق، ص 182- 183.

[2]– أحمد إبراهيم الشريف، المرجع السابق، ص 219- 220.

[3]–هاشم يحيى الملاح، **الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة**، دار الكتاب العلمية، بيروت، د.ت، ص 13. ومن العوامل التي ساعدت على رواج تجارة مكة، حلف الفضول الذي، ذكرناه سابقا.

[4]– صالح أحمد العلي، المرجع السابق، ص 96.

إنّ الواقع التجاري في مكة هو الذي يفسر كثرة التعابير المالية والتجارية التي وردت في القرآن الكريم كالحساب والميزان والقسطاس والذرة والمثقال والقرض[1].

كما عرفت يثرب حركة تجارية، ارتبطت بالإنتاج الزراعي الوافر والمصنوعات، إذ كان من الضروري أن يقوم المزارعون ببيع الفائض من حاصلاتهم الزراعية في السوق من أجل شراء احتياجاتهم من السلع والمواد الغذائية التي يحتاجونها، ولم تكن جميع المواد التي يتم التعامل معها في سوق المدينة من انتاج أهل المدينة، بل كان قسم منها يرد إليها من البادية كالمنتوجات الحيوانية من السمن واللبن والصوف وغير ذلك[2].

وقد ارتبطت بتجارة يثرب بعض الأعمال كالصيرفة، والسمسرة، والإقراض بالربا، وقد أساء أهل يثرب استخدام هذه الأعمال وأصبحت وسيلة للغش والإستغلال، لذا فقد نها الرسول صلى الله عليه وسلم عن مبادلة السلع المتماثلة كمبادلة الذهب بالذهب والفضة بالفضة وكما نهى عن الخروج من المدينة لتلقي القادمين من البدو لشراء السلع منهم وبيعها لما يصاحب ذلك من استغلال[3].

أما الإقراض بالربا الذي كان يمارسه اليهود على نطاق واسع، وكذلك بعض أغنياء المدينة من الأوس والخزرج، فقد حرمه الإسلام بصورة قاطعة لما كان ينطوي عليه من استغلال كبير لحاجة الفقراء والمعوزين[4]، وذلك في العديد من الآيات منها قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ۗ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ۚ فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فانتهى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فأولئك أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿275﴾﴾[5].

كانت التجارة الداخلية في بلاد العرب مركزها السوق وجمعها أسواق وتسوق القوم إذا باعوا واشتروا، فهي موضع البياعات، وتصغير السوق سويقة[6]، ويستخدم العرب مصطلحات

---

(1)-صالح أحمد العلي، المرجع السابق ، ص 96.

(2)- أحمد ابراهيم الشريف، المرجع السابق، ص 388. . - Sardar, Ziaudin, ***Mecca the sacred***, publishing, USA, 2014, P 164 -

(3)- هاشم يحيى الملاح،(الوسيط في تاريخ ...)،المرجع السابق، ص 28.

(4)- نفس المرجع.

(5)- سورة البقرة، الآية 275.

(6)- ابن المنظور، المصدر السابق، مج 10، ص 167.

تطلق على السوق من حيث الرواج والكساد، فيقولون نفقت السوق أي راجت، وإذا كسدت يقولون انحمقت[1] [انظر الخريطة رقم 8].

فكان العرب يجتمعون في الأسواق للبيع والشراء، ومن هذه الأسواق ما هو دائم ويستمر طوال العام، ومنها ما هو موسمي يعقد على شهر معين من السنة، ومنها ما هو عام يرتاده الناس من أطراف الجزيرة كلها كعكاظ في الأشهر الحرم[2]، أو ما هو محلي يقتصر على ما يجاوره من القرى كسوق هجر، وحجر اليمامة، والشحر، وغيرها[3].[انظر الشكل رقم 11]

لقد تعددت الأسواق في شبه الجزيرة العربية ومع أن هذه الأسواق أقيمت لغاية أساسية هي التجارة وتبادل السلع المختلفة، غير أنها لم تكن تقتصر على هذا الأمر بل كان أشبه بنادٍ يعرض فيه إلى جانب البضاعة الأدب من شعر ونثر، وكان يؤمه الكثير من حكماء العرب وشعرائهم ليلقوا حصائلهم من شعر ونثر، إما على ظهور جمالهم أو من فوق منابر نصبت لهم[4]؛ وقد عدها (بروكلمان) من أهم الأسباب في توحيد نظرة العرب إلى العالم وصهر عاداتهم ومفاهيم الشرف عندهم في بوتقة واحدة ومنحهم لغة شعرية مركزة تسمو على جميع اللهجات[5].

فقد ازدهرت التجارة الداخلية في شبه الجزيرة العربية وكثرة أسواقها واختلفت أوقات قيامها حتى يتسنى للناس التداول عليها واقتناء ما يعرض من المنتجات، وبذلك صارت حركة تجارية نشطة طوال العام.

---

(1)- جواد علي، المرجع السابق، ج7، ص 366.

(2)- الأشهر الحرم أربعة: وهي ذو القعدة، ذو الحجة، ومحرم، ويأتي رجب منفردًا وقد لقب برجب "الأصم" وفيهن تضع العرب سلاحها، وكان من أعظم العار أن يتعدى المرء حدود الأشهر الحرم، ولذا سمت العرب حروب قريش وهوزان في عكاظ بحروب الفجار لفجورهم باقتتالهم في الشهر الحرام، سعيد الأفغاني، **أسواق العرب في الجاهلية والإسلام**، ط3، دار الفكر،1974 م، ص 70.

(3)- نفس المرجع، ص 193.

(4)- عمر فروخ، **العرب في حضارتهم وثقافتهم**، د.ط، دار العلم للملايين، د.ت، ص 86.انظر كذلك: أحمد حسين شرف الدين، **مسالك القوافل التجارية في شمال الجزيرة العربية**، ج2، د.ط، دراسات تاريخ الجزيرة العربية، جامعه الملك سعود، د.ت، ص 256.

(5)-كارل بروكلمان، **تاريخ الشعوب الإسلامية**، تر، نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، ط5، دار العلم للملايين، بيروت، 1968 م، ص 26.

3. طـرق التجــارة فـي شبــه الجزيــرة العربيــة:

اتصلت شبه جزيرة العرب مع غيرها من البلدان والأقطار وارتبطت معهم بعلاقات تجارية واسعة وذلك بموقعها الوسط بين أقطار العالم القديم برًا وبحرًا حيث كان للطرق البرية التي تخترق شبه الجزيرة العربية طوليًا وعرضيًا دورًا كبيرًا في نشاط الحركة التجارية [انظر الخريطة رقم 9].

أ. **الطـرق البريــة:** هناك عدة اتجاهات رئيسية للطرق البرية، فالاتجاه الأول كانت تتبعه طريق موازية تقريبًا للبحر الأحمر من أقصى جنوب شبه الجزيرة إلى المنطقة السورية وشواطئها في الشمال، هذه الطريق كانت تبدأ من مناطق قتبان في الركن الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة وحضرموت الواقعة إلى شرقيها وسبأ المتاخمة لهما من الناحية الشمالية[1].

ويبدو أن اتفاقًا ما كان قائمًا في أواسط القرن الثاني الميلادي بين اثنتين من هذه المناطق الثلاثة وهما سبأ وقتبان، تتجمع بمقتضاه أحمال الطيوب في تمنع عاصمة قتبان، ولعل التضاريس الجغرافية هي التي قضت بهذا الاتفاق ومن تمنع تبدأ الطريق إلى القوافل الرئيسية نحو الشمال مخترقة الحدود الشمالية لمنطقة سبأ لتتخذ بعد ذلك شكل ممر طويل ضيق يقع في أرض المعينين، ثم تصل بعد ذلك إلى مكة التي أصبحت قبل ظهور الإسلام مركزًا تجاريًا نشطًا يعقد الصفقات ويبرم الاتفاقيات، سواء منها الداخلية أو مع الدول المتاخمة لشبه الجزيرة العربية ثم تستمر الطريق شمالا إلى ديدان (العلى الحالية) ثم إلى مدين (مغاور شعيب حاليا) ثم إلى أيلة (العقبة حاليا) ثم بعد ذلك الى البتراء عاصمة الأنباط، ثم تتفرع الطريق إلى فرعين أحدهما إلى تدمر في الشمال والآخر يتجه إلى الغرب مع ميل طفيف إلى الشمال الغربي حتى يصل إلى غزة على الشاطئ الفلسطيني، هذا وقد زيد على هذين الفرعين فرع ثالث في عهد الإمبراطور (ترجان يصل) بين أيلة العقبة وتدمر[2].

[1]- لطفي عبد الوهاب يحي، المرجع السابق، ص 314

[2]- نفس المرجع، ص 314- 315.

هذه هي الطرق البرية الطويلة التي كانت تصل بين جنوبي شبه الجزيرة العربية وشمالها اتجاهًا إلى المنطقة السورية، أما عن الطريق التي كانت تخترق شبه الجزيرة عرضًا فقد عرفت المنطقة أربعة منها على الأقل في العصور السابقة للإسلام[1].

- الطريق الأول:

الطريق الجنوبي الممتد من المناطق التي تنتج المر في الغرب ويتجه شرقا على طول الساحل المتعرج للجزيرة العربية حتى يصل إلى المنطقة المنتجة للقرفة على بعد 600 ميل، ويبدو أن هذا الطريق لم يصل إلى المحيط الهندي أو الخليج العربي، والراجح أن قوافل القرفة كانت تستخدمه لإيصالها إلى تمنع عند بداية خط القوافل المتجهة شمالا.

- الطريق الثاني:

الذي ينطلق من القسم الجنوبي الغربي لشبه الجزيرة متخذًا اتجاها شماليا إلى جرهاء، ومنها إلى وادي الرافدين إمّا برًا وإما في قوارب تبحر في الخليج العربي حتى تصل إلى نهر الفرات ومن هنا تستأنف رحلتها إلى مختلف الأسواق[2].

- الطريق الثالث:

وهي الطريق البرية التي تخترق شبه الجزيرة العربية عرضًا تبدأ من مكة وتنتهي إلى وادي الرافدين، حيث قام القريشيين بإبرام اتفاق مع الفرس هدفه تأمين تجارة القرشيين في المناطق الواقعة تحت سيطرة الفرس، ثم يتفرع هذا الطريق عند حائل إلى فرعين: أحدهما يصل إلى مصب الفرات مارًا بموقع (بريدة) والآخر يصل إلى بابل مارًا بعدد من المواقع، وقد أضحى هذا الأخير طريقًا للحج والتجارة ،وفي عصر الإسلام عرف باسم (درب زبيدة)[3].

---

[1]- شايع عبد الله بن محمد، **أطلس الشواهد الأثرية على مسارات طرق القوافل القديمة في شبه الجزيرة العربية**، الرياض، 2019، ص 29. لطفي عبد الوهاب يحي، المرجع السابق، ص 316.

[2]- بلقاسم رحماني، المرجع السابق، ج1، ص 92 - 93.انظر كذلك: محمد سهيل طقوس، المرجع السابق، ص 84.

[3]- لطفي عبد الوهاب يحي، المرجع السابق، ص 318- 319.

- **الطريق الرابع:**

وهي الطريق العرضية التي تتفرع من الطريق الطويلة الجنوبية الشمالية، في اتجاه شمالي شرقي مارة بعدد من الأماكن أهمها تيماء، ثم دومة الجندل، لتنتهي إلى وادي الرافدين عند بابل على مصب نهر الفرات وهذه الطريق من الطرق التجارية الهامة القديمة[1].

- **النشـاط التجـاري البحـري:**

يعد الموقع الجغرافي لشبه الجزيرة العربية، موقعا يتيح لها إمكانيات واسعة في مجال التجارة البحرية، فهي تشغل موقعًا وسطًا بين البحرين وهما البحر الأحمر من الغرب، وبحر الخليج من الشرق، وبينهما يمتد المحيط الهندي ليستمر بعد ذلك شرقًا، كذلك فإن الرياح الموسمية التي تسود المنطقة عامل مساعد للملاحين إلى حد كبير، هذا إلى أن نهري الدجلة والفرات في شمال الخليج ونهر النيل عبر البحر الأحمر يشكلان في مجال النقل امتدادين لهذا الموقع التجاري الوسيط[2].

ولقد توافرت في شبه الجزيرة العديد من الموانئ التي ساهمت بشكل كبير في ازدهار التجارة البحرية. (انظر الخريطة رقم 10)

وأهم هذه الموانئ هي:

- **ميناء أيلة العقبة:**

يعد أهم موانئ الأدوميين (البحرين)[3]،شكل سوقًا تجاريًا منذ القدم، يقع على رأس خليج العقبة، ارتبط بعلاقات تجارية مع موانئ البحر الأحمر، ومراكز التجارة البرية التي قامت في شمال شبه الجزيرة العربية وغربها، بالإضافة إلى مراكز التجارة في جنوب سورية ومنذ القرن الخامس قبل الميلاد أصبح خاضعًا للأنباط واستغله تجارهم باعتباره البوابة التي

[1]- فياض خليل فياض، **التجارة العربية ومراكزها في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام**، بيروت، 2016، ص 29.انظر كذلك: لطفي عبد الوهاب يحي، المرجع السابق، ص 320-321.

[2]- لطفي عبد الوهاب يحي، المرجع السابق، ص 324.

[3]- جواد علي، المرجع السابق، ج1، ص ص 142،105،99.

أطلت منه مناطق الأنباط، ومناطق جنوب سورية على موانئ البحر الأحمر والمحيط الهندي وشرق إفريقيا[1].

– ميناء عدن:

أحد الموانئ العربية القديمة التي شهدت بداية نشاط اليمنيين البحري، وبداية ارتباطهم بالشرق الإفريقي، فهو موقع حصين، والجبال تكاد تحيط به من كل الجهات، تحميه من العواصف والرياح الموسمية التي تهب في الصيف من الجهة الجنوبية الغربية، ولقد تلقى هذا الميناء سلعًا مختلفة من البر والبحر، وظل يصدر البخور والطيوب والأحجار الكريمة وسلع الحبشة، وظلت هذه المدينة وميناءها نشيطين حتى سقوط حضرموت في القرن الرابع ميلادي.[2]

– ميناء جرهاء:

وهو ميناء على ساحل الإحساء اشتهر سكانها بالتجارة ويعد من الموانئ الهامة التي ارتبطت بالتجارة مع الهند وسواحل إيران الجنوبية، كما كان لها مبادلات تجارية مع موانئ بلاد العرب الجنوبية وبلاد العراق[3].

– ميـناء قـنا:

يقع ميناء (قنا) على الساحل الجنوبي لشبه الجزيرة العربية بالقرب من (بئر علي) حاليا وإلى الشرق من قرية (بلحاف)[4]، ويعتبر الميناء الرئيسي لحضر موت، وكانت له علاقات تجارية واسعة مع عمان وسواحل الهند وشرق إفريقيا، وفيه يجمع اللبان والبخور من البر والبحر[5]، وظل يصدر البخور والطيوب والأحجار الكريمة وتوابل الهند وسلع الحبشة، كما

---

[1]- هشام عبد العزيز ناشر، المرجع السابق، ص 84-85.انظر كذلك: محمد حمزة جار الله الشمري، **موانئ شبه جزيرة العرب وأثرها في النشاط الاقتصادي البحري قبل الإسلام**، بغداد، 2004، ص 135- 136.

[2]- حسن صالح شهاب، **أضواء على تاريخ اليمن البحري**، د.د.ن، بيروت، 1981، ص 242. محمد حمزة جار الله الشمري، المرجع السابق، ص 99- 105.

[3]- جواد علي، المرجع السابق، ج7، ص 275. انظر كذلك: محمد حمزة جار الله الشمري، المرجع السابق، ص 65-67.

[4]- اسمهان سعيد الجرو، **دراسات في تاريخ حضارة لليمن القديم**، دار الكتاب الحديث،2003 م، ص 73.

[5]- جواد علي، المرجع السابق، ج2، ص 159- 160.

ظلت هذه المدينة وميناءها نشطين حتى سقوط حضرموت في القرن الرابع ميلادي بيد الملك الحميري (شمر يهرعش) حيث أحرق وخرب القرى والمدن وقتل الكثير من سكانها[1].

– ميناء المخا:

ذكر صاحب كتاب الطواف أنه وجد ميناء (المخا) مزدحمًا بالمراكب والبحارة والتجار وأن الناس في شغل شاغل بالتجارة، وهي مدينة من الأسواق أقيمت على أساس من القانون، وأهلها يحكمون بعض السواحل الإفريقية باسم أمير المعافر في عهد الملك الحميري (كرب إل) ملك ظفار، وفي عهده أصبحت (المخا) هي الميناء الرئيسي لليمن[2].

– ميناء سمهرم:

يقع في منطقة تعرف اليوم (خور روري) ضمن إقليم ظفار، وكان تابعا لمملكة حضر موت، كميناء لتصدير اللبان[3]، وكان في الماضي من الموانئ المهمة لقربه من المنطقة التي تنبت فيها شجيرات اللبان، وقد عثرت البعثة لدراسة الإنسان تحت رئاسة (ويندل فيلبس) في موقعة على بقايا خزف تبيّن أنها ترجع إلى القرن الأول للميلاد[4].

شكلت هذه الموانئ نقاطا للعلاقات التجارية التي نشأت بين شبه الجزيرة العربية والأقطار الأخرى في العالم القديم.

من خلال عرضنا للمرتكزات الإقتصادية التي كانت البنية الضرورية لقيام النظام السياسي العربي القديم، فإننا نسجل أن هذه المرتكزات تمثلت في التجارة والزراعة والصناعة، حيث شكلت لبنة لقيام نظام اجتماعي وسياسي متناسق ومستقر بفضل الموارد الإقتصادية التي

[1]– زيادة نقولا، **دليل البحر الأريتيري وتجارة الجزيرة العربية البحرية**، دراسات في تاريخ الجزيرة العربية، ج2، جامعة الملك سعود، 1982م، ص 271. انظر كذلك: محمد حمزة جار الله الشمري، المرجع السابق، ص 105– 109.

[2]– مطهر علي الأرياني، المرجع السابق، ص 182.انظر كذلك: حسن صالح شهاب، المرجع السابق، ص 255،محمد حمزة جار الله الشمري، المرجع السابق، ص 144– 146.

[3]– هشام عبد العزيز ناشر، المرجع السابق، ص 87.انظر كذلك: محمد حمزة جار الله الشمري، المرجع السابق،ص ص143،115،113.

[4]– ويندل فيلبس،**كنوز مدينة بلقيس،قصة اكتشاف مدينة سبأ الأثرية**، ترجمة عمر الديراوي، بيروت، 1961م، ص47. انظر كذلك: بلقاسم رحماني، المرجع السابق، ج1، ص 96.

كانت إلى حد كبير مستقرة، مما أتاح أمنا ونشاطا سياسيا تجلت مظاهره في العديد من المجالات، دلت على ذلك العديد من الكتابات والمنتجات الحضارية التي خلفها إنسان المنطقة، ولعل أبرزها الخروج من دائرة البداوة إلى الإستقرار وبناء كيانات سياسية متحضرة بفضل العوامل الإقتصادية المذكورة.

الفصـل الثالـــث:

اسهامـات الجانب الاجتماعي والديـني في تطـور النـظام السياسـي

I. النظام الاجتماعي ودوره في تطور النظام السياسي:

1. فئـات المجتمـع العربـي

أ. البــدو

ب. الحضـر

2. الأســرة

أ. دور ومكانـة المـرأة فـي المجتمـع العربـي القديــم

ب. الـزواج وأنواعـه

ج. الطـلاق وأنواعـه

3. معاملـة الأطفــال

II. الدين ودوره في تكوين النظام السياسي:

1. مفهـوم الديـن

2. مراحـل تطــور الديــن

3. السلطـة الدينيــة

مرت الحياة الاجتماعية في شبه الجزيرة العربية بأنظمة مختلفة لتباين ظروفهم الاقتصادية وأنماط أساليب انتاجهم إذ عرفت الجزيرة، الحياة بنوعيها البدوي والحضري، وتباينت أحوالهم وتباعدت تطلعاتهم واختص كل قسم بنظام معين، وله قوانينه المحدّدة وقواعده المعروفة لكنهم عاشوا معًا مستخدمين شتى وسائل الاتصال ومتأثرين فيما بينهم أو مع من جاورهم من الأقوام والجماعات البشرية الأخرى[1].

وخلق هذا التفاوت الاجتماعي فئة مستضعفة أخرى عرفت بصعاليك العرب، برز منهم من يعود نسبه إلى أصل كريم ولم يلجأ إلى الصعلكة بدافع النهب والسرقة، بل إيمانًا منه بقيم إنسانية عالية ومبادئ عادلة هدفت إلى إقامة العدل والمساواة والتوازن بطرق القوة[2].

وقد ظهرت في المناطق الحضرية محاولات لإيجاد نظم اجتماعية جديدة، فعلى الرغم من أنهم افتقروا إلى نظام دولة ثابت ومحدد، تحلو بروح تعاونية ونظر ثاقب في الأمور التي تهم الصالح العام، وبالرغم من أنّ كل أسرة كانت في جوهرها حكومة قائمة بنفسها وضعت مصالح المدينة قبل كل شيء، أي أنه قام هناك سلطان يدل على وجود نظام صالح لإدارة المدينة، وهذا النظام كان حدثًا هامًا في بلاد العرب، بالرغم من بساطته وضيق حدوده[3].

I. النظام الاجتماعي ودوره في تطور النظام السياسي:

1. فئـــات المجتمـع العربـي:

أ. **البـــدو**: سكان الصحاري[4]، يعيشون في بيوت من الشعر[5]، ويقتاتون من ألبان الإبل ولحومها، منتجعين منابت الكلاء، مرتادين مواقع الماء، يخيمون هنالك ما ساعدهم الخصب وأمكنهم الرعي، ثم يتوجهون لطلب العشب وابتغاء المياه ولا يزالون في حل وترحال[1].

---

(1)- عمر فروخ، **العرب والإسلام في الحوض الغربي من البحر الأبيض المتوسط**، منشورات المكتب التجاري، بيروت، 1959 م، ص 114.

(2)- نفس المرجع، ص 110.

(3)- نفس المرجع، ص109. وكذلك: - Hoy Robert,G, ***Arabia and the Arabs from the Bronze Age to the comming islam***, NY,2005.

(4)- جواد علي، المرجع السابق، ج4، ص 271.

(5)- سيد أمير علي، **مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامي**، تر، رياض رأفت، مطبعه لجنه التأليف والترجمة والنشر، في القاهرة، 1938 م، ص 4.

(1)- جواد علي، المرجع السابق، ج4، ص 271.

وقد اتخذ البدو وسيلة أخرى من وسائل العيش وهو الغارة والسلب فيغيرون على القبيلة المعادية، فيأخذون جمالهم ويسلبون نساءهم وأولادهم، وتتربص بهم القبيلة الأخرى فتفعل بهم ما فعلوا بها، بل إذا لم يجدوا عدوا من غيرهم قاتلوا أنفسهم[1]، ومن أجل ذلك كثيرًا ما تضطر القبيلة التي ضعفت إلى الاحتماء بقبيلة قوية تذود عنها، أو إلى عقد تحالف معها ولكن قل ما يدوم حلفهم أو يطول فكثيرا ما تنفصم وحدّتهم وينقلب المتحالفون أعداء متحاربين[2].

ويمتاز البدوي بالقامة المتوسطة والنحافة نسبيًا، نظرًا لمقتضيات أسلوب حياته إلا أنّه في الوقت نفسه يمتاز بالذكاء والقوة كما يتصف غالبا بالعيون الداكنة الحادة بحكم التعود على مراقبة الأفق في البوادي خوفًا من الأعداء، والسمّة البارزة للبدوي هي حرصه على الاستقلالية والحرية الفردية والحياة الطليقة[3].

ومن صفات البدوي الأخرى الشجاعة والكرم، أمّا الشجاعة فتتجلى في كثرة منازله وقتاله، وعدم المبالاة بالموت دفاعًا عن قبيلته[4]، وفي هذا يقول ابن خلدون: "وأهل البدو لتفردهم عن المجتمع وتوحشهم في الضَّواحي وبعدهم عن الحامية وانتباذهم عن الأسوار والأبواب قائمون بالمدافعة عن أنفسهم لا يكلونها إلى سواهم ولا يثقون فيها بغيرهم فهم دائمًا يحملون السلاح ويتلفتون عن كلّ جانب في الطرق ويتجافون عن الهجوع إلّا غِرارًا في المجالس وعلى الرِّحال ...وقد صار لهم البأس خلقًا والشجاعة سجيةً يرجعون إليها متى دعاهم داعٍ أو استفزهم صارخٌ"[5].

---

[1]- أحمد أمين، المرجع السابق، ص 9.

[2]- نفس المرجع، ص 9 .

[3]- أكبر فياض، **تاريخ الجزيرة العربية والإسلام**، تر، علوب عبد الوهاب، ط1، جامعة القاهرة، 1993م، ص 11.

[4]- أحمد أمين، المرجع السابق، ص 10.

[5]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 156.

وأما كرمه فيتجلى في نحر الجزور للضيف، وإغاثة البائس الفقير وأن يعطي أكثر مما يأخذ[1]، وكانت هذه الصفة من أعظم مفاخرهم وأسمى سجاياهم وتعد من الصفات الإنسانية التي يتحلى بها العربي الأصيل.

وللبداوة في الصحراء قوانين لا تقل شأنًا في وضعها وتنظيمها عن قوانين الحياة في حواضر المدن، فلكل قبيلة رئيس له ولاية الحكم والفصل بين الأفراد في المنازعات والخصومات، وفي أوقات الحرب أو التنقل والترحال من مكان إلى آخر، يتولى أمر القيادة والإرشاد، وتنقل هذه المكانة أو الزعامة عن طريق الإرث، إلا أنّ العقل والشجاعة والسخاء تعد كذلك من شروطها[2].

فحياة البادية هي حياة صراع بصورة عامة، لذا كان البدوي مستعدًا دومًا بالشروط والمتطلبات اللازمة لمثل هذه الحياة، كما أن فكره لا يتجاوز مفهوم القبيلة، ولا يستطيع أن يقيم نظامًا حكوميًا منتظمًا ومجتمعًا مكتمل الأركان، وطالما ظل البدوي بلا سلطة تحكمه فإنّه يظل عرضةً للتشتت والفرقة[3].

ولو توفر للبدوي ما يؤمن له رزقه الدائم في مكانه الذي ولد فيه لما تنقل وارتحل، ولكن الطبيعة هي التي حرمته من نعيم الاستقرار، فهي إذن المسؤولة عن البداوة وانتشارها في شبه الجزيرة العربية[4].

ب. الحضــر: هم العرب المستقرون، عرفوا بأهل المدر، والمدر قطع الطين اليابس[5] وقد ورد في اللسان في حديث: (تبعه أهل الحجر وأهل المدر) يريد أهل البوادي الذين

---

(1)- أحمد أمين، المرجع السابق، ص 10.

والبدو كما قال القائل فيهم:

قوم إذا نزل الغريب بدارهم ... تركــوه ربُّ صـوامـل وبـيــان

إذا دعـوتهم يوم الـكريهـة ... سدو شعاع الشمس بالفرسان

أنظر الألوسي، المصدر السابق، ج1، ص 104.

(2)- فيليب حتي، **العرب تاريخ موجز**، ط6، دار العلم للملايين، بيروت، 1991 م، ص 16. انظر كذلك: أكبر فياض، المرجع السابق، ص 11.

(3)- أكبر فياض، المرجع السابق، ص 12-13.

(4)- حسين الحاج حسن، المرجع السابق، ص 27.

(5)- جواد علي، المرجع السابق، ج4، ص 271.

يسكنون مواضع الأحجار والرمال وأهل المدر أهل الحاضرة[1]، لأنّ بيوت المدر لا يكون في البادية، بل في الحضر.

والحضرُ والحَضْرةُ والحَاضِرةُ هي المدن والقرى والريف، وقد عرفوا بأهل القارية وذلك في مقابل أهل البادية لأهل البدو[2].

وأهل القرار هم الحضر، يعيشون من زراعة الأرض، أو على التجارة، ويقومون ببعض الحرف اليدوية، ومن طبيعتهم الإستقرار في الأرض تكون وطنًا ثابتًا لهم، ومقامًا يقيمون فيه فيحبونه ويموتون في سبيله[3].

وكان لطبيعة الجفاف الغالبة على شبه جزيرة العرب آثرها في حياة العرب الإجتماعية والسياسية وسائل النواحي الأخرى وحالت دون قيام مجتمعات كبرى قائمة على الإستقرار واستغلال الأرض، ومنعت من قيام حكومات تقوم على احترام حقوق الجميع دون النظر إلى العشائر والقبائل والرئاسات، أما الأماكن التي توافرت فيها المياه النابعة من الأرض، أو التي نزلت من السماء نشأة فيها مجتمعات مستقرة، وظهرت حكومات تختلف في تكوينها حسب الأحوال الطبيعية، والظروف المادية التي تيسرت لديها، مثل: حكومات الحيرة والغساسنة وحكومات العرب الجنوبيين[4].

ومجتمع اليمن المتحضر فيه صفات المجتمع الحضاري أكثر مما نجده في أي مجتمع حضري آخر في شبه الجزيرة العربية، فالمجتمع اليمني مجتمع استغل فكره ويده استغلالا حسنا في سبيل تكييف حياته لجعلها أكثر سعادة ورفاهية فاستغل الأرض، وأنتج المعادن وربى الحيوان، وأقام القصور، والحصون[5]، والسدود لحبس الماء في فصل الأمطار، مما يدل على أنه كان

[1]- ابن المنظور، المصدر السابق، ج4، ص 166.
[2]- نفس المصدر، ص 197.
[3]- جواد علي، المرجع السابق،ج4، ص 278.
[4]- نفس المرجع، ص 280 .وكذلك: -Hoy Robert. G. op cit, p 94.
[5]- حسين الحاج حسن، المرجع السابق، ص 29.

لديهم نظام حكم لتدبير شؤون الزراعة وتوزيع المياه، فقد استطاعوا بأعمالهم ومهاراتهم أن يقيموا حضارة لا تزالوا حصونها وهياكلها وقلاعها قائمة لم تندثر اندثارا تامًا[1].

إلا أن هناك من قسم مجتمع شبه الجزيرة العربية إلى ثلاثة أقسام هي:

1. **المجتمع الرعوي**: يتكون من سكان البادية الذين يعيشون على الرعي والترحال من أجل الكلاء والماء، ويمثلون الأغلبية الخاصة في شمال شبه الجزيرة العربية، كبني بكر وتغلب وعبس وذبيان ... وغيرهم[2].

2. **المجتمع الزراعي**: ويمثله سكان جنوب شبه الجزيرة العربية الذين اشتهروا بالزراعة والسدود، بالإضافة إلى سكان الواحات وبعض المناطق وفيرة المياه في وسط شمال شبه الجزيرة العربية مثل يثرب والطائف[3].

3. **المجتمع التجاري**: ويمثله سكان شبه الجزيرة العربية الذين يتخذون من التجارة نشاطًا رئيسيًا لهم مثل مجتمع مكة[4].

2.الأســرة:

اعتبر الباحثون الأسرة العربية القديمة أنموذجًا لما كانت عليه منظومة الحكم في شبه الجزيرة العربية، فنظام الأسرة ومكانة ودور المرأة كان له دور أساسي في نظام الحكم وتطوره حيث سجلت المصادر الآشورية وجود ملكات حاكمات كنّ على دراية بشؤون الحكم فظلت المرأة والأسرة في صلب نظام الحكم مما أدى بالنظام السياسي إلى ايجاد منظومة قانونية تحكم وتنظم شؤون الأسرة وأفرادها كدعامة للنظام السياسي الحاكم ومظهرًا من مظاهر تطوره السياسي ودليل على تمكنه من إدارة شؤونه الإجتماعية بحكمة وحنكة سياسية ونظام راق، ومن هنا فالتنظيمات الأسرية التقليدية لم تبقى رهينة الأفكار القديمة ولا حبيسة الأعراف

---

[1]- شوقي ضيف، المرجع السابق ، ص 26.

[2]- ابراهيم السايح، المرجع السابق، ص 34.

[3]- نفس المرجع.

[4]- نفس المرجع.

القبلية بل حققت تقدمًا في شتى الميادين مما أضفى على النظام السياسي الحاكم الكثير من مظاهر التطور والتحضر واعتبره الباحثون قفزة نوعية في تطور الأنظمة السياسية القديمة.

أ. دور ومكانة المرأة في المجتمع العربي القديم: لعبت المرأة العربية دورًا هامًا في الحياة الاجتماعية، في السلم وفي الحرب، فقد كانت شريكة الرجل في حياته فهي الأم والزوجة والبنت والأخت، فكانت ترعى زوجها وتقضي وقتها بين مساعدته في الزراعة، إذ كانت تعيش في مناطق زراعية، أو في الطهي وإعداد الطعام له، وحلب الأغنام، أو تقوم بغزل الصوف ونسجه، وكثيرًا ما كانت تحترف بعض الأعمال التي تكسب من ورائها مالًا تعتمد عليه في حياتها، كالتجارة أو الرضاعة أو الغناء أو النسيج أو دبغ الجلود[1].

أما في الحرب فكانت تصحب زوجها لتشجيعه على القتال واستثارة نخوته، أو تداوي الجرحى، أو تسقي المقاتلين، وفي بعض الأحيان كانت تشترك في القتال[2]، حيث تذكر نقيشة أرياني (رقم13) أن بعض النساء الحضرميات قد ساعدنّ في القضاء على بعض الجنود الأعداء[3]، وبرزت بين العرب الكثير من النساء اللواتي تميزن في شتى المجالات، بل أن بعضهن وصل إلى درجة الملوكية، وهو ما أشار إليه "القرآن الكريم "في قصة النبي سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ حيث أكدت الآيات القرآنية أن المرأة كانت على رأس نظام حكم ملكي استشاري وكان لها مركزا سياسيًا اجتماعيًا ودينيًا، ونالت هذه المرأة احترام أبناء مجتمعها وتقديرهم لها، لما عرفت عنها بحكمتها وقوتها[4].

وقد أشارت حوليات الملك الآشوري (تجلات بلاسر الثالث (745-727ق.م) عن تقديم جزية سنوية من (زبيبة) والتي كانت ملكة على بلاد العرب (شمال غرب شبه الجزيرة العربية) والأمر كذلك إلى الملكة (شمسي) التي قدمت إلى الملك الآشوري جمالًا ونياقًا، كما

---

(1)- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 452-454.

(2)- نفس المرجع. وكذلك:
-Hatoon Ajwad Ak Fassin, ***Women pre-islamic Arabia Nabatean***, British Archaeologie, Report, 2007, p 79

(3)- مطهر علي الأرياني، المرجع السابق، ص 117.

(4)- سهيلة مرعي مرزوق،**لمحة عن المرأة في المجتمع العربي القديم**، في ضوء نقوش شبه الجزيرة العربية، مجلة كلية التربية الأساسية، العدد 12، جامعة البصرة،2013م، ص 04.

كان له مقيم يمثله في بلاطها[1]، أما الملكة (تبوءة) فكان مقرها دومة الجندل وقد نصبها الملك الآشوري (سرجون) ليضمن بذلك فرض سلطان أشور[2].

ولعل من أبرز تلك النساء الخنساء (تماضر بنت عمرو بن الشريد) وما قالته في سوق عكاظ من أشعار نافست بها كبار الشعراء العرب، فكانت ممن حضر مجلس النابغة الذبياني الذي كان يقام في سوق عكاظ، وهذا المجلس من أهم مجالس الشعر، إذ ينشد فيه شعراء العرب أفضل ما لديهم من القصائد، ويجري فيه تحكيم لإختبار أفضل القصائد، فأنشد حسان بن ثابت والأعشى والخنساء وشهد النابغة الذبياني بالتفوق للخنساء وعدها من أفضل من أنشد شعرًا في مجلسه بعد الأعشى، إذ أنشدته رثاءً لأخيها صخر[3].

وفي المجال الديني فقد شغلت المرأة العربية وظيفة الكاهنة التي عُدّت من أهم الوظائف الدينية وقد تمتع الكهنة بمكانه كبيرة في المجتمعات القديمة لما لهم من أهمية في الشؤون الدينية والروحية، لاسيما العلاقة بين الآلهة والبشر فضلا لما لعبوه من دور في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية[4]، ومن النساء الكاهنات منهن (طريفة) وهي كاهنة بالأزد ببلاد اليمن وقد تنبأت بخراب سد مأرب وإتيان سيل العرم[5]، ومنهم الكاهنة (زبراء) وهي أمة من مولدات العرب لعجوز تسمى (خويلة) من بني رئام، ولقد تنبأت وهي في عرس لهم بوقوع أمر شنيع لهم فلم يصدقوها، وكان فيهم سبعون رجلا فانصرف 40 منهم وبقي 30فرقدوا في شربهم ووقع عليهم هجوم فماتوا جميعًا[6].

(1)- سهيلة مرزوق مرعي، المرجع السابق، ص 03.

(2)- جواد علي، المرجع السابق، ج1، ص 592.باسل خطاب، **ملكات شمال الجزيرة العربية في السياسة الأشورية عبر العصر الامبراطوري في الفترة الممتدة من 745-627 ق.م**، مجلة كلية الآثار أنا، جامعة جنوب الوادي، العدد 14، 2019، ص 31.

(3)- قيس حاتم هاني الجنابي،**رؤية إسلامية في الأوضاع الاقتصادية للمرأة العربية قبيل الاسلام**، قسم التاريخ،كلية التربية الأساسية، جامعة بابل، د.ع، د.ت، ص 1-2.

(4)- سهيلة مرزوق مرعي، المرجع السابق، ص 05.

(5)- الألوسي، المصدر السابق، ج3، ص 287.

(6)- نفس المصدر، ص 294.

وفي زمن كانت فيه المرأة في الحضارات القديمة كالحضارة اليونانية مثلا مهانة وتعتبر بضاعة ولها حق الفجور بحماية من الملك، فقد كانت المرأة عند العرب معزة، تُسَلُ في صونها السيوف وتجري الحروب، وكانت الكثير من حروب العرب من أجل ذلك وكمثال فقد دارت حرب الفجار الثانية بين بني كنانة وقريش من جهة وبني عامر من جهة أخرى بسبب إهانة الأوائل وتربصهم بامرأة من بني عامر والكشف عن سترها هي بسوق عكاظ[1].

ومن مظاهر الاعتزاز بالمرأة انتساب بعض الملوك إلى أمهاتهم مثل عمرو بن المنذر المعروف بعمرو بن هند نسبة إلى أمه هند بنت عمرو بن حجر وعلى نحو ما فعل القتال الكلابي في فخره بأمه عمرة بنت حرقة من ربيعة.

لقـد ولدتني حـُرَّةٌ ربيّعـةُ ... من اللائي لم يُحضِرن في القيظ دِندنا[2]

إن مركز المرأة في المجتمع العربي القديم مرتبط بمركز الرجل نفسه، تذل إذا ذلّ الرجل وتعز إذا عزّ الرجل فما هي في الواقع إلّا الأم والبنت والأخت والزوجة، وما الرجل بالنسبة إليها إلّا الأب والأخ والزوج والابن[3].

فالمرأة العربية كان لها مكانة ودور مهم في مجتمعها حيث شغلت مناصب سياسية واجتماعية ودينية وبذلك كان لها اسهاماتها الحضارية.

ب. الزواج وأنواعه: يبدأ تكوين الأسرة بالزواج، فالأسرة هي لغة الدرع الحصينة، ويمكن تعريفها بأنها أهل الرجل وعشيرته، وهي الجماعة التي يربطها أمر مشترك، وهذه المعاني تلتقي في معنى واحد يجمعها وهو قوه الارتباط[4]، وكان العربي حريصًا على اختيار الزوجة من ذوات الحسب والنسب وأن تمتاز بصفات عديدة حسنة ومنها المجد ومكارم الأخلاق[1]هذا

---

[1]- علي ابراهيم محمد مجتبي، **التنظيمات السياسية في بلاد العرب قبل الإسلام**، دكتوراه الفلسفة في التاريخ، جامعة الخرطوم، 2009 م، ص 71.

[2]- أحمد محمد الحوفي،**المرأة في الشعر الجاهلي**، ط2، دار الفكر العربي،د.ت، ص 80.

[3]- الطاهر ذراع، المرجع السابق، ج1، ص 285.

[4]- ابن المنظور، المصدر السابق، ج4، ص 19.انظر كذلك: توفيق برو، المرجع السابق، ص 264.وائل فتحي مرسي، المرجع السابق ص 110.

[1]- أحمدأمين سليم،(جوانب...)، المرجع السابق، ص 253.

وكان العربي يفضل المرأة الولود وهي صفة تفاخرت بها كل نساء العرب قبل الإسلام[1] كما كان العربي يفضل أن تكون زوجته من نفس قبيلته والدافع من وراء ذلك الرغبة في نقاء الجنس وتمسكًا بالتقاليد وإن كان هذا لا يمنع من أن يتزوج بعضهم من الأعراب اعتقادًا بأن ولد الرجل من قرابته إنّما كان يجيئ ضعيفًا إلى جانب الدافع السياسي، فالمصاهرة بين قبيلتين تصلهما برباط من المودّة والتحالف، وبالنسبة للمرأة كانت في أغلب الأحوال تفضل الزواج من عشيرتها لقربها من أهلها[2]، فهناك نقيشة (RES :3699) تشير أن حكومة معين أصدرت تشريعات تنظم عملية زواج مواطنيها من ديدان[3].(انظر الشكل رقم 12)

1. قرار من ملك مَعِين وأبنائه

2.أي رجل من مَعِين يقترن بسيدة من ديدان وكذا أي سيدة

3. من مَعِين تقترن برجل من ديدان

4. فإن أبنائهم وبناتهم وزوجاتهم.....

5. يصبحون مَعِينِين وكل ولد تلده السيدة المعينِيَة.....[4]

1- ... و غ/ن هــ ن/.....م ل ك/م ع ن م/و ب هـ ن س
2- ...س/د د ن ي ت/أ ..ب ن/ب أ ر/ذ أ خ ر هـ/ب ن
3- ..م ع ن ي ت/ك د د ن ي/و ك ذ/أ خ ر هـ
4- ..م ع ن م/و ب هـ ن س م/و ب ن ت س م/و أ و ش ك هـ/...
5- ..م ع ر ب/ك ل/و ل د/ت ل د/م ع ن ي ت/ك ك ل/ذ أ خ ر هـ/
6- ...ن ع م ي/..ذ ب

[1]- وائل فتحي مرسي، المرجع السابق، ص 110.
[2]- أحمد أمين سليم،(جوانب...)، المرجع السابق، ص253.عفيفي عبد الله،**المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها**، ج1، ط1، مكتبة الثقافة، المملكة العربية السعودية، 1932، ص 55.
[3]- نورة عبد الله علي النعيم،(التشريعات ...)، المرجع السابق، ص 715.
[4]- وائل فتحي مرسي، المرجع السابق، ص 111.

يسمح هذا القانون بزواج السيدة المعينية برجل ديداني مع احتفاظها بحق المواطنة كسيدة معينية، وكذلك السيدة الديدانية تصبح مواطنة معينية حينما تتزوج بشخص معيني والهدف من هذا القانون هو حماية حقوق السيدات المعينيات والمحافظة على أعداد الشعب المعيني ويجعل أبناء وبنات هذا النوع من الزواج مواطنين معينيين[1].

وأهم أنواع الزواج المعروفة عند العرب في الجاهلية هي:

– **زواج البعولة**: يعد هذا النوع من الزواج، أكثر أنواع الزواج شيوعًا في شبه الجزيرة العربية[2]، وكان ينقسم إلى نوعين:

النوع الأول: يتخذ فيها الرجل زوجة واحدة وذلك بسبب ضيق المعيشة أو بدافع الرغبة في ذلك أو لاشتراط الزوجة الأولى عند العقد عليها لذلك[3]، ويتم ذلك بخطبة ومهر وبأن يخطب الرجل من الرجل ابنته فيصدقها بصداق يحدد مقداره ثم يعقد عليها وكانت قريش وكثير من القبائل العرب يؤثرون هذا النوع من الزواج[4].

النوع الثاني: وهو تعدد الزوجات حيث كان الرجل منهم لا يكتفي بزوجة واحدة وإنما يتزوج بأكبر عدد ممكن من النساء وذلك بقصد انجاب عدد كبير من المقاتلين أو الرغبة في الإرتباط بالمصاهرة مع القبائل الأخرى[5]، وتصريف النساء الفائضات في المجتمع الذي يزيد فيه عدد النساء على الرجال، هذا إلا أنّه قد يحل مشكلة العقم أي أن الرجل يحتفظ بزوجته العاقر إذا كان راضيًا عنها ويتزوج من تنجب له أولاد[6]، وقد أقرَّ الإسلام هذا النوع من الزواج مع تحريم الجمع بين أكثر من أربع زوجات، واشترط في ذلك وجوب العدل بينهم أو اتخاذ زوجة واحدة وفي ذلك قوله تعالى:﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا

[1]- وائل فتحي مرسي، المرجع السابق، ص 111.
[2]- جواد علي، المرجع السابق، ج5، ص 533.
[3]- محمود عرفه محمود، المرجع السابق، ص 277.
[4]- محمد سهيل طقوس، المرجع السابق، ص 180.
[5]- أحمد أمين سليم،(جوانب...)، المرجع السابق، ص 255.
[6]- صالح أحمد العلي، المرجع السابق، ج1، ص 144.

طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾[1].

– **زواج المتعة**: وهو عقد بين الرجل والمرأة لمدة معينة على مبلغ معين ينتهي هذا الزواج بانتهاء المدّة المشروطة، وهذا النوع من الزواج يشبه زواج المهر، إلا اشتراط المدة[2]،ومن دوافع حدوث هذا الزواج، التنقل والأسفار والحروب، وعلى المرأة أن تعتد كما في أنواع الزيجات الأخرى قبل أن يسمح لها بالاقتران بزوج آخر، وينسب أولاد المتعة إلى أمهاتهم في الغالب[3].

– **زواج السبي**: ويقضي بأن يتزوج الرجل المحارب من إحدى النساء اللائي وقعنا سبيا ولا يشترط في هذا الزواج أن يدفع الزوج صداقًا [4]، وكانت المأخوذة سبيًا تعرف بالنزيعة ويعرف ابنها بالنزيع وذلك لانتزاعها من قبيلتها وأهلها وفي هذا يقول المـرّارُ:

عقلت نِساءَهُم فينَا حديثًا ... ضنِينَ المالِ والوَلدَ النَّزِيـعَا[5]

– **زواج المقت (الضيزن)**: ويتم هذا الزواج بأن يقوم الابن الأكبر بالزواج من زوجة أبيه المتوفي إن كان له حاجة فيها ويقوم بطرح ثوبه عليها كجزء من ميراثه[6]، وذلك للحفاظ على ثروة الأسرة والعشيرة وكان الوريث إذا كره نكاح زوجة أبيه نصَّب نفسه واليا عليها فمنعها من الارتباط بغيره حتى وفاتها[7]، ولما جاء الإسلام أبطل هذا النوع من

---

(1)- سوره النساء، الآية 03.
(2)- عمر فروخ،(العرب في حضارتهم...)، المرجع السابق، ص 73.
(3)- محمد سهيل طقوس، المرجع السابق، ص 181.
(4)- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 446.
(5)- ابن المنظور، المصدر السابق، ج8، ص 350.
(6)- الألوسي، المصدر السابق، ج2، ص 52 – 53.انظر كذلك: السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 446.
(7)- محمود عرفه محمود، المرجع السابق، ص 278.

النكاح في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا (22)﴾[1].

– **زواج الاستبضاع**: وفيه يقول الرجل لامرأته إذا طهرت من الطمث اذهبي إلى فلان فاستبضعي منه، ويعتزلها زوجها حتى يتبين حملها، ويفعل ذلك رغبة وطمعًا في نجابة الولد[2]وكانوا يطلبون ذلك من أكابرهم ورؤسائهم في الشجاعة والكرم أو غير ذلك، ولكن هذا النوع من الزواج فيه خلاف لأن العربي عُرف بغيرته عن المرأة وشرفها وكانت تسل السيوف في سبيل ذلك.

– **زواج الرهط** (**المشاركة**): وهو تعدد الأزواج للمرأة الواحدة، وذلك عن رضا منها وتواطئ بينهم وبينها، إلا أن هذا النوع من الزواج كان نادرًا في شبه الجزيرة العربية وإنما فرضته بعض الظروف الاقتصادية والاجتماعية فمن ذلك قلة عدد النساء، وبخاصة عند القبائل التي شاع عندها عادة وأد البنات، وكان الأزواج متساوين في الحقوق الزوجية كما كانوا يتفقون فيما بينهم على وضع عصا على باب الخيمة فيمتنع الأخرون عن دخولها وإذا حملت المرأة ووضعت حملها فإن الأبوة الرسمية كانت تحددها المرأة نفسها ولا يحق لأحد منهم الامتناع[3].

– **زواج الإماء**: وهو زواج الرجل من أمته، فإذا أنجب منها لا يحق لهم أن يلحقوا بنسبه بل يظلوا عبيدًا له إلّا إذا أعتقهم[4]، أو ألحقهم بنسبه لذلك نجد من كان يفتخر بما يعوض نقصه، ومثال ذلك أم عنترة بن شداد التي كانت حبشية سوداء فأكثر من الفخار بشجاعته بدلًا من فخاره بأمه ويقول عنترة:

---

(1)- سوره النساء، الآية 22

(2)- عبد السلام الترمانيني، **الزواج عند العرب في الجاهلية والاسلام**، دراسة مقارنة، مجله عالم المعرفة، الكويت، أوت،1984 م، ص 17.انظر كذلك: الألوسي، المصدر السابق، ج2، ص 04

(3)- محمود عرفه محمود، المرجع السابق، ص 279 – 280 .

(4)- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 446.انظر كذلك: أحمد رحيم هبو، المرجع السابق، ص 268. عمر فروخ، المرجع السابق، ص 73.

إن كنت في عدد العبيد فهمتي ... فــوق الثـريا والسّمـاك الأعزل
أو انكرت فرسان عبس نسبتي ... فسنان رمحي والحسامُ يقرُّ لي[1]

وقال أيضا في سواده:

لئن يعيبوا سوادي فهو نسب لي ... يوم النزال إذا ما فاتني النسب[2]

– **زواج البدل**: وهو أن يقول الرجل للرجل أنزل لي عن امراتك وأنزل لك عن امرأتي فهو زواج عن طريق المبادلة بغير مهر[3]، وفي ذلك نزل قوله تعالى: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِن بَعْدُ وَلَا أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا (52)﴾[4].

– **زواج الشغار**: وهو أن يتفق اثنان على أن يتزوج كل منهما قريبة الآخر ممن له عليها حق الولاية من مثل الأخت أو الابنة من دون مهر[5]،فهو شبيه بزواج البدل فلما جاء الإسلام نهى عن هذا النوع من الزواج وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(لا شغار في الإسلام)[6].

وقد حرم القرآن الكريم بعض تلك الزيجات في قوله تعالى:﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا (23)﴾[7]،مما ينبغي ذكره أن أنواع المحرمات التي تضمنتها الآية الكريمة لم تكن كلها شائعة عند العرب

(1)– السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 446.
(2)– نفس المرجع.
(3)– الألوسي، المصدر السابق، ج2، ص 05.انظر كذلك: جواد علي، المرجع السابق، ج5، ص 537.
(4)– سورة الأحزاب، الآية 52.
(5)– أحمد رحيم هبو، المرجع السابق، ص 269.
(6)– صحيح مسلم، ج4، ص 139.
(7)– سورة النساء، الآية 22.

مثل الزواج من الأمهات أو البنات إنّما أشار إليها القرآن الكريم لأنها كانت متبعة عند بعض الشعوب الأخرى وقد وردت لأنّ القرآن الكريم يخاطب الناس جميعا في كل زمان ومكان[1].

ج. الطلاق وأنواعه: وكما كان الزواج كان الطلاق وهو يعني تنازل الرجل عن حقوقه التي كانت على زوجته ومفارقته لها، ومن مصطلحات الطلاق (حبلك على غاربك)أي خليت سبيلك، فاذهبي حيث شئت، أو (أنت مخلى كهذا البعير) أو (الحقي بأهلك) أو (اذهبي فلا أنده سربك) أو (اخترت الظباء على البقر) أو (فارقتك) أو (سرحتك) ونحو ذلك من الألفاظ والعبارات[2].

وكان الطلاق بيد الرجل، ولكن في بعض الأحيان كان يمكن للمرأة أن تطلب الطلاق وتجاب إلى طلبها وكان طلاقهن أنهن إن كن في بيت بابه قبل المشرق حولنه قبل المغرب وإن كان بابه قبل اليمن حولنه قبل الشام، فإذا رأى ذلك الرجل علما أنها قد طلقته فلم يأتها وهذه طريقة أهل الوبر[3]، أما الحضريات فكان لهن أسلوب آخر في المطالبة بالطلاق وهو أن المرأة إذا أرادت من الرجل أن يطلقها لا تعد له الطعام في الصباح[4].

1. أسباب الطلاق:

كان للطلاق أسباب كثيرة ومنها:

ـ أن الرجل قد لا يأنس إلى امرأته ولا يجد فيها الصفات التي يبتغيها وكذا زوال شبابها وجمالها[1]، كما فعل الأعشى لما تزوج امرأة من عنزة فلم يرضها ولم يستحسن خلقها فطلقها وقال:

---

[1]- محمود عرفه محمود، المرجع السابق، ص 282.

[2]- جواد علي، المرجع السابق، ج5، ص 548.

[3]- أحمد محمد الحوفي، (الحياة العربية...)، المرجع السابق، ص 161.انظر كذلك: أحمد رحيم هبو، المرجع السابق، ص 269.جواد علي، المرجع السابق، ج5، ص 554. ومن هؤلاء اللائي امتزن بحق التطليق "سلمى بنت عمرو بن زيد أم عبد المطلب بن هشام"، احدى نسائي بني عدي بن النجار، للمزيد انظر، الطبري، تاريخ الطبري، ج2،ص 8.

[4]- أحمد محمد الحوفي، (المرأة ...)، المرجع السابق، ص 269.

[1]- أحمد أمين سليم، (جوانب...)، المرجع السابق، ص 256.

فبيني فإنّ البين خير من العصا ... وألا تـرى لي فـوق رأسـي بـارقة

وما ذاك عندي أن تكون دنيئة ... ولا أن تكوني جئت عندي ببائقة

ويا جارتًا بيني فإنك طـالـقة ... كذاك أمور الناس غاد وطارقة[1]

– تطاولها على عشيرة زوجها مثلما فعلت عمرة بنت الصامت مع زوجها حسان بن ثابت التي عيرته بأخواله وفخرت عليه بالأوس فغضب لهم وطلقها[2].

– وقد يكون بسبب الفقر أو عقوبة يوقعها الرجل بالمرأة انتقامًا منها، أو من ذوي قرابتها لأسباب ما، أو لأنها تلد البنات أكثر من الأولاد[3].

–وقد يتوسم الرجل في المرأة التي خطبها شبابًا وجمالًا فإذا هي عجوز فلا يجد بدًا من تسريحها[4].

2. أنــواع الـطـلاق:

كان عرب الجاهلية يطلقون بأنواع منها:

– طلاق الظهار:

وأصله من الظهر، وهو أن يقول الرجل لامرأته "أنت عليَ كظهر أمي" [1]، وإنما خصوا به الظهر من دون البطن والفخذ والفرج، وهذه أولى بالتحريم، لأنّ الظهر موضع الركوب والمرأة مركوبة إذا غشيت، وقد أراد: ركوبك للنكاح عليَّ حرام كركوب أمي للنكاح، فأقام الظهر مقام الركوب لأنه مركوب[2].

---

[1]– أحمد محمد الحوفي، (المرأة...)، المرجع السابق، ص 261.

[2]– نفس المرجع. انظر كذلك: عمر رضا كحالة، **أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام**، ج3، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص 353.

[3]– جواد علي، المرجع السابق، ج5، ص 554.

[4]– أحمد محمد الحوفي،(المرأة...)، المرجع السابق، ص 262.

[1]– ابن المنظور، المصدر السابق، ج4، ص 528.

[2]– نفس المصدر.

فالظهار من أشهر أنواع الطلاق بين العرب قبل الإسلام وقد نهى الإسلام عنه وأوجب الكفارة على من ظاهر امرأته فقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ (2) وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (3) فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۗ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (4)﴾[1].

– طلاق الإيلاء:

الإيلاء في اللغة هو الحلف أو القسم[2]، وهو هجر الرجل لزوجته مدة زمنية قد تكون سنة أو سنتين لا يقترب خلالها منها، فلما جاء الإسلام عين للرجل مدَّة يراجع فيها نفسه ثم يطلق إن شاء أو يفيء في يمينه[3]، وفي ذلك قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[4].

– طلاق الخلع:

وذلك بأن تفتدي الزوجة نفسها على مال تدفعه للرجل مقابل تخلية سبيلها وجرت عادتهم أن يكون هذا التعويض مساويًا لقيمة المهر الذي سبق أن قدمه الزوج[5]، وقد كانت بعض النسوة يشترطن على أزواجهن قبل الدخول بهن أن يكون أمرهن بأيديهن إن شئن أقمن وإن شئن تركن معاشرتهم وأوقعن الطلاق[1].

وكان بعض الرجال ينكحن المرأة الثرية، فإذا طلبت مفارقته فلا يراجعها ولا يطلقها وهو ما يعرف بالعضل، ويظل مفارقًا لها حتى ترضيه بدفع شيء له قد طلبه وإلّا عضلها[2]، وقد

[1]- سورة المجادلة، الآية 2 – 4.
[2]- ابن المنظور، المصدر السابق، ج14، ص 408.
[3]- أحمد محمد الحوفي، (المرأة...)، المرجع السابق، ص 267.
[4]- سوره البقرة، الآية 226.
[5]- محمود عرفة محمود، المرجع السابق، ص 283.
[1]- جواد علي، المرجع السابق، ج5، ص 554 .انظر كذلك: أحمد محمد الحوفي، (المرأة...)، المرجع السابق، ص 268.
[2]- محمود عرفة محمود، المرجع السابق، ص 283- 284.

نهى الإسلام عن ذلك في قوله تعالى:﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ۚ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (231)﴾[1].

– الطلاق ثلاثا:

كان العرب يطلقون المرأة ثلاثًا على التفرقة، وهذا الطلاق هو الشائع، فكان الرجل إذا طلق امرأته تطليقة فهو أحق بها فإذا طلقها اثنتين فهو أحق بها أيضا فإذا طلقها ثلاثا فلا سبيل له إليها[2]، ثم جاء الإسلام ووافق العرب في أن جعل الطلاق ثلاثًا، ثم زاد أمورًا منها أن الزوجة لا تحل لزوجها بعد الطلقة الثالثة إلّا إذا تزوجت غيره[3].

– العِــدَّة:

تعد من الأمور التي تتصل بالطلاق، وهي تلك الفترة التي يسمح فيها للمرأة بأن تتزوج بعد طلاقها[4]، وكانت المرأة في الجاهلية تعتد من الطلاق، وموت الرجل، وكانت النساء تبالغ في احترام حق الزوج، وكانت عدّتها بأن تلبس شر ثيابها وتسكن بيتًا صغيرًا جدًا، ولا تمس طيبًا حتى تمر بها سنة، ثم تُؤتي بدابة حمار أو شاة أو طائر فتفتض به، ثم تخرج فتعطى بعرة فترمي بها، ثم تستعمل ما شاءت من الطيب أو غيره[5]، وبذلك تنتهي العِدَّة وذلك حتى يتبين أنها غير حامل خوفًا من أن تختلط الأنسـاب فيما لو تزوجت قبل انقضاء العدة[1].

3. معاملــة الأطفــال:

قال تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا (46)﴾[2] قاعدة اجتماعية أخبرنا بها الحق تعالى وهو العليم الخبير، وهي تطبق في

---

[1]- سوره البقرة، الآية 230.

[2]- أحمد محمد الحوفي،(المرأة...)، المرجع السابق ص 263.انظر كذلك: أحمد أمين سليم،(جوانب...)، المرجع السابق، ص 256.

[3]- نفس المرجع، ص 264.

[4]- أحمد أمين سليم، (جوانب ...)، المرجع السابق، ص 256.

[5]- الألوسي، المصدر السابق، ج2، ص 50.

[1]- توفيق برو، المرجع السابق، ص 266.

[2]- سورة الكهف، الآية 46.

كل زمان ومكان، وليست قاصرة على قوم بعينهم فالطفل هو الثمرة الأساسية للأسرة وهو مثال السعادة الزوجية وهدفها وأمل المستقبل للمجتمع والدولة[1].

إلّا أن العرب كانوا يفضلون الذكور على الإناث ومن ثم فإذا ولدت المرأة ولدًا هنأها أفراد القبيلة وذبحوا الذبائح، أما إذا أنجبت بنتًا فكانوا يفرون منها[2]، فالأسرة العربية القديمة كانت تتطلع إلى الفتى ليكون درعًا لها وسندًا أكثر من الفتاة، والأب ذا الحرفة كان أحوج وأميل إلى الأولاد بخاصة، حتى يشاركوه خبرته ويعينوه في شيخوخته ويرثوه في مهنته أو يخلفوه في مكانته وجل ممتلكاته إن كان من ذوي الثراء، كما أنه من شأن الرجل أن يورث اسم أسرته لمن يولد له من أبناء ويبقى أكثر حفاظًا على استمرار كيانها ورعاية شؤونها[3].

وقد وصل كره وبغض، بعض الجاهليين للأنثى إلى حد الوأد بعد ولادتهن مباشرة، ويقدم الباحثون عدَّة أسباب دفعت العرب إلى وأد بناتهم.

-الخوف من الفقر والإملاق كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا (31)﴾[4]، وهذه الآية تدل على أن الوأد

لم يكن مقصورًا على البنات فقط بل حتى الأولاد.

– شعور العربي بالغيرة والخوف من العار الذي تجلبه البنت إذا تعرضت للسبي[1].

– ومنهم من كان يئد من البنات من كانت بها علامة قبيحة أو برشاء (بها نقطة بيضاء) أو كسحاء (قعيدة)[2].

---

[1]- وائل فتحي مرسي، المرجع السابق، ص 124.

[2]- أحمد أمين سليم،(جوانب...)، المرجع السابق، ص 258.انظر كذلك: أحمد رحيم هبو، المرجع السابق، ص 270.

[3]- وائل فتحي مرسي، المرجع السابق، ص 125.

[4]- سورة الإسراء، الآية 31.

[1]- أحمد أمين سليم،(جوانب...)، المرجع السابق، ص 258.

[2]- أحمد محمد الحوفي (الحياة العربية...)، المرجع السابق، ص 164.انظر كذلك: أحمد أمين سليم،(جوانب...)، المرجع السابق، ص 258. أحمد رحيم هبو، المرجع السابق، ص 270.

– ومنهم من كان ينذر أن يذبح واحدًا من بنيه إذا بلغوا عشرًا كما فعل "عبد المطلب" في قصته المشهورة وإليها أشار النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: (أنا ابن الذبيحين)ويعني أباه عبد الله وجده إسماعيل بن إبراهيم الخليل [1].

–ومنهم من زعم أن الملائكة بنات الله فالحقوا الإناث به لأنه أولى بهن[2].

–ومنهم من ذهب إلى أنّ البنتَ عبءٌ ثقيل تحتاج إلى حماية[3].

وروي أن أول قبيلة وأدت من العرب هي قبيلة ربيعة، حيث أغير عليهم فنُهِبت بنت لأمير لهم، وبعد الصلح أراد استردادها، فخيرت بين العودة إلى أبيها أو البقاء مع من هي عنده، فاختارت من هي عنده وآثرته على أبيها، فغضب وسن لقومه الوأدُ ففعلوه غيرة منهم ومخافة أن يقع لهم مثل ما وقع[4].

وروي أنّ قيس بن عاصم، كان أول من وأد البنت من العرب وقد دفعه إلى ذلك أنه بعد سبي نسائهم اختارت ابنته سبيها على زوجها، فنذر قيس بن عاصم أن يدس كل بنت تولد له في التراب، فوأد بضع عشرة بنتًا له في التراب، قال: ما رحمت منهن إلّا واحدة، ولدتها أمها وأنافي سفر ودفعتها إلى أخوالها، فلما قدمت وسألت عن الحمل، أُخبِرت أنها وُلِدَتْ ميتة ومضت السنين حتى ترعرعت، فزارت أمها ذات يوم فدخلت فرأيتها قد ضفرت لها شعرها وزينتها وألبستها الحلي، فقلت من هذه الصبية فقد أعجبني حسنها؟ فبكت وقالت هذه ابنتك فأمسكت عنها حتى اشتغلت أمها فأخرجتها وحفرت حفرة وجعلتها فيها وهي تقول: يا أبت أتغطيني بالتراب؟ حتى رأيتها وانقطع صوتها[1].

وأما كيفية الوأد فهي غير واحدة، فمنهم من كان إذا ولدت له بنت وأراد وأدها تركها حتى تبلغ ست سنين ويقول الأب للأم زينيها حتى أذهب بها إلى إحمائها، وقد حفر لها بئر

[1]- الآلوسي، المصدر السابق، ج3، ص 47.

[2]- نفس المصدر، ص 164.

[3]- توفيق برو، المرجع السابق، ص 269.

[4]- الألوسي، المصدر السابق، ج3، ص 43.

[1]- حبيب الزيات، **المرأة في الجاهلية**، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة،2012 م، ص 10.

في الصحراء فإذا وصل إلى البئر يقول لها: انظري داخل البئر ويدفعها من خلفها ويهيل عليها بالتراب حتى تستوي البئر بالأرض[1].

ومع ذلك كان هناك من عقلاء العرب ذوي المروءة والشهامة من لا يرضى هذا الفعل الشنيع، وانقاذ المجتمع من هذه العادة السيئة، وهو ما فعله (صعصعة بن ناجية) جد الفرزدق حيث كان يشتري الموءودة بناقتين وجمل وقد افتخر بذلك الفرزدق، لأن جده كان يعرف في الجاهلية أنه محيي الموءودات وأحيا ذكره في كثير من شعره.

ومنا الذي منع الوائدات ... وأحي الوئيد فلم يوأد[2]

على كل حال لم يكن الوأد شاملا على كل القبائل العربية بل اقتصر على بعض الأوساط المتردية ماديًا واجتماعيًا ولاسيما في البوادي القاحلة وعند ذوي القلوب القاسية[3].

ولم يكن قتل الأولاد من فعل العرب وحدهم فقد فعلت ذلك بعض الأمم القديمة ومنها "اسبرطة"، فكانت تقوم بإعدام الأولاد الضعاف أو المشوهين عند ولادتهم أو تركهم في الخلاء طعامًا للوحوش، أو الطيور، وكانت الأم تغمس الوليد في النبيذ مدة فإذا عاش دلَّ هذا على قوته وصلاحيته للحياة، وإذا مات تخلص المجتمع من عضو ضعيف[1].

II. الدين ودوره في تكوين النظام السياسي:

لقد ارتبط النظام السياسي القديم بالحياة الدينية، والمنظومة الدينية التي ميزت الحياة العامة في شبه الجزيرة العربية وعليه فيلاحظ أن هناك ارتباط يكاد يكون عضوي بين النظام السياسي والديني، أي بين الحاكم (الملك والأمير....) وبين رجل الدين أي بين القصر والمعبد فهذا الأخير هو الذي يضفي الشرعية الدينية على حكم الحاكم مما يؤهله إلى الاستمرار في الحكم ويجبر الرعية على الطاعة والخضوع، بل في بعض الفترات ولد عدد من

(1)- الألوسي، المصدر السابق، ج3، ص 43.

(2)- نفس المصدر، ص 46-47.

(3)- توفيق برو، المرجع السابق، ص 270.انظر كذلك: شوقي ضيف،المرجع السابق، ص 75.

(1)- أحمد محمد الحوفي، المرجع السابق، ص 165.

الدول والممالك وأصبح الحاكم هو الممثل للسُّلطة الروحية باعتباره حاكما وكاهنا وصاحب السلطه العليا مما جعله يفرض السيادة المطلقة على محكوميه.

وبالتالي ساهم الجانب الديني في إعطاء الشرعية للحاكم لتثبيته أو الثورة عليه والإستيلاء على الحكم كما حدث في عدد من الممالك والإمارات، وعليه ظل عنصرًا أساسيًا في البناء السياسي العربي القديم، مما مكن الحاكم من تحقيق الإخضاع الديني والسياسي لرعيته.

1. مفهـوم الديـن:

الدين في اللغة: بمعنى الطاعة والتعبد، وفي الاصطلاح: له عدة تعريفات، وأما مفهوم الدين عند العرب قبل الإسلام، فهو الاعتقاد بكائنات غيبية ذات قوى مؤثرة ويتجسد هذا الاعتقاد بطقوس وعبادات يستمسك بها، ويتوقف على عقلية الناس وحالة الأفراد، ففهم الناس لمسببات الحوادث في القديم يختلف عن فهمها اليوم فكانوا يرون أنّ وراء كل حركة أو ظاهرة، قوة غيبية تُسيرها وفي اعتقادهم أنه لتلك القوى الغيبية تأثيرًا أوسع مما يعتقده الناس اليوم[1].

ولم يكن الدين عاملًا فرديًا أو محاولة شخصية لإظهار الروح الإنسانية، بل هو عملية حية متبادلة بين الإنسان والقوى فوق الطبيعة، والأديان القديمة عند العرب غالبًا ما تتعلق بالقبيلة كلها، فالإله هو حامي القبيلة وأفرادها جميعهم، أما إذا حدث واختلطت القبائل ذات الآلهة المختلفة فإن اختلاطها يؤدي إلى اختلاط الآلهة[1].

فالعرب قبل الإسلام كغيرهم من الشعوب اعتقدوا أنّ الطبيعة من حولهم مشحونة بقوى أعظم من قوى الإنسان، ولكن بالإمكان تسخيرها لخدمته بطريقة خاصة[2]، فعبدوا الآلهة وحاولوا كما حاول غيرهم التقرب منها بمختلف الوسائل ووضعوا لها أسماء وصفات وخاطبوها

---

[1]- حسين الحاج حسن، المرجع السابق، ص 162.

[1]- نفس المرجع، ص 162.

[2]-كارل بروكلمان، المرجع السابق، ص24. وكذلك: - Mohamed Hamza Ibrahim, ***Religion in the arabia penisula berger islam*** مجلة الخليج، المجلد 40، العدد 2، سنة 2012، ص 2-41.

بألسنتهم وقلوبهم فسلكوا في ذلك جملة من المسالك وهي ما يسميها الباحثون بالأديان القديمة[1].

2. مراحـل تطـور الديـن:

عرفت شبه الجزيرة العربية عددًا من مراحل التطور الديني في العصور السابقة للإسلام ويمكن ايجازها فيما يلي:

- المرحلة الأولى:

وهي مرحلة عبادة أو تقديس أشياء مادية محدّدة مثل الأحجار والأشجار والكهوف وينابيع المياه، وهي أشياء يرى فيها البدوي أنّها تفيده في حياته اليومية، فالأشجار وبخاصة شجرة النخيل كانت تشكل عنصرًا أساسيًا في حياته، حيث يعتمد على ثمارها كغذاء رئيسي والكهوف تمثل نقطة حماية يلجأ إليها البدوي، وهذا النوع من العبادة أو التقديس هو ما يعرف باسم (الأرواحية) أو (حيوية المادة)، أي أن يتصور الإنسان أن هناك روحًا تحل في هذه الأشياء فتعطيها هذه الحيوية بالنسبة له[1].

- المرحلة الثانية:

هي مرحله التجريد، وهي مرحلة متطورة بحيث بدأ يعتقد في قوة إلهية أكثر شمولًا مثل ما حدث في الحجاز عندما انتقلت إليها عبادات (اللات، والعزى، ومنات، وبعل) فعبدوها وقدسوها، فاللات قوة إلهية يمثلها في الطائف حجر مربع، والعزى يسير اسمها إلى القوى مثلما هو عند القرشيين فأقوى الآلهة تمثلها شجرة في منطقة (نخلة) شرقي مكة، بحيث قدموا لها القرابين[2].

---

(1)- جواد علي، المرجع السابق، ج5، ص 5.

(1)- لطفي عبد الوهاب يحي، المرجع السابق، ص 379 – 380.وكذلك:

- Gordon. D, Newby, ***A. History of the Jewish of Arabia***, Univ California presse, 2009, p 43-44.

(2)- بلقاسم رحماني، المرجع السابق، ج1، ص 70.

- المرحلة الثالثة:

فهي عبادة الكواكب التي عرفتها بوجه خاص العربية الجنوبية، وكان أهم هذه الكواكب هو الثالوث الذي يمثله (القمر، الشمس، والزهراء) فالقمر عرفه السبئيون باسم (المقة) والمعينيون باسم (ود) وعند الحضارمة باسم (سن) والقتبانيون باسم (عم) كانت زوجته الإلهية هي الشمس التي أطلقت عليها تسمية (ذات حمم) عند السبئيين و(نكرح) عند المعينيين، ثم ابنهما الإلهي الذي عرف عند المعينيين باسم (عشتر) وهو كوكب الزهراء[1].

- المرحلة الرابعة:

وتمثل هذه المرحلة من التطور الديني عبادة الشمس، التي تشير الى مجتمع مستقر يقوم أساسًا على الزراعة وقد وجدت نفس العبادة في المجتمعات الرعوية في الشمال، وقد يعود ذلك إلى قرب المنطقة الشمالية من المنطقتين الزراعيتين الحضاريتين المستقرتين، وهما حضارة مصر حيث توجد عبادة الإله (رع) إله الشمس الأول، وحضارة وادي الرافدين في الشرق حيث تطور المجتمع إلى مجتمع زراعي في المراحل اللاحقة[1].

- المرحلة الخامسة:

وهذه المرحلة تمثلها عقائد التوحيد وهي اليهودية والمسيحية والحنفية.

أ. **اليهودية:** عرف اليهود عند الجاهليين، وورد ذكرهم في الشعر الجاهلي، إلا أنه لا توجد نصوص تاريخية تتحدث عن اليهود في جزيرة العرب قبل الميلاد حديثًا علميًا وبالتالي فالمعارف الواردة عن يهود جزيرة العرب مستمدة من الموارد الإسلامية وسبب ورود خبرهم في هذه الموارد هو اصطدامهم بالإسلام ومقاومتهم له[2]، وقد وردت لفظة (يهود) معرفة في القرآن الكريم أي على هذا الشكل: (اليهود)،ووردت في مواضع من سورة البقرة[3]، وسورة

(1)- لطفي عبد الوهاب يحي، المرجع السابق، ص 381- 382.انظر كذلك: سبتينو موسكاتي، المرجع السابق، ص 194.

(1)- بلقاسم رحماني، المرجع السابق،ج1، ص 71.

(2)- جواد علي، المرجع السابق، ج6، ص 511.

(3)- سورة البقرة، الآية 113- 120.

المائدة[1]، وسورة التوبة[2]، كما وردت لفظة (يهوديًا) في سورة آل عمران[3]، في شرح ديانة إبراهيم عليه السلام قال تعالى:﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ .

وكيفما كان بدء دخول اليهودية إلى شبه الجزيرة العربية، فمن المؤكد أنه في القرون الأولى للميلاد كان هناك وجود لليهود في عدَّة أماكن من شبه جزيرة العرب في كل من تيماء وفدك، وخيبر، وفي وادي القرى، ويثرب[4]، ويذكر" اليعقوبي" أن من تَـهَوَدَ من سكان شبه الجزيرة العربية اليمن بأسرها، وتَهَـوَدَ قوم من الأوس والخزرج لمجاورتهم يهود خيبر وقريضه والنظير، وتَهَوَدَ قوم من بني الحارث ابن كعب، وقوم من غسان، وقوم من جذام[1].

ويمكن القول أن أثر اليهود في العرب كان ضعيفًا فلم تستطع اليهودية اكتساح الوثنية لأنّ كثيرًا من أحكامها شاق على العرب، حيث أنها لا تبيح الإنتفاع بغنائم الأعداء بل يجب احراقها، والعربي يقاتل ليثأر ويغنم وينتفع بالمال والأسرى، كما أنهم لم يجدوا في نشر دينهم بين العرب الوثنيين ولم ينشروا بينهم ثقافة دينية أو خلقية، ولكن كان لهم أثر سيء في بلاد العرب لأنهم انصرفوا إلى كسب المال من طُرقِهِ المشروعة وغير المشروعة[2].

ويلاحظ أن يهود جزيرة العرب لم يتركوا لهم أثرا مكتوبًا يتحدث عن ماضيهم فيها، وكل ما عثر عليه، نصوص معدودة وجدت في اليمن لا تفصح بشيء ذي بال عن اليهود واليهودية وبالتالي يعتمد في تاريخ اليهود في جزيرة العرب على ما جاء في القرآن الكريم وفي كتب التفسير والسيرة، فتاريخ اليهود في شبه الجزيرة العربية لا يرقى إلى عهد بعيد عن الإسلام[3].

---

[1]- سورة المائدة، الآية 18 ، 51 ، 64 ، 82.

[2]- سورة التوبة، الآية 30.

[3]- سوره آل عمران، الآية 67.

[4]- مصطفى أبو ضيف أحمد، **دراسات في تاريخ الدولة العربية**، ط4، دار النشر المغربية، 1986م، ص 115.

[1]- نفس المرجع، ص 115- 116 .

[2]- حسين الحاج حسن، المرجع السابق، ص 181- 182.

[3]- جواد علي، المرجع السابق، ج6، ص 513.

ب. المسيحيـة: لم تكن الديانة اليهودية، الديانة الوحيدة التي وجدت لها سبيلًا إلى جزيرة العرب، بل وجدت الديانة المسيحية، التي تعتبر أحدث عهداً من الديانة الأولى، لأنّها قامت بعدها ونشأت على أسسها ومبادئها، ولكنها كانت أوسع أفقًا وتفكيرًا من الأولى، فبينما حبست اليهودية نفسها في بني اسرائيل وجعلت إلهها إله بني إسرائيل شعب الله المختار جعلت المسيحية ديانتها ديانة عالمية جاءت لجميع البشر، وبينما قيدت اليهودية أبنائها بقيود تكاد تضبط حركاتهم وفرضت عليهم فروضًا ثقيلة، نجد المسيحية أكثر تساهلًا وتسامحًا فلم تقيد أبنائها بقيود شديدة، ولم تفرض عليهم أحكامًا اشترطت عليهم وجوب تنفيذها، وقد قام رجال الدين النصارى أول نشأتها بالتبشير بها ونشرها بين الشعوب وبذلك تميزت عن اليهودية التي اقتصرت على بني إسرائيل[1].

ويؤكد المؤرخون أنه من الصعب تحديد الزمن الذي دخلت فيه النصرانية إلى المنطقة[1]وإذا كانت اليهودية قد دخلت جزيرة العرب بالهِجرة والتجارة، فإنّ دخول النصرانية إليها كان بالتبشير، وبدخول بعض النساك والرهبان فيها بعيدين عن ملذات الحياة، وبالتجارة ولا سيما تجارة الرقيق المستورد من الروم والفرس، وبفضل ما كان لكثير من المبشرين من علم وقوة المنطق ووسائل الإقناع والتأثير في النفوس، فضلا عن براعتهم في مداواة بعض الأمراض، تمكنوا من اكتساب بعض سادات القبائل، وأدخلوهم في دينهم أو حصلوا منهم على مساعدة وحماية، وقد أرجعوا ذلك إلى فعل المعجزات والبركات الإلهية[2].

ولم يعبأ المبشرون بمشقات العيش والمصاعب التي كانوا يتعرضون لها، حيث أنهم رافقوا الأعراب، وعاشوا عيشتهم، وسكنوا معهم الخيام، فعرفوا بأساقفة أهل الخيم وبأساقفة أهل الوبر، وأساقفة القبائل الشرقية المتحالفة، وبأساقفة عرب البادية[3].

---

(1)- جواد علي، المرجع السابق، ج6، ص 582.

(1)- بلقاسم رحماني، المرجع السابق، ج1، ص 78.

(2)- لويس شيخو اليسوعي، **النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية**، ط2، دار المشرق، بيروت، 1989 م، ص 35.

(3)- نفس المرجع، ص 36 - 37.

أما انتشار المسيحية في بلاد العرب فكان من ثلاثة مراكز مسيحية مجاورة، سوريا في الشمال الغربي، والعراق في الشمال الشرقي، والحبشة في الجنوب الغربي، عن طريق البحر الأحمر، وفي الجنوب عن طريق اليمن[1].

وقد كانت الكنيسة السورية من أهم دعائم النصرانية بالمنطقة، حيث وصل تأثيرها نحو الصحراء العربية، وخلال القرنين الخامس والسادس الميلاديين أصبحت المسيحية في بلاد سوريا في عهد الروم، وانتشرت بين المقيمين في الشام في حماية دولة الروم (الغساسنة)[2].

ومن الطبيعي أن يكون انتشار النصرانية في العرب ببلاد الشام واضحًا ظاهرًا أكثر منه في أي مكان آخر، فقد كان لعرب هذه الديار علاقة وطيدة مع القياصرة الروم الذين اتخذوا من النصرانية دينًا رسميًا لإمبراطوريتهم، فكان من أولى واجبات الروم السعي في تنصير الشعوب الخاضعة لهم لتمكين سلطانهم عليهم، وإخضاعهم روحيًا لهم، ولهذا فقد حارب الغساسنة إلى جانب الروم لدوافع دينية وسياسية ففي يوم اليرموك كانوا في صفوف الروم وكان رئيسهم (جبلة بن الأيهم الغساني) في مقدمة الجيش [1].

كما انتشرت المسيحية عند المناذرة حكام الحيرة في العراق، وفي قبائل تغلب، وإياد وقضاعة، وفي وادي القرى، وأيلة، واليمامة، ودومة والجندل، ويثرب، وعند أفراد من أهل الحجاز، ولاسيما في مكة وفي نجران في اليمن، حيث تعد أهم مواطن النصرانية في بلاد العرب الجنوبية، واشتهرت بإنشاء أكبر الكنائس وعُرفت بكعبة نجران[2].

وما من وسائل نشر المسيحية بناء الأديرة، للقوافل التجارية ليجد فيها التجار كل وسائل الراحة والاستمتاع خلال رحلاتهم وأسفارهم الشاقة، وكانت هذه الأديرة تشتهر بالخمور والنبيذ الذي كان يتم صنعه على أيدي الرهبان أنفسهم وأثناء اللهو وشرب

---

[1]- بلقاسم رحماني، المرجع السابق، ج1، ص 79.

[2]- نفس المرجع.

[1]- محمود عرفة محمود، المرجع السابق، ص 197.

[2]- توفيق برو، المرجع السابق، ص 308.

الخمور كان الرهبان يلعبون دورهم في التعريف بدينهم ويؤدون شعائرهم في حضور زوارهم ويدعونهم إلى الانضمام للنصرانية[1].

والملاحظ أنه كان للمسيحية انتشارًا كبيرًا في المنطقة، إلّا أنها عجزت كاليهودية في ترسيخ أقدامها والقضاء على الوثنية، فهي لا تلائم طبائع العرب الميالين إلى الثأر وحب الانتقام والأنفة، فلا يرضى العربي أن يدير لضاربه خده الأيسر إذا ضربه على خده الأيمن والنصارى في بلاد العرب قد أثرت عليهم البيئة فتأقلموا وخالفوا تعاليم المسيحية وشنوا الغارات وطالبوا بالثأر[2].

ج. **الحنفيــة**: تباينت الآراء حول تحديد معنى كلمه الحنفية لغويًا وقد ورد منها:

الحنف: إقبال القدم بأصابعها على القدم الأخرى.

و**الحنيف**: المائل من خير إلى شر أو من شر إلى خير.

و**الحنيف**: المسلم الذي يتحنف عن الأديان، أي يميل إلى الحق وقيل: هو الذي يستقبل قبلة بيت الله الحرام على ملة إبراهيم عليه السلام.

والحنيف: هو المستقيم.

وورد من ذلك أن الحنيف: من كان على دين إبراهيم فهو حنيف عند العرب، وكان عبدَةُ الأوثان في الجاهلية يقولون: نحن حنفاء على دين إبراهيم، فلما جاء الإسلام سمو المسلم حنيفًا، والحنيف المسلم، وكان في الجاهلية يُقال: من اختتن وحجَّ البيت (حنيف) لأن العرب لم تتمسك في الجاهلية بشيء من دين إبراهيم غير الختان وحج البيت[1].

---

[1]- محمود عرفة محمود، المرجع السابق، ص 197- 198.

[2]- حسين الحاج حسن، المرجع السابق، ص 184.

[1]- ابن المنظور، المصدر السابق، ج9، ص 57.

ويشير بعض المستشرقين إلى أن أصل الكلمة أرامي ثم انتقلت إلى عرب الجاهلية حيث كانوا يطلقونها على أهل التوحيد الذين نبذوا عبادة الأصنام، وبالخصوص على أولئك الذين ظهروا في اليمن ونادوا بالتوحيد وعبادة الرحمن[1].

ويرى بعض الباحثين أن لفظة الحنفية تعود إلى أصول عبرانية معناها (تحنوت) و(Tahanant) وكذلك (حنف) (Hanaf) ومعناها التحنت، وذلك لما لهذه اللفظة من صلة بالزهد[2].

ويضاف إلى ذلك أنّ بعضهم يرى أنّ لفظة الحنفية أصله عربي جاء من كلمة (تحنف) كما ورد (صبأ)، أي مال وتأثر بأي شيء، فترك ما كان عليه وانتقل إلى شيء آخر[1]وقد أشار بعضهم إلى أنّ (الحنف) هو الميل عن النصرانية واليهودية والتمسك بدين إبراهيم الخليل عليه السلام، فاليهود ادّعت بأنّ إبراهيم على دينها والنصارى ادعت أنّ إبراهيم عليه السلام على دينها،[2] لكن القرآن الكريم ينفي ذلك في قوله تعالى:﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (67)﴾[3]، والذي يفهم من القرآن الكريم أنّ الحنفاء هم أولئك الذين رفضوا عبادة الأصنام فلم يكونوا من المشركين بل كانوا يدينون بالتوحيد الخالص وهو فوق توحيد اليهود والنصارى.

وبعض المستشرقين يعدون الحنفاء شيعة من شيع النصرانية، فهم نصارى عربا زهادا كيفوا النصرانية بعض التكييف وخالطوا فيها بعض التعاليم من غيرها، وقد استدلوا على ذلك بما ورد في بعض أشعار الجاهلية من مواضع يفهم منها على تفسيرهم أنّ المراد بهم شيعة من شيع النصرانية غير أنّ القرآن الكريم نصّ نصًا صريحًا أن الحنفاء لم يكونوا يهودًا ولا نصارى[4].

---

[1]- جواد علي، المرجع السابق، ج6، ص 453.

[2]- نفس المرجع.

[1]- سميح دغيم، **أديان ومعتقدات العرب قبل الإسلام**، ط1، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1995 م، ص 47.

[2]- محمد حمزة إبراهيم، **الأديان في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام من خلال الشعر الجاهلي**، مجلة الخليج العربي، مج 40، العدد 2، 2012 م، ص 24.

[3]- سورة آل عمران، الآية 67.

[4]- حبيب حنش حمدان الزهراني، **أدب الحنفية في العصر الجاهلي**، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة، ص 75.

ووردت لفظة حنيفًا في تسع مواضع من القرآن الكريم[1]، أمّا لفظة حنفاء فقد وردت مرتين في سورة الحج[2]، والبينة[3].

وتذكر بعض الروايات أن جل العرب كانوا يدينون بالحنفية قبل أن يدخل (عمرو بن لحي الخزاعي) الأصنام فأفسد العرب ونشر بينهم الضلال وأبعدهم عن شريعة إبراهيم عليه السلام[4]، وذلك لأنّ أتباع الحنفية في بلاد العرب لم يستطيعوا أن يبقوا الناس على دينهم لأنهم لم يكونوا جماعات منظمة وليس لهم طقوس موحدة فضلًا على أنهم لم ينشروا أفكارهم بصورة مستمرة بين الناس[1].

ومما يستدعي النظر في أمر الحنفاء أنهم جماعة نبذت عبادة الأصنام، وثارت عليها وعلى المثل الأخلاقية التي كانت سائدة في ذلك الزمن، ودعت إلى إصلاحات واسعة في الحياة وإلى محاربة الأمراض الاجتماعية العديدة التي كانت متفشيه في ذلك العهد، ودعاها إلى ذلك ما رأته في قومها من إغراق في عبادة الأصنام ومن إسراف في شرب الخمر وما شاكل ذلك من أمور مضرة فرفعت صوتها كما يرفع المصلحون صوتهم في كل زمن ينادون بالإصلاح[2].

3. السلطة الدينيـة:

كان للعامل الديني أثره في التكوين السياسي عند العرب قبل الإسلام، فجل الباحثين يتفقون على أهمية السلطة الدينية على المجتمع والدولة وربما يكون أول ظهور للسلطة في دولة سبأ (دولة مكربي سبأ) في الألف الأول قبل الميلاد حيث جمع الحاكم بين السلطتين

(1)- سورة البقرة، الآية 135، سورة آل عمران، الآية 67 - 95، سورة النساء، الآية 125، سورة الأنعام، الآية 79 - 161، سورة يونس، الآية 105، سورة النحل، الآية 120، سورة الروم، الآية 30.

(2)- سورة الحج، الآية 31.

(3)- سورة البينة، الآية 05.

(4)- الألوسي، المصدر السابق، ج2، ص 195.

(1)- جواد علي، المرجع السابق، ج6، ص 463.

(2)- نفس المرجع، ص 462.

الدينية والزمنية فاسمه هو (رب الشعب) وهو كبير رجال الدين (المكرب) وفيما بعد نجد الملك يعرف كابن للإله وكوكيل له[1].

ويتجلى المفهوم المدني للمكرب بجانب المفهوم الديني في مملكة سبأ أكثر من غيرها من الممالك اليمنية القديمة، حيث استخدم من قبل الحاكم نفسه لتعيين هويته في بداية النقوش التي كان يأمر بكتابتها، وبالتالي فقد كان عبارة عن لقب شرفي استخدمه الحاكم لإعطاء الشرعية لحكمه، كذلك حتى يمكن قبوله كحاكم لاتحاد القبائل من قبل المنخرطين في ذلك الاتحاد[2].

ومن مظاهر الإخلاص للدولة، ذكر أسماء الآلهة التي يتعبد لها وذكر أسماء الحكام في الكتابات، وفي المناسبات تعبيرًا عن ولاء صاحب الكتابة وإخلاصه للحاكم[1]، ولما كانت الآلهة آلهة قبائل، كان نبذ الفرد لإلهه معناه نبذه لقبيلته وخروجه عن إجماعها، ولا يمكن لأي شخص أن يغير عبادة إله القبيلة إلا إذا خرج عن قبيلته وتعبد لإله آخر، وهو بمثابه تبديل الجنسية في عصرنا الحاضر، فليس بمقدور أي شخص أن يختار الصنم الذي يريده بمحض إرادته، لأنّ الصنم دين وهو رمز للقبيلة، والمحامي المدافع عن شعبه والرابطة التي تربط بين الأفراد، والخروج عنه معناها الخروج عن إرادة الشعب وتفكيك لوحدته[2].

ومما يدل على التداخل والتلازم بين الدور الديني والدور السياسي هو مكانة الآلهة التي كانت ترمز إلى الاتحاد السياسي ويظهر ذلك بشكل جلي في مملكة سبأ حيث كان يعبر عن المملكة بثلاثة أركان[3]، تجمع شمل الدولة وتقويها وتأخذ بها إلى الحكم إله أو آلهة يدافع أو تدافع عن الحكم وعن رعيته، والحاكم قد يكون كاهنًا وقد يكون ملكًا وقد يكون أميرًا

(1)- ديتلف نيلسن، **الديانة العربية القديمة، من كتاب تاريخ العرب القديم**، تر، فؤاد حسنين، مكتبه النهضة المصرية،1958م، ص 228.

(2)- منير عبد الجليل العريفي، **الفكر الديني في اليمن القديم**، مكتبة مدبولي، 2002م، ص 101.

(1)- جواد علي، المرجع السابق، ج5، ص 185.

(2)- نفس المرجع، ج6، ص 65.

(3)- منير عبد الجليل العريفي، المرجع السابق، ص 116.

وقد يكون سيد قبيلة واجبه حكم رعيته وإرشادهم وقيادتهم في السِلم والحرب، ثم الشعب الذي يدين بالولاء للآلهة والحكام[1].

وفي عهد الملك (كرب إل وتر) كان يعبر عن تلك الأركان بالإله (المقة) والملك (كرب إل وتر) والشعب قبيلة سبأ وهو التحالف الذي يجسد المملكة[2]، ويضم الاتحاد عدد من القبائل غير السبئية التي أصبحت ضمن المملكة وتسيطر عليها قبيلة سبأ وإلهها (المقة) وبالتالي معبدها الرئيسي في مأرب، الذي كان يمثل الدور السياسي لكل الأعمال التي يقوم بها الملك، باعتبار أن الأرض هي في الأصل ملك الإله، وبالتالي فإنّ المعابد المقامة في تلك الأماكن هي مراكز سياسية هامة تمثل سلطة الإله والملك[1].

وقد عبر عن الاتحاد بين القبائل السبئية بالتآخي والتصادق الديني، ولتقوية ذلك الاتحاد أشركت القبيلة الجديدة في الوظائف الدينية وفي الأعمال الاقتصادية، باعتبار أنّ كل الأعمال العامة هي في الأصل ملك للإله والغرض منه تقوية للاتحاد[2].

والمؤكد أن الصبغة الدينية قد دخلت معظم جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها من جوانب الحياة لعرب ما قبل الإسلام، وقد وجدت كل تقاليدهم الغطاء الديني والاعتقادي، فالسياسة عندهم بنيت على جمع الملك بين السلطات السياسية والدينية لذا وجد في لقب الحاكم في اليمن (مكرب)، وفي مكة فقد بني كل من السياسة والتجارة على وجود الكعبة[3].

إذن فقد كان للجانب الديني أثره الكبير على حياة الشعب فمعظم ما وجد من الآثار والنقوش يرتبط بطريق أو بآخر بالحياة الدينية، فالقوانين تعمل ويصرح بها بسم الآلهة، وكل

---

(1)- جواد علي، المرجع السابق، ج5، ص 185.

(2)- منير عبد الجليل العريفي، المرجع السابق، ص 116.

(1)- نفس المرجع، ص 116.

(2)- رودكاناكيس نيكولوس، **الحياة العامة للدول العربية الجنوبية، من كتاب تاريخ العرب القديم**، المرجع السابق ص 126-127.

(3)-علي ابراهيم محمد مجتبى، المرجع السابق، ص 89.

ما يقوم به الفرد أو الجماعة أو الحاكم من أنشطة يقترن عادة بطلب التوفيق من الآلهة لتساندهم في أعمالهم، وكانت أحسن البنايات تبنى كمعابد للآلهة ويتمتع كهنتها بالمراكز الممتازة لأنهم كانوا يعتبرون الوساطة بين الشعب ومعبوداته.

وكان لكل من اليهودية والمسيحية أثره في بلاد العرب حيث أصبح عدد كبير من السكان يؤمن بهذا الدين الجديد فشيدوا كنائس كثيرة خاصة في مدن اليمن وكانت أهمها كنيسة القليس في صنعاء والتي كان الهدف من بنائها هو منافسة الكعبة.

ومن هنا نخلص إلى أن للجانب الاجتماعي دور أساسي في بناء منظومة اجتماعية متناسقة وزاوج فيها إنسان المنطقة بين الأعراف والتقاليد البدوية، وبين متطلبات التحضر الناتجة عن الاستقرار-إضافة إلى عوامل خارجية- حيث انتظم مجتمع المنطقة ببدوه وحضره تجلى ذلك في العديد من التشريعات الخاصة بهذا الجانب، كما ساهم في ذلك العامل الديني، والذي ظل دوره مقدسا سواء كان الدين وثانيا أو توحيديا، والذي يعد مصدرا لشرعية الحاكم في تولي السلطة، من هنا يتجلى ذلك الترابط بين المجتمع والدين والحاكم، في منظومة حكم متكاملة ومتطورة.

الفصــل الرابــع:

دول وممـالك شبــه الجزيـرة العربيــة قبـــل الاســلام

I. دول وممالك جنوب شبــه الجزيـرة العربيــة:

1. دولــة معيــن
2. مملكـة قتبـــان
3. مملكـة حضـر مـوت
4. دولـة سبــأ

II. دول وممـالك وسـط شبـه الجزيــرة:

1. دويلات مــدن الحجــاز
2. دولــة كنــدة

III. دول وممالك شمـــال شبـه الجزيـرة العربيــة:

1. دولــة الأنبــاط
2. دولـة تدمــر
3. دولــة المنــاذرة والغساسنــة

شهدت شبه الجزيرة العرب قيام عدّة ممالك ودول وذلك في كل من جنوب الجزيرة ووسطها وشمالها، حيث كان لها دورها في الإتيان بنظم سياسية وفي صياغة تاريخ العرب السياسي القديم.[انظر الخريطة رقم 11]

I. دول وممالك جنوب شبه الجزيرة العربية:

لقد هيأ لموقع جنوب شبه الجزيرة العربية الهام بأن يكون من أوائل الذين أنشأوا حضارة في شبه الجزيرة العربية، ويظهر مستواهم الحضاري في الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وهذا نتيجة لتوافر عدّة عوامل وظروف مجتمعة وقد أدت هذه الظروف إلى قيام ونشوء العديد من الممالك والدول وكان أهم الدول " دولة معين، سبأ، قتبان، حضرموت" ولكن كان هناك دويلات أقل أهمية من هذه الأربعة مثل "أوسان" وهذه الدول الصغيرة لم تترك أثر هامًا وذلك نتيجة لانضمامها إلى غيرها من الدول القوية.

1. دولة معين:

تعتبر الدولة المعينية أقدم الدول العربية الجنوبية التي استطاع المؤرخون الوصول إلى أخبارها ولكنهم اختلفوا حول تاريخ قيامها واضمحلالها، ويقدر المختصون في التاريخ القديم أنّها أقدم الممالك في المنطقة، ويرجعون ذلك إلى عدّة أسباب وعوامل، هي أن الدولة المعينية نشأت في أخصب منطقة من الجوف اليمني الغني بالتربة والأمطار[1]،وبذلك يكون المعينيون أقدم شعب عربي وصلت أخباره من جنوب الجزيرة العربية، ويعتبرون أقدم الشعوب التي حملت لواء الحضارة في هذه المنطقة من العالم[2].

واستنادًا إلى بعض الدراسات التاريخية والأثرية التي قامت في جنوب شبه الجزيرة العربية أن هذه الدولة قد عاشت بين(1300-630 ق.م) حيث وردت أخبارها المدونة

---

(1)- بلقاسم رحماني، المرجع السابق، ج1، ص 113- 114. وكذلك:

-Joseph Chelhod, ***l'Arabie du sud histoire et civilisation***, T1, Paris, 1984, p144-145.

- Ch, Robin, ***Cites Rayaumes et Empires de l'arabie avant l'islam***, revue du monde arabe musulman et de la Mediterrane, nul 61, 1991, p 45-46.

(2)- عبدو عون الروضان، المرجع السابق، ص 101.

بالمسند وكتابات الإغريق والرومان من أمثال "ديور الصقلي سترابون" الذي سماهم (Minea– Meinaiai) وأن عاصمتهم "قرناو" (Carna– Karna) وتقع بلادهم في شمال بلاد سبأ وقتبان إلى الغرب من حضرموت أما المصادر العربية فلا علم لها بهذه الدولة ولكنها عرفت "معين وبراقش" على أنهما موضعان في الجوف، وأنهما مخفدان من جملة محافد اليمن وقصورها القديمة كما أنها جعلتها من سلالة "التبابعة"[1]، وأما الحدود الزمنية لتاريخ هذه الدولة فقد ظلت موضع جدل واختلاف كثير من الدارسين كما دار جدل حول معاصرتها لدولة سبأ أم أنها سابقة لها[2].

وقد اشتغل المعينيون بالتجارة وسيطروا على الطرق التجارية بين الشمال والجنوب كما سيطروا على شمال الحجاز فدخلت معان وديدان (العلا) تحت نفوذهم[3]،وخلال الألف الأولى قبل الميلاد كان الجزء الأعظم من التجارة العالمية في بلاد العرب واقعًا في يد المعينيين والسبئيين، الذين كانوا يسيطرون على الجزء الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة العربية، وكان السبئيون والمعينيون أبناء جنس واحد، ولكنهم كانوا يتنافسون على السيادة ،لا في بلادهم فحسب، بل في الأماكن التي كانت تمر بها طرق التجارة كذلك[4].

وفي هذا المجال توجد نقيشة تعرف باسم ناشرها (جلاسر رقم 1115) تظهر مدى انتشار تجارة المعينيين وازدهارها، وتتحدث النقيشة عن عودة قافلة كبرى إلى قرناو عاصمة معين بعد تعرضها لمحاولة سلب ،كما تشير إلى أن تلك القافلة كانت تمارس التجارة مع مصر[5].

لقد كانت حكومة معين حكومة ملكية يرأسها حاكم يلقب بالملك، حيث يشترك معه شخص أو شخصان أو ثلاثة أشخاص في حمل لقب "ملك" من أقربائه المرتبطين به برابطة

---

[1]- بلقاسم رحماني، المرجع السابق، ج1، ص114.انظر كذلك: محمد بيومي مهران،(دراسات...)، المرجع السابق، ص 214.
-Strabo, ***the geography of stabo***, trans by H. L, pores London, 1949, vol p 19.
[2]- سبتينو موسكاتي، المرجع السابق، ص192.
[3]- عصام السعيد، المرجع السابق، ص 56.
[4]- حلمي محروس إسماعيل، المرجع السابق، ص192. - Rdouard Glaser, ***Exploration in south arabia***, 1971, p 91
[5]- حسين الشيخ، **العرب قبل الإسلام**، دار المعرفة الجامعية،1993م، ص 76-77.

الدم،كأن يكون ابنه أو شقيقه، ويظهر من الكتابات المعينية أن الحكم في معين لم يكن حكمًا ملكيًا تعسفيًا (السلطة الفعلية مركزة في أيدي الملوك) بل كان الحكم فيها استشاريا حيث يستشير الملوك أقربائهم ورجال الدين وسادات القبائل ورؤساء المدن، ثم يصدرون أحكامهم وقد كان لكل مدينة حكومتها الخاصة بها ولهذا أطلق بعضهم على حكومة معين حكومة مدن فكل مدينة لها حكومتها وهيئتها الدينية ولكل مدينة مجلس استشاري يدير شؤونها في السلم وفي الحرب ويفصل فيما يقع بين الناس من خصومات[1]، وهذا المجلس يطلق عليه اسم "مزود" أو "مسود" وهو أشبه ما يكون بدار الندوة المعروفة في مكة[2]، كما تتألف دولة معين من مقاطعات على رأس كل مقاطعة ممثل عن الملك يعرف عندهم باسم "كبر" أي "الكبير" ويظهر أنه كان لا يتدخل إلا في السياسة التي تخص المسائل العليا المتعلقة بحقوق الملك وبشعب معين[3].

أما عن ملوك معين فالأمر ما يزال موضع خلاف فيما يتصل بحكم هؤلاء الملوك ولعل السبب في ذلك يرجع إلى عدم الاتفاق بين العلماء في تحديد تواريخ حكم أولئك الملوك ذلك لأن النصوص المعينية لم تؤرخ وفق تقويم من التقاويم كما أنّها لم تحدد مدّة حكم كل واحد منهم ولم يعثر على قائمة بأسمائهم تذكرهم بالترتيب، ولهذا لا يمكن معرفة متى قامت الدولة المعينية ومتى سقطت، والدولة التي أسقطتها[4].

ومن أهم المدن المعنية (قرناو) العاصمة وأهم آثارها معبد "الصاف" الذي يقع خارج حدود المدينة، وكذلك مدينة "ياثل" أو "براقش"وكانت مركزا دينيًا هامًا، ومدينة "ميسكا" وكذلك مدينة "نشأن" أو "نش" (الخربة السوداء حاليا)، حيث تبين للباحثين أنها كانت مدينة

---

[1]- جواد علي، المرجع السابق، ج2، ص 108- 109.

[2]- نفس المرجع، ص 109.

[4]- أحمد رحيم هبو، المرجع السابق، ص 113.وكذلك:

-Albright, W. F, ***the chronologie ofthe first copain of excavation in Qataban***, baltimor, 1950, p 7.

[4]- أحمد رحيم هبو، المرجع السابق، ص 113.انظر كذلك: محمد يحي الحداد، **تاريخ اليمن السياسي**، ج1، ط2، دار وهدان للطباعة والنشر، القاهرة، 1968م، ص 37 . وكذلك:

-Albright, W. F, ***the chronologie ofminaean king of arabia,*** Basor, 129, 1953, p 22.

صناعية لعثورهم بين أنقاضها على خامات المعادن وعلى أدوات تستعمل في التعدين وفي تحويل المعادن إلى أدوات للاستعمال[1].

2. مملكة قتبان:

يقع إقليم قتبان في جنوب اليمن بين حضرموت شرقًا وأوسان غربًا، وتطل جنوبًا على بحر العرب أو المحيط الهندي، وتتصل شمالا بالمرتفعات اليمنية[2]، التي تقع فيها عاصمة قتبان "تمنع" والمعروفة باسم "كحلان حاليا " والتي عرفت بكثرة مياهها وبساتينها[3].

وقد أشار الكتاب الكلاسيكيين إلى قتبان[4]، وفي المقابل يشح ذكرها في المصادر العربية فقد ذكر "الحموي ياقوت" أن قتبان موضع في نواحي عدن، ويعد وادي بيجان من صميم أرض قتبان[5]، ويعود السبب في ذلك إلى ضعف قتبان واندماجها في حكومة سبأ وذي ريدان وهي الحكومة التي يطلق عليها اسم "حمير"[6].

أمّا عن تحديد الإطار الزماني لبداية دولة قتبان ونهايتها فقد اختلفت حوله الآراء رغم معاصرة قتبان لدولة معين ودولة سبأ فقد أرجع "هومل" تاريخها إلى ما قبل سنة 1000 قبل الميلاد وأما " فليبي " فقد أرجعه إلى الفترة (865-540ق.م)[7]، ورغم هذا الخلاف إلا أنه تم تقسيم البعض لمملكة قتبان إلى ثلاث فترات احتلت المساحة الزمنية من القرن العاشر وحتى الأول قبل الميلاد.

الفترة الأولى: أهم ملوك هذه الفترة كان "يدع أب ذبيان بن شهر" الذي حكم في الفترة (750 – 735 ق.م) على رأي فليبي وتعود إلى نهاية القرن الخامس قبل الميلاد على رأي

---

(1)- حسين الشيخ، المرجع السابق، ص78 . انظر كذلك :حلمي محروس إسماعيل، المرجع السابق، ص 194- 195.

(2)- أحمد أمين سليم،(معالم...)، المرجع السابق، ص 78.

(3)- حلمي محروس إسماعيل، المرجع السابق، ص195. انظر كذلك :محمد يحي الحداد، المرجع السابق، ص 54.وكذلك:

(4)-Theophrastus, **EnQuiry in To plants, Translated, by, A.F Hort** (laeb) Library,Vol3, p 235.

(5)- الحموي ياقوت، المصدر السابق، ج4، ص 310.

(6)- محمد بيومي مهران،(دراسات...)، المرجع السابق، ص 248. وكذلك: Al ghul, ***New qataban inscriptions***, 1956, p -432

(7)- نفس المرجع، ص 249. وكذلك :. -J. Philby***, the background of Islam***, Alexandria, 1947 p141. F.Homel, op cit, p29.

أولبرايت،[1] وكان أول من حمل لقب "الملك"[2]، وقد قام ببناء المدخل الجنوبي لمدينه "تمنع" وتجديد بيت الإله " ود" و"عشتر" كما قام بإنشاء الطرق التي تربط بين أطراف المملكة[3].

الفترة الثانية: تبدأ من350إلى 250ق.م، وكان أول ملوكها (أب شيم)، ثم خلفه ابنه (شهر غيلان)، وفي هذه الفترة جاء ذكر الضرائب التي تؤدى إلى خزينة الدولة في نهاية كل عام وتقدر بالعشر من كل ربح صافي، بالإضافة إلى الضرائب التي تؤدى للمعابد ويبدو أن شهر غيلان قد انتصر على حضرموت وتخليدا لذكرى هذا النصر فقد اقام معبد للإله سماه "عشتر" في "ذبحان" وهي "بيجان الحالية عند جبل ديدان"، ومن ملوك هذه الفترة أيضا "شهر يجيل" الذي تولى الحكم في حوالي عام 300ق.م وتغلب على دولة معين وأخضعها لسلطانه، ثم خلفه اخوه الذي عرف بـ " شهر هلل يهنعم" وكان اخر ملوك هذه الفترة " يدع أب غيلان"[4].

الفترة الثالثة: تبدأ من 250إلى 25ق.م، وأول ملوك هذه الفترة كان "هوف عم يهنعم"، وجاء بعده "شهر يجل يهرجب" الذي أعاد بناء المدخل الجنوبي لمدينة "تمنع" ويبدو أن قتبان في عهده قد مارست نوعا من السيطرة على دولة معين، أو على الأقل كان هناك نوع من التحالف بين الدولتين كانت فيه قتبان صاحبه اليد العليا أما ابنه "ورو إل غيلان يهنعم" فقد كان أول من سك نقودا ذهبية عثر عليها في مدينة "حريب"[5].

---

[1]- نقلا عن: محمد بيومي مهران،(دراسات...)،المرجع السابق، ص 250.

[2]- حسين الشيخ، المرجع السابق، ص 866.

[3]- أحمد أمين سليم،(معالم...)، المرجع السابق، ص 79. انظر كذلك: محمود عرفة محمود، المرجع السابق، ص 117. محمد بيومي مهران،(دراسات...)، المرجع السابق، ص 250-251. انظر كذلك: فؤاد حسنين، **التاريخ العالم لبلاد العرب الجنوبية**، من كتاب تاريخ العرب القديم، المرجع السابق، ص 286.

[4]- حسين الشيخ، المرجع السابق، ص 87.

[5]- نفس المرجع.

وقد استطاع الملوك القتبانيين المحافظة على الجزء الغربي من قتبان بعد سقوط "تمنع" متخذين من "تمنع" مقر لهم، بينما اكتفى الحضارمة، بالاستيلاء على الجزء الشرقي للبلاد وذلك في الفترة ما بين 25 قبل الميلاد، والعام الأول للميلاد[1].

ويذكر الباحثون إلى أن السبئيين هم الذين قضوا على مملكة قتبان وإن اختلفوا في الوقت الذي حدث فيه ذلك على أن دولة "سبأ وذي ريدان" لم تكن الوريثة الوحيدة لقتبان فقد شاركتها في الغنيمة حضرموت التي ضمت إليها جزءا من قتبان وبذلك استطاعت حضرموت منافسة "سبأ وذي ريدان" فترة امتدت حتى أخريات القرن الأول الميلادي[2].

أما نظام الحكم في مملكة قتبان فكان ملكيًا وراثيًا، ويساعد الملك حكام أو شيوخ يقال للواحد منهم "كبير" وكانت تقام في المدن مجالس محلية تسمى "مسود" تعني بأمور المدينة في السلم والحرب كما رأينا في الدولة المعينية[3]. ومن أهم مدن قتبان "شور، شوم" ومدينة "حرب" أو "حريب" والتي اشتهرت بالنقود التي تحمل اسمها لأنها سكت فيها[4].

واستفاد القتبانيون من موقع بلادهم بالقرب من باب المندب ومجاورتهم لحضرموت التي كانت تنتج أجود أنواع الطيب والبخور فاشتغلوا بالتجارة وحققوا أرباحا ضخمة منها[5].

3. مملكة حضرموت:

قامت مملكة حضرموت في جنوبي الجزيرة العربية إلى الشرق من اليمن على ساحل بحر العرب، في منطقة واسعة تحيط بها رمال كثيفة تعرف بالأحقاف، ويرجع اسم "حضرموت" إلى "حضرموت بن قحطان" الذي نزل هذا المكان فسمي به أو نسبة إلى "عامر بن قحطان" الذي كان إذا حضر حربًا أكثر فيها القتل ومن ثم سمي بحضر موت[6].

---

(1)- فؤاد حسنين، المرجع السابق، ص 288-289.

(2)- محمد بيومي مهران،(دراسات...)، المرجع السابق، ص 257.

(3)- أحمد رحيم هبو، المرجع السابق، ص 116.

(4)- جواد علي، المرجع السابق، ج2، ص 230-231.

(5)- حلمي محروس اسماعيل، المرجع السابق، ص 197.

(6)- الهمذاني،(صفة...)، المرجع السابق، ص165. انظر كذلك :ياقوت الحموي، المصدر السابق، ص 270.

وكما تعددت الآراء حول تسمية "حضرموت" تعددت كذلك بالنسبة لبداية ونهاية هذه المملكة فهناك من يرجح بدايتها إلى نهاية الألف الثاني قبل الميلاد (1020ق.م)،فيما ذهب فريق آخر إلى أن بدايتها تعود إلى القرن الخامس قبل الميلاد (450 ق.م)[1].

لقد عاصرت مملكة حضرموت كل من معين وقتبان وسبأ وما يميز هذه المملكة عن غيرها من الممالك المعاصرة لها أنها ما تزال تحتفظ باسمها القديم حتى اليوم، بمعنى أن اسم حضرموت مازال موجودًا تحمله محافظة في جنوب الجمهورية العربية اليمنية[2].

وفيما يخص نظام الحكم فقد تتابع على حكمها نوعين من الحكام، ففي الفترة الأولى من تاريخها حكمها ما يسمى بـ (مكرب) ثم تغير لقب الحاكم من "مكرب" إلى "ملك" مثل ما حدث في دولة سبأ[3]،وأول ملوكها هو "صدق إل" حسب رأي "فيليبي"[4].

أما عن نهاية مملكة حضرموت فإنه تكرر بتكرار استعادتها لاستقلالها بعد فقدانه ذلك أنه حدث أولا أن فقدت استقلالها واندمجت في دولة معين بعد وفاة ملك حضرموت (معد يكرب) الذي تولى الحكم حوالي عام 980ق.م، واستمرت على تلك الحالة ثلاثة قرون أي إلى نحو عام 650ق.م، والذي ساعد على اندماج مملكة حضرموت المستقلة في مملكة معين في هذا التاريخ أي بعد وفاة "معد يكرب" هو كون ملك معين في ذلك التاريخ (أب يدع يثع بن اليفع ريام) شقيق "معد يكرب" ملك حضرموت المذكور[5].

وقد عادت مملكة حضرموت إلى الاستقلال وحكمها من ملوك حضرموت (السمع ذبيان بن ملك كرب) وذلك من سنة 650ق.م إلى سنه 590ق.م، ثم اندمجت بعد هذا التاريخ في مملكة قتبان ثم أصبحت جزءًا من مملكة سبأ، وقد عادت مملكة حضرموت إلى

(1)-Philby, ***the Bachgraundof Islam***, p 141

انظر كذلك: فؤاد حسنين، المرجع السابق، ص276 .محمد يحي الحداد، المرجع السابق، ص 55 .

(2)- عبدو عون الروضان، المرجع السابق، ص 106.عمر حقي اسماعيل، **مملكة حضرموت في اليمن**_دراسة أثرية، مجلة الملوية للدراسات الأثرية والتاريخية، المجلد 3، العدد 5، السنة 3، جامعة سامراء، العراق، 2016، ص 149- 162.

(3)- حسين الشيخ، المرجع السابق، ص 81.

(4)- فؤاد حسنين، المرجع السابق، ص 276.وكذلك: . -J. Phiby, op cit , p 142

(5)- محمد يحي الحداد، المرجع السابق، ص 55.

الاستقلال في عام 180ق.م، حيث كوّن فيها الملك(يدع ال بن رب شمس) أسرة ملكية جديدة في حضرموت وبنى مدينة "شبوة" واستمرت حضرموت مستقلة بملوكها الحضارم واندمجت نهائيًا في مملكة "سبأ وذي ريدان" في عهد الملك (شمر يهرعش)[1]، الذي استطاع أن يوحد الكيانين السياسيين الباقيين في جنوب شبه الجزيرة العربية وهما "سبأ وحمير" في كيان واحد وأقام حكما مركزيا قويا حمل لقب ملك (سبأ وذي ريدان) وحضرموت ويمانت[2].

وإذا تحدثنا عن أهم مدن حضرموت نجد مدينة (ميفعة) العاصمة القديمة لحضرموت وأهم مدن حضرموت[3]، كذلك العاصمة "شبوة" وقد ذكرها "الهمذاني" ضمن حصون حضرموت ومحافدها[4]، وهناك مدينة "قانا" الميناء الرئيسي لحضرموت إلى الشرق من عدنكما وجدت مدينة "مذب" "مذاب" وقد اشتهرت بمعبد الإله "سين" إله القمر وتوجد بقاياه الآن في موضع يعرف باسم "الحريضة"[5].

وهناك أماكن قديمة حضرمية وسبئية ينسبها العلماء إلى عاد وثمود مثل قرية "سنا" التي وجد بها قبر هود عليه السلام، وموضع "غيبون" وحصن "عر" و"حدبة الغصن" و"المكنون" و"ثوبة" وغيرها[6].

4. دولـة سبــأ:

حظيت دولة سبأ بأهمية خاصة بين الدول التي ظهرت في جنوب الجزيرة العربية ويظهر ذلك من خلال المصادر التاريخية التي تحدثت عنها أكثر من غيرها من الدول الجنوبية[7]، فتاريخ سبأ عمود التاريخ اليمني القديم وتكوينه السياسي الكبير وما تلك الدول التي ذكرت معها

---

[1]- محمد يحي الحداد، المرجع السابق، ص 55- 56.

[2]- يوسف محمد عبد الله،**أوراق في تاريخ اليمن واثاره**، ط2، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1990م، ص 323.

ـ **ذو ريدان**: هي حمير، ويمانت، هي المناطق الساحلية المحاذية لساحل البحر العربي،انظر، يوسف محمد عبد الله، المرجع السابق، ص 204.

[3]- جواد علي، المرجع السابق، ج2، ص 158.

[4]- الهمذاني،(صفة...)، المرجع السابق، ص 87- 98.

[5]- محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص 244.

[6]- نفس المرجع، ص 245،وكذلك:-A. F, Beeston, ***HAdramawt pre-islamic pèriode***, Leiden, 1971, p p 51-53.

[7]- أحمد أمين سليم،(معالم...)، المرجع السابق، ص 83.

سوى تكوينات سياسية معاصرة لفترات سبأ انفصلت منها أحيانا واندمجت فيها أحيانا أخرى مثل دولة معين قتبان وحضرموت أو اتحدت معها لتكون دولة واحدة كدولة حمير[1].

II .دول وممـالك وسـط شبـه الجزيـرة العربيـة:

قامت في وسط شبه الجزيرة العربية كغيره دول وممالك مختلفة، ويقصد بوسط شبه الجزيرة العربية إقليم الحجاز وجزء كبير من إقليم نجد.

1. دويـلات المـدن الحجازيـة:

تمثلت دويلات المدن في كل من مكة ويثرب والطائف، وقد أطلق عليها تسمية دويلات المدن لأنها تمثل دول مستقلة تقتصر سيادتها على مدينة،وتمثل بعض المدن في شبه الجزيرة العربية نظامًا لدولة المدينة المعروف في الحضارات القديمة، فقد وجد عند كل من بلاد الرافدين الفينيقيين واليونان، إذ عرف نظام دولة المدينة أو (Polis) في اليونان القديمة كنظام أو كيان سياسي أساسه مدينة مستقلة أي أنه لا تصبح كل بلاد اليونان كيانًا سياسيًا واحدًا وإنما تصبح فيه كل منطقة منه كيانًا مستقلًا قائمًا بذاته له كل أبعاد الدولة وجذور هذا النظام ضاربة في القدم ومن أشهر الأمثلة للمدن اليونانية القديمة (أثينا ومقدونية وإسبرطا)[2].

فنظام دولة المدينة ليس اختراعًا يونانيًا فقد ابتدأ العرب هذا النظام السياسي منذ أن كان هناك نظام سياسي في تاريخ الإنسانية، لا نقول ابتدعوه بل كانت له خصوصيات ففي مراحل تطور المجتمع السياسي عند العرب مرت السلطة والحكومة ونظام الحكم، بما مرت به فكرة الدولة وتطبيقاتها عند الإغريق ثم الرومان ثم من ورثهم[3].

أ. **مدينة مكة:** تقع مكة في منتصف طريق القوافل الذي يربط اليمن ببلاد الشام حيث نشأت هذه المدينة في بطن واد تشرف عليه الجبال الجرداء من جميع الجهات، فإلى

[1]- يوسف محمد عبد الله، المرجع السابق، ص 198.

[2]- لطفي عبد الوهاب يحي، **اليونان مقدمة في التاريخ الحضاري**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية،1991م، ص 93.

[3]- جاسم زكريا، **مقومات الدولة بمكة ومكانتها في المجتمع الدولي قبل الإسلام**، مجلة جامعة الشارقة، المج14، العدد1، جوان 2017، ص 59- 60.

الشرق من المدينة يمتد جبل أبو قبيس وإلى الغرب يحدها جبل قعيقعان، وقد قامت هذه الجبال مقام السور الحصين الذي يحيط بالمدينة من جميع جهاتها، سوى ثلاثة منافذ تسمح بالدخول والخروج من المدينة باتجاه اليمن في الجنوب أو اتجاه الشام في الشمال أو اتجاه البحر في الغرب[1].

أما مناخ مكة فهو مناخ قاري، أي حار جدًا في الصيف، قليل الأمطار في الشتاء وقد تمر سنوات بدون أن يسقط أي مطر، غير أنه إذا سقطت الأمطار وخاصة في الشتاء وأوائل الربيع، فإنها تكون غزيرة وتسيل المياه من الجبال إلى الوديان والشعاب، مكونة سيولاً قوية جارفة تهدد المباني والمنشآت، وقد غرقت مكة مرات عدّة جراء تلك السيول[2].

كانت المياه شحيحة في مكة، فكان المكيون يشربون من آبار خارجة من الحرم يحملون مياهها في المزاد والقرب، ثم يسكبونه في حياض بفناء الكعبة، فيرده الحاج، ولما انتشرت قريشًا بمكة وكثر سكانها، قلت عليهم المياه، واشتدت المؤونة، فحفرت بمكة عدّة آبار[3].

لذلك فقد وصفت مكة أنها تقع في وادٍ "غير ذي زرع" لأن تلك الأمطار التي كانت تسقط لا تكفي سوى لإنبات بعض الأعشاب، أو بعض الشجيرات الصحراوية لرعي المواشي[4].

ب. مدينة يثرب:تقع يثرب[*] إلى الشمال من مكة على مسافة تقدر بحوالي "300ميل" تقريبا[5]، وإلى الشمال من يثرب يقع جبل أحد ثم جبل سلع، بينما يقع في جنوبها الغربي جبل عسير، وكذلك وادي العقيق الذي يحتوي على آبار تعتبر أعذب ما في تلك البلاد من مياه، وتنتشر في أطراف يثرب تربة بركانية تجعل منها أراضي خصبة صالحة للزراعة كما

---

[1]- هاشم يحي الملاح، (الوسيط في تاريخ...)، المرجع السابق، ص 260.

[2]- صالح أحمد العلي، المرجع السابق، ص 93- 94.

[3]- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 351.

[4]- صالح أحمد العلي، المرجع السابق، ص 94. وكذلك:

-Bukharim Mkhail, ***Mecca on caravane Routes in pre-islamic Antiquity***, Leiden,2009, pp 115-134.

حول نشأة مكة وأوضاعها السياسية انظر الفصل الخامس من البحث.

[*]- في المعنى اللغوي لمدينه يثرب انظر:ابن منظور،المصدر السابق، ج1،(مادة يثرب) ص 234 ومابعدها.

[5]- أحمد إبراهيم الشريف، المرجع السابق، ص 311.

تتصل هذه بدورها بوديان كثيرة تحيط بالمدينة من جميع جهاتها وقد ساعد توافر المياه فيها وخصوبة أراضيها على قيام نوع من حياة الإستقرار معتمدة على الزراعة[1]،فجو يثرب على العموم أفضل من جو مكة فهو ألطف وأحسن ولم يعاني أهلها ما عانى منه أهل مكة من قحط في الماء ومن شدة التعب في الحصول عليه، ولهذا صار في امكان أهل يثرب زرع النخيل وإنشاء البساتين والحدائق والتفسح فيها، مما أثر في طباع أهلها فجعلهم ألين وأشرح صدرًا من غيرهم[2].

كما ساعد موقعها على الطريق التجاري الذي يربط بين اليمن والشام، أن جعل منها محطة تجارية هامة تقصدها القوافل التجارية وتقضي فيها بعض الوقت[3]، فقد قامت فيها جاليات من معين ثم آل أمرها إلى السبئيين، حيث ذكرت يثرب في نقوش هاتين الدولتين كما جاء ذكرها في الكتابات الرومانية واليونانية[4].

وتنتسب يثرب إلى مؤسسها "يثرب بن قانية بن مهلائيل ابن ارم بن عبيل بن عوض بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام"، فلما نزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم سماها "طيبة وطابة" كراهية للتثريب الذي يعني الإفساد فقد روي عن "ابن عباس رضي الله عنه" أنه قال: "من قال للمدينة يثرب فليستغفر الله ثلاث وإنما هي طيبة"[5].

لقد أطلق على يثرب اسم المدينة بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إليها، ويرى البعض أن اسم المدينة مأخوذ من لفظة مدينتا الآرامية، ومعناها الحمى أو المدينة، ويرى البعض الآخر أن اسم المدينة ما هو إلا اختصار "لمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم"، وفي كل الأحوال فان اسم المدينة لم يطلق على يثرب إلا بعد الهجرة النبوية الشريفة، ولم يطلق عليها قبل ذلك[6]، إلا أنه قد ورد الاسمين في القرآن الكريم[7].

---

(1)- أحمد رحيم هبو، المرجع السابق، ص 229.

(2)- جواد علي، المرجع السابق، ج4، ص 132.

(3)- أحمد رحيم هبو، المرجع السابق، ص 229.

(4)- جواد علي، المرجع السابق، ج4، ص 127. بطليموس كلاوديوس، **الجزيرة العربية**، ترجمة السيد جاد، دارالملك عبد العزيز،الرياض، 2017، ص 33، فقرة 144، ص 144 فقرة 70 . وكذلك: - Stabon, op. cit, XI, 14, XII 4, 2.

(5)- الحموي ياقوت، المصدر السابق، ج5،(مادة يثرب) ص 430.يانظر كذلك:اسين غضبان، المرجع السابق،ص 13- 46.

(6)- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 332.

(7)- سورة التوبة، الآية 120.سورة الأحزاب، الآية 13.

وإلى جانب اسمي المدينة ويثرب فقد وردت عدة أسماء أخرى وقد عدّها بعض الإخباريين أحد عشر اسمًا، وعلى رأي آخر 29اسمًا، ويذهب رأي آخر إلى 94 اسمًا، ولعل من أبرزها جميعا (المدينة، يثرب، طيبة، طابة، والمسكنة، والعذراء، والجابرة، والمختارة، ودار الاخبار ودار الهجرة.....الخ)[1].

وأقدم نص أشير فيه إلى يثرب هو نص الملك البابلي (نبونيد: 556-539ق.م) حيث اتخذ هذا الملك من مدينة "تيماء" مقرًا له، ومنها قام بحملة ضد مناطق ديدان وخيبر ويثرب (أتريبو)، وكانت آخر موضع وصل إليه هذا الملك في بلاد العرب[2].

أما عن سكان يثرب فيذكر الإخباريون أن العمالقة هم أول من سكن يثرب، وكان ذلك قبل أن تنزلها القبائل اليهودية التي يعتقد أنها استوطنت يثرب بعد عام(70م) وينقسمون إلى ثلاث قبائل وهم (بنو قريظة، بنو النضير، وبنو قينقاع)، وقد كثر عددهم فيها حتى كادوا يغلبون عليها، واختاروا أن تكون لهم أحياء خاصة بهم يسكنونها فامتلكوا المزارع وسيطروا على المرافق الصناعية والتجارية وبنو حصونًا يلجؤون إليها في أوقات الشدة[3]وقد سكن يثرب إلى جانب اليهود جاليات مختلفة من عرب الشمال حتى نزل فيها الأوس والخزرج وهم من عرب اليمن، من قبيلة الأزد، وهما "ابنا قيلة بنت كاهل" ولذلك يقال للأوس والخزرج أبناء قيلة[4].

وبعد أن استقر الأوس والخزرج في يثرب استطاعوا أن ينزعوا من يهودها عددًا من الحصون، ثم بنوا لأنفسهم حصونًا أخرى، وقد تكاثر الأوس والخزرج وأخذوا يقاومون النفوذ اليهودي، وقد جمعت العصبية بينهم وبين سكان يثرب من عرب الشمال، حتى أصبحت يثرب تحت نفوذهم ولكن اليهود لم يركنوا للاستسلام بل لجأوا إلى سياسة الدس والإيقاع

---

[1]- محمد بيومي مهران،(دراسات...)،المرجع السابق، ص 436.

[2]- أحمد رحيم هبو، المرجع السابق، ص 230.انظر كذلك:صبحي أنور شريف، **الملك البابلي نبونا إيد في تيماء**، مجلة سومر، المجلد 35، بغداد،1979م، ص 53.

[3]- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 339- 340.

[4]- أحمد رحيم هبو، المرجع السابق، ص 231 .انظر كذلك: أحمد إبراهيم الشريف، المرجع السابق، ص 337-338.

بين الأوس والخزرج فنشبت الحروب بين القبيلتين، في سبيل التفرد بالنفوذ السياسي والاقتصادي في يثرب[1].

لقد ترتب عن هذه الانقسامات المتعددة بين سكان المدينة التي تحركها العوامل الاقتصادية والقبلية أن فقد أهل يثرب ثقتهم ببعضهم وعجزوا تبعًا لذلك عن تكوين قيادة موحدة تضم رجال الملأ من أهل المدينة من أجل خدمة الصالح العام لمجموع سكانها، لقد عملت كل قبيلة من قبائل المدينة وكل بطن من بطونها على حماية نفسها ومصالحها من خلال بناء أطام خاصة بها للاحتماء بها من هجمات الآخرين والتحصن بها أوقات الحروب، بل لقد سعى بعضهم إلى الاستعانة بأبناء القبائل الأخرى والتحالف معهم ضد أبناء جلدتهم[2] فقد تحالف الخزرج مع "بني قينقاع" وتحالف الأوس مع "بني قريضة" فكانت بين الطرفين أيام تعرف بأيام الأوس والخزرج وكان آخرها "يوم بُعاث" الذي انتصرت فيه الأوس على الخزرج[3].

لقد ألحقت تلك النزاعات أضرارا جسيمة بالقبيلتين، فقتل عدد كبير من رجال القبيلتين وعلى الرغم من الانتصار الذي أحرزه الأوس على الخزرج فإنهم لم ينساقوا وراء أهواء يهود "بني قريظة"، وتفطن الأوس والخزرج معًا إلى ما يسعى اليهود إليه من ضرب فريق منهم بالآخر حتى تصبح لهم السيادة، فعزموا على تصفية خلافاتهم نهائيا وكانوا في أمس الحاجة إلى وسيط يوحد كلمتهم لكن هذه الوحدة لم يكن لها أن تتحقق إلا تحت راية الإسلام فقد حل الرسول صلى الله عليه وسلم في يثرب وزرع في نفوسهم الأمن والمحبة والسلام فأصبح الفريقان يعرفان باسم جامع وهو "الأنصار"[4].

ج. **مدينة الطائف:** تقع مدينة الطائف على بعد 75" ميلا" تقريبا إلى الجنوب الشرقي من مكة، خلف جبل غزوان وهو واحد من جبال سلسلة السراة وإلى الشرق منها يوجد

---

(1)-أحمد رحيم هبو، المرجع السابق ، ص 231.

(2)- هاشم يحيى الملاح، (الوسيط...)، المرجع السابق، ص 333.

(3)- أحمد رحيم هبو، المرجع السابق، ص 232.

(4)- نفس المرجع، ص 233. وكذلك: Burkhart John Lewis J. C, ***Trabels in arabia***, London, 2017, p 27.-

وادي "ليّة" الذي نال شهرة في زراعة الأعناب، وتتميز بشتاء بارد وصيف معتدل[1]، وكانت الطائف قبل ذلك تسمى (وج) نسبة إلى "وج بن عبد الحي" من العمالقة، ويذكر الرواة أنه أخو "أجأ" الذي سمي به جبل طيئ و(وج) هو واديها الذي يقع على مقربة منها[2].

تعددت الآراء حول تسمية الطائف، لكن الرأي الأرجح يعود إلى حائطها المطيف بها مفاده أن رجلا يقال له (الدمون بن عبد الملك) بحضرموت باليمن، قتل ابن عمٍّ له يقال له (عمرو)، ثم فرَّ هاربا حتى نزل بوج حيث قبيلة ثقيف (تنسب إلى قصي بن منبَّه بن بكر بن هوزان) وكان تاجرًا ثريًا فراهنهم على الزواج من إحدى بناتهم، مقابل أن يبني لهم طوافًا مثل الحائط حتى لا يصل إليهم العدو فوافقوا على ذلك وزوجوه، وبنى لهم طوفًا عليهم فسميت الطائف[3].

وساعد توفر المياه وجودة التربة على قيام نشاط زراعي واسع في الطائف، وتعتبر الحنطة الإنتاج الزراعي الأول فيها، وعلى حنطتها كانت تعتمد أكثر حواضر الحجاز وخاصة مكة كما اشتهرت بفواكهها المتعددة حيث يكثر النخل والأعناب والموز والتين، لكن أكثر اعتمادها كان على العنب، الذي يشكل ثروتها الاقتصادية الأولى، كما مارس أهل الطائف الصيد وتربية النحل، إذ كان العسل أحد مصادر ثروة الطائف، وقد كان مرغوب في كل أنحاء بلاد العرب في الجاهلية والإسلام، وعليه وعلى المنتجات الزراعية السالف ذكرها قامت تجارة الطائف حيث كان أهل الطائف يستفيدون من غلات أراضيهم وحاصلاتها فيذهبون بها إلى مكة والعراق وغيرها، كما كانوا يستفيدون من موقع بلادهم بالقرب من الأسواق ولاسيما سوق عكاظ[4].

ويبدو أنه من الطبيعي أن تشكل منطقة الطائف نقطة جذب لسكان شبه الجزيرة العربية للاستقرار فيها منذ أقدم عصور التاريخ وذلك لتفوق هذه المنطقة على غيرها من مناطق

---

[1]- جواد علي، المرجع السابق، ج4، ص 24.

[2]- الحموي ياقوت، المصدر السابق، ج4، ص 9.

[3]- لمزيد من التفصيل حول تعدد الآراء، انظر، الحموي ياقوت، المصدر السابق، ج4، (مادة الطائف)، ص 9 وما بعدها.

[4]- أحمد رحيم هبو، المرجع السابق، ص234.

شبه الجزيرة العربية من حيث توفر وسائل العيش فيها، غير أنه ما وجد من معلومات تاريخية عن نشأة هذه المدينة وتطورها على درجة من القلة بحيث لا يفيد في بناء صورة واضحة عن تاريخ هذه المدينة المهمة، وأن معظم ما وصل من روايات في المصادر التاريخية يغلب عليه الطابع الأسطوري، الذي لا يساعد في استخراج معلومات دقيقة عن أوضاع المدينة وبخاصة إبان نشأتها الأولى[1].

وقد ذكر الدكتور "جواد علي" أنه تم العثور على كتابات مدونة على الصخور المحيطة بمدينة الطائف الحديثة، في مواضع غير بعيده عنها، وقد تبين أن بعضًا منها بالنبطية وبعضها الآخر بالثمودية، وأن بعضًا منها بأبجدية القرآن الكريم، أي بقلم إسلامي كما عثر على كتابات تشبه اليونانية وأخرى تشبه الخط الكوفي[2].

ويذكر أهل الأخبار أن أول من سكن الطائف إنما هم العماليق، ثم غلبهم عليها بنو عدوان من قيس بن عيلان، ثم بنو عامر بن صعصعة، ثم أخذتها منهم ثقيف التي يضرب بها المثل في قوة رجالها ومقدرتهم على حماية بلدهم، وقد سكن الطائف إلى جانب ثقيف جماعة من اليمنيين وقريش وهوزان، وأما هذيل فكانت تقيم بجبل غزوان[3].

لقد كانت الطائف المركز الديني الثاني في الحجاز بعد مكة، ففيها كانت تعبد "اللات" وكان لثقيف بيت تتعبد فيه وتطوف حوله، وكانوا يعظمونه كتعظيم أهل مكة للكعبة، وكان المكيون يرتبطون بالطائف ارتباطا وثيقا من الناحية الاقتصادية والاجتماعية، حيث كانوا يمتلكون في الطائف مزارع وبساتين، كما كانت لهم فيها تجارة وأموال يوظفونها[4].

---

[1]- هاشم يحيى الملاح،(الوسيط في تاريخ...)، المرجع السابق، ص297.

[2]- جواد علي، المرجع السابق، ج4، ص 134 .انظر كذلك: محمد بيومي مهران،(دراسات...)، المرجع السابق، ص 483.

[3]- محمد بيومي مهران،(دراسات...)، المرجع السابق، ص484 .انظر كذلك: أحمد رحيم هبو، المرجع السابق، ص 434.

[4]- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 329 .انظر كذلك:أحمد رحيم هبو، المرجع السابق، ص 434 .

2. دولــة كنــدة:

كندة قبيلة قحطانية يرجع نسبها إلى (ثور بن عفير بن الحارث بن مرة)، الذي ينتهي نسبه إلى إلى كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وكندة لقب ثور[1]، وقد عرفت عند بعض الإخباريين بكندة الملوك لأنّ الملوك كان لهم ملك على بادية الحجاز من بني عدنان[2].

تقع مساكن كندة في المرحلة الأولى من تاريخها في شرقي اليمن في المنطقة الواقعة إلى الغرب من حضرموت[3]، ثم استقروا في (غمرة كندة) أو (غمرة ذي كندة) جنوب وادي الرمة بين مكة والبصرة[4].

تعددت الروايات حول نزوح الكنديين من جنوب شبه الجزيرة العربية إلى وسطها وأشهرها اثنان:

الرواية الأولى: تعود إلى حرب بين حضرموت وكندة، التي طال أمدها وكادت أن تقضي على الكنديين ومن ثم فقد اضطروا إلى النزوح فرارا بأنفسهم من الفناء[5].

الرواية الثانية: ترجع إلى ارتباط تاريخ كندة بتاريخ حمير بفعل علاقة القرابة التي ربطت بين "حسان بن تبع" و"حجر بن عمرو" المعروف "بأكل المرار"[6]، حيث سيطر حسان على الحجاز وبعض من بلاد العرب وقد ساعده في ذلك حجر ابن عمرو، فأراد حسان مكافأته لذلك بتوليته على قبائل "معد بن عدنان" كلها، وربما كان الغرض من ذلك أن التبابعة

---

(1)- ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص 331.

(2)- جواد علي، المرجع السابق، ج3، ص 315.وكذلك:

-M. D, Bukharin, **towards,** ***The earliest history of kinda, Arabian Archeology and Epigraphy***, vol 20 issue 1, 2009, p 64-80.

(3)- محمد بيومي مهران،(دراسات...)، المرجع السابق،ص 599.

(4)- الحموي ياقوت، المصدر السابق، ج4،(مادة غمر) ص 212.

(5)- محمد بيومي مهران،(دراسات...)، المرجع السابق، ص 602.

(6)- **آكل المرار**: تسمية مفادها ان أحد أمراء غسان انتهز فرصة غيابي "حجر بن عمرو في احدى غزواته وأخذ أموالا لحجر وجارية له فانصرف وقال للجارية ما ظنك بحجر؟ فقالت: لا أعرفه ينام إلا وعضو منه يقظان ولا يأتينك فاغرًا فاه كأنه بعير أكل مرار (المرار: عشبة يأكلها الجمل فيزداد فمه) فإذا رأيت أن تنجو بنفسك فافعل، فما لبثوا أن لحقهم "حجر" كما وصفت. ورد الجارية والأموال، فغلب عليه اللقب. وفي رواية أخرى أن "حجر بن عمرو" كان يومًا على سفر فلم يجد ما يأكله فأكل المرار حتى شبع، للمزيد انظر، جواد علي، المرجع السابق، ج3، ص 322 وما بعدها .انظر كذلك: محمد بيومي مهران،(دراسات....)، المرجع السابق، ص 605 وما بعدها.

لجأوا إلى ذلك كوسيلة للسيطرة على الطرق التجارية الشمالية التي كانت ترتادها قوافل اليمن التجارية، حتى يأمنوا اعتداء قبائل البدو الشمالية عليها وهي نفس السياسة التي اتبعتها الروم من إقامة دولة الغساسنة، والفرس من إقامة دولة المناذرة[1].

ويبدو أن هذه الروايات جميعا، إنما تمثل مرحلتين من تاريخ كندة، فالأولى تمثل الهجرة من اليمن إلى وسط شبه الجزيرة، والثانية تمثل مرحلة استقرار الكنديين في أرضهم الجديدة وكيف كونوا لهم إمارة والتي تمثل التاريخ الحقيقي لكندة[2] ،وفي الربع الأخير من القرن الخامس ميلادي حوالي(480م) أصبح حجر بن عمرو "آكل المرار" ملكًا على كندة في قلب نجد، وانتزع جانبًا من الأرض التي كانت تحت سيطرة المناذرة، ثم نزل في مكان يدعى "بطن عاقل" جنوب وادي الرمة على الطريق بين مكة والبصرة[3].

يلاحظ أن المصادر العربية قد أهملت ذكرى كندة في المرحلة الأولى من تاريخها وبدأت تاريخها في المرحلة الثانية أي في عهد ملكها "حجر بن عمرو أكل المرار" إلا أنّ هناك إشارات من خلال الحديث عن بعض الملوك الذين حكموا قبل "جحر بن عمرو" ومنهم "مرتع" بن معاوية بن ثور" ثم "ابنه ثور بن مرتفع" و"معاوية بن ثور" ثم " الحارس بن معاوية" ثم "وهب بن الحارث" الذي خلفه "حجر بن عمرو" (أكل المرار) ونلاحظ أن هؤلاء إذن هم أسلاف "حجر بن عمرو" إلا أن أقدم رجل في كندة تحدث عنه الإخباريون بشيء من التفصيل والوضوح هو "حجر بن عمرو آكل المرار"[4].

واستنادا إلى المعطيات التاريخية تكون مملكة كندة قد قامت في الربع الأول من القرن الخامس الميلادي، ويكون "حجر بن عمرو آكل المرار" المؤسس الحقيقي (الفعلي) لدولة كندة في المرحلة الثانية من تاريخها وكان ذلك في عهد الملك الحميري "حسان بن تبع" وقام

(1)- محمد بيومي مهران،(دراسات...)، المرجع السابق، ص 603.
(2)- نفس المرجع.
(3)- نفس المرجع، ص 604-605.
(4)- جواد علي، المرجع السابق، ج3، ص 319- 320.

"حجر بن عمرو" بحملات توسعية في أطراف نجد والحجاز والبحرين واليمامة[1]، وقد حدث نزاع بين "حجر بن عمرو أكل المرار" و"زيادة بن الهبولة السليحي" ملك الشام الذي ينتمي إلى قبيلة قضاعة، فتغلب "حجر بن عمرو على "زياد بن الهبولة وقتله في موقعة أطلق عليها اسم (يوم البردان)[2]،ولما توفي "حجر بن عمرو" خلفه ابنه "عمرو" الملقب بالمقصور ربما لأنه اقتصر على ملك أبيه أو لأن ربيعة قد اضطرته إلى ذلك ولم يأخذ خلال حكمه لقب "الملك" وإنما اكتفى بلقب "سيد كندة" وكان له أخ اسمه "معاوية" ويلقب بالجون، تولى حكم اليمامة الأمر، الذي يدعو إلى الظن أنه لم يكن قويًا صاحب عزم وإرادة إلا أنه كان على علاقة طيبة مع ملوك اليمن، وكذلك باللخميين (المناذرة) ولهذا فقد زوج ابنته من " أسود بن المنذر" أول ملك الحيرة وتزوج ابنة "حسان بن تبع" الحميري، فولدت له ابنه "الحارث" الذي سيكون له شأن كبير بعد وفاة أبيه وتسلمِه ملك كندة، غير أن قبائل ربيعة خرجت في عهده على طاعة آل كندة منتهزة فرصة الضعف على أيامه، وكان قد ظهر من بني تغلب في نفس الوقت رجل قوي هو" وائل بن ربيعة" تمكن من انتزاع جميع قبائل ربيعة التي كانت تحت سيطرة "آل كندة"[3].

وكانت علاقته مع الغساسنة تختلف عن علاقته مع المناذرة، فقد اختلفت الروايات عن كيفية موته، هل قتله الحارث بن أبي شمر الغساني لأنه غزا الشام أم أنه قتله كان على يد ربيعة حينما خرجت عليه[4].

وتولى بعده ابنه الحارث بن عمرو، حيث اختلف المؤرخون في تحديد فترة حكمه، فبينما يحددها البعض بالفترة (495–528م) يحددها البعض الآخر بالفترة الممتدة من (495–524م) بينما يذهب آخرون إلى الفترة الممتدة من (490–528م)،إلا أن الحارث بن عمرو كان أقوى ملوك كندة وأشدهم بأسا وأعظمهم شخصية وأكثرهم طموحا وقد استطاع

[1]- أحمد رحيم هبو، المرجع السابق، ص 177.

[2]- لمزيد من التفصيل انظر كتاب **أيام العرب في الجاهلية**، محمد أحمد جاد المولى بك وآخرون، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، ص42 وما بعدها.

[3]- حسين الشيخ، المرجع السابق، ص 168. أحمد رحيم هبو، المرجع السابق، ص 177- 178.

[4]- توفيق برو، المرجع السابق، ص 155.

أن يعيد سلطانه على قبائل ربيعة في نجد وبني أسد وبني كنانة وبني بكر[1]، ونجح الحارث ابن عمرو في مد نفوذ كندة حتى الحيرة في الفترة الواقعة من (524 إلى 528م)[2]، ويرجع نجاحه في ذلك إلى رفض "المنذر بن ماء السماء" ملك الحيرة قبول مذهب المزدكية[3]، الذي اعتنقه كسرى قباذ الإمبراطور الفارسي، وعرضه على "المنذر بن ماء السماء" فعزله "قباذ" ونصب مكانه "الحارث بن عمرو" الذي قبل الزندقة المزدكية[4].

وبعد أن لمس "الحارث بن عمرو" حالة الضعف عند كسرى قباذ، بدأ يخطط لنفوذ أوسع في وادي الرافدين علي حساب الفرس، وهكذا أمر رجاله بأن يشنوا غارة على السواد (فيما وراء نهر الفرات) فعلم قباذ بالأمر ومنح الحارث بعض المناطق المجاورة للحيرة بقصد استرضائه ولكن "الحارث بن عمرو" استضعف قباذ وتطلع إلى ضم المزيد من بلاد الفرس[5] فكتب إلى "تبع" ملك اليمن أن يجمع الجنود ويأتي إليه واستجاب "تبع" للحارث وأقبل بجنوده وسار بهم حتى نزل بالحيرة وابن أخيه " شمر ذي الجناح" فحاربه وانتصر عليه أما التقاء الحارث بقباذ فكان عند قنطرة الفيوم، وهي موضع لا يبعد كثيرًا عن " هيث" وهي بلدة على الفرات[6].

وقد اختلف المؤرخون في مقر الحكم الذي اختاره "الحارث" الكندي في وادي الرافدين فبينما يذهب فريق إلى أنه في الحيرة، يرى أخرون أنه في الأنبار والتي تقع على بعد 40 ميلًا إلى الشمال الغربي من بغداد[7].

(1)- محمد بيومي مهران،(دراسات...)، المرجع السابق، ص 609.

(2)- حلمي محروس اسماعيل، المرجع السابق، ص 377.

(3)- **المزدكية**: نسبة إلى مزدك، وهي حركة دينية فارسية نادت بالتساوي في الأموال والإشتراك في النساء وتبنى "قباذ بن فيروز" العقيدة المزدكية، فهلك الناس وعظم ذلك عليهم وأجمعوا على خلع قباذ فخلعوه ولكن تمكن من الفرار من سجنه واستعاد حكمه مرة ثانية، ولكن لا يعرف من المصادر إذا كان اعتناق "الحارث" المزدكية قناعة دينية بحيث قام بتطبيقه في دولته أو أنه فقط مجرد موقف لتوسيع دولته. انظر أبو الفداء، المصدر السابق، ج1، ص 51.

(4)- أبو الفداء، المصدر السابق، ج1، ص 74.

(5)- حلمي محروس اسماعيل، المرجع السابق، ص 378.

(6)- حسين الشيخ، المرجع السابق، ص 169.

(7)- نفس المرجع، ص 170.

وأيا ما كان الأمر، فإنّ الحارث بن عمرو لم يستمر طويلًا في وادي الرافدين، فبعد وفاة "قباذ" خلفه ابنه (أنوشروان) فتخلص من (مزدك)[1] وأعاد "المنذر بن ماء السماء" إلى عرشه بالحيرة وقام هذا الأخير بتتبع الحارث الكندي وأهله حتى أسر"12أميرًا" من بني حجر بن عمرو، ثم قتلهم وكان من بينهم الحارث، ولم يكتفي بذلك بل عمل على تشتيت شمل أبنائه والتفريق بينهم، حتى نشبت حرب بين اثنين منهم وهما " سلمة" و"شرحبيل"، الحرب التي عرفت بين العرب (بيوم الكلاب الأول).[2]

والحارث بن عمرو قبل وفاته كان قد قسم مملكته بين أبنائه فولى ابنه الأكبر "حجرًا" على أسد وغطفان وكنانة، وابنه شرحبيل، على بكر بن وائل، ومعد يكرب على قيس عيلان وابنه الأصغر سلمة أقامه على تغلب[3]، فقد كان لتلك الأحداث أثر على دولة كندة فعملت على إضعاف ملوكها وتضعضع نفوذهم، فكانت البداية تتمثل في خروج بني أسد على "حجر بن الحارث" وامتنعوا عن دفع الأتاوة التي كان قد فرضها عليهم من قبل، ومن ثم فقد خرج عليهم "حجر بن تهامة" وما إن وصل إلى ديار بني أسد في جنوب جبل طيء حتى قتل الكثير من أشرافهم وأخذ بعض منهم أسرى إلى تهامة، مما ترك أثرًا سيئًا في نفوس القوم، فعقدوا العزم على الانتقام، وما لبثوا أن نفذوا وعدهم وقتلوه[4].

وقد تولى مقاليد الحكم من بعد وفاة "حجر بن الحارث" ابنه " امرؤ القيس" الشاعر المشهور وكان أبوه حجر قد طرده وأمر على أن لا يقيم معه، لقوله الشعر، على غير عادة أبناء الملوك فضلًا عن التغزل بالنساء، وهكذا أخذ امرؤ القيس يسير في أحياء العرب يشرب الخمر، ويتغزل بالنساء، وظل كذلك حتى أتاه خبر مقتل أبيه[5] وهو في دمون باليمن فثار غضبًا وحرّم على نفسه الخمر وثار قائلًا: "ضيعني صغيرًا وحمّلني دمه كبيرًا، لا صحو

---

[1]- حول قتل مزدك والتخلص من دينه، انظر: أبو الفداء،المصدر السابق، ج1، ص 51.

[2]- **الكلاب**: اسم ماء بين الكوفة والبصرة، وللمزيد من التفصيل حول الحرب، انظر أيام العرب في الجاهلية، المرجع السابق، ص 46 وما بعدها.

[3]- حلمي محروس اسماعيل، المرجع السابق، ص 379.

[4]- محمد بيومي مهران،(دراسات...)، المرجع السابق، ص 617- 618.

[5]- حسين الشيخ، المرجع السابق، ص 171.

اليوم، ولا شكر غدًا، اليوم خمر وغدًا أمر"[1]، وبذلك حاول أمرؤ القيس الاعتماد على بعض القبائل العربية للأخذ بثأر أبيه، أولًا ثم استعادة الملك ثانيًا[2].

وبدأ بضم بكر وتغلب إليه ضد بني أسد، واصطدم بهم في معارك متفرقة وأكثر القتل فيهم حتى اضطروا إلى الفرار واعتقد "بنو بكر وبنو تغلب" بأنه أدرك ثأره وبرَّه بيمينه فانصرفوا عنه وتفرق من حوله من كان معه من حمير وغيرهم[3].

وبدأ بضم بكر وتغلب إليه ضد بني أسد، واصطدم بهم في معارك متفرقة وأكثر القتل فيهم حتى اضطروا إلى الفرار واعتقد "بنو بكر وبنو تغلب" بأنه أدرك ثأره وبرَّه بيمينه فانصرفوا عنه وتفرق من حوله من كان معه من حمير وغيرهم[4].

ويبدو أن بني أسد احتموا بالمنذر بن ماء السماء ملك الحيرة، فاستغل هذه الفرصة للثأر منه، ولم يكن لمرؤ القيس بهم طاقة، فأخذ يطوف في أحياء العرب يطلب النصرة حتى وصل به المطاف أخيرًا عند السموأل بن عادياء (اليهودي) في شمالي الحجاز فرحب به وأقام امرأ القيس عنده مدة[5]،وبعدها قرر امرأ القيس أن يذهب إلى القسطنطينية ليستنجد بملك الروم واجتمع بالإمبراطور "جستنيان الأول (527-565م)" الذي أحسن استقباله وإن لم يقدم له المساعدة المطلوبة، فالنجدة التي طلبها امرؤ القيس كبيرة جدًا، والجيش الرومي لم يكن مستعدًا للقتال في الصحراء، ثمّ أن الغاية التي جاء من أجلها امرؤ القيس، هي الأخذ بثأر رجل واحد، فضلًا على أن الإمبراطورية الرومانية كانت مهددة بهجمات البرابرة ومن ثم فالإمبراطورية كانت في حاجة إلى الدفاع عن إمبراطوريتها نفسها[6]، ومع ذلك فقد أرسل الإمبراطور "جستنيان" جيشًا كثيفا مع "امرؤ القيس وقد بلغ ذلك بني أسد، فأرسلوا رجلًا منهم يدعى "الطماح" شرح للإمبراطور البيزنطي سوء سيرة "امرؤ القيس" وسوء أخلاقه

---

[1]- الحموي ياقوت، المصدر السابق، ج3، (مادة دمون)، ص 7.

[2]- أحمد رحيم هبو، المرجع السابق، ص 179.

[3]- محمد سهيل طقوس، المرجع السابق، ص 328.

[4]- نفس المرجع.

[5]- نفس المرجع، ص 329.وكذلك:

-Gordon D, wnewbery, ***A history of the jewis arabia***, univ California press, 2009, p43-44.

[6]- مهران محمد بيومي،(دراسات...)، المرجع السابق، ص 622.

وذكر له أنه يشتمه في شعره ويراسل ابنته وينظم فيها شعرًا واشتهر بين العرب، ويذكر الإخباريون أيضًا أنه كان لمرؤ القيس مراسلات عاطفية مع ابنة الإمبراطور[1].

وبذلك عدل الإمبراطور البيزنطي عن مساعدة امرؤ القيس، ثم أرسل من قتله بالسم بواسطة حلة مسمومة، فما إن لبسها حتى سرى السم في جسده، وسقط جلده، ولذلك سُمِيَ " بذي القروح" كما أطلق عليه لقب " الملك الضليل" لكثرة ما عاناه من تشريد بين القبائل، وكان قد وصل أنذك إلى أنقرة في طريق عودته فدفن فيها في سفح جبل وكان ذلك عام 560م تقريبًا[2]، ويذهب البعض إلى أن امرؤ القيس كان مصابًا بداء قديم له فعاوده وهو في طريق العودة إلى بلاده[3].

كان للدول الكبرى ما هو أوسع من طموح امرؤ القيس، فلم يحصل على المساعدة المنشودة وباءت محاولاته بالفشل وقتل قبل أن يقتص من أعدائه، وقد نتج عن ذلك تضعضع دولة كندة، وهجرة العشائر والبطون الكندية إلى أوطانها الأصلية في الجنوب حيث كونوا إمارات صغيرة لهم، وأشهرها تلك التي كانت في دولة الجندل والبحرين ونجران وغمر ذي كندة[4].

III. دول وممـالك شمـال شبـه الجزيـرة العربيـة:

لم تكن ممالك دول جنوب شبه الجزيرة العربية ووسطها الذين تكلمنا عن تاريخهم وحدهم الذين سيطروا على شؤون بلاد العرب السياسية بل عاصرتهم ممالك ودول تقع في شمال شبه الجزيرة العرية، حيث قامت بعض هذه الممالك والدول إمّا حول مراكز تجارية أو عند نقطة توازن بين دولتين كبيرتين متصارعتين (الفرس، والرومان) أو على حدود كل من هاتين الدولتين تدخل في منطقة نفوذ الواحد أو الأخرى منها وتعمل لحسابها لحماية

(1)- محمد سهيل طقوس، المرجع السابق، ص 329.

(2)- نفس المرجع، ص 330.

(3)- حسين الشيخ، المرجع السابق، ص 171.

(4)- نفس المرجع، ص 171-172.

حدودها ضد أية غارات من البدو أو من جانب القوة الأخرى ومن هذه الممالك والدول: دولة الأنباط، دولة تدمر، دولة المناذرة، ودولة الغساسنة.

1. دولـة الأنبـــاط:

قامت مملكة الأنباط في القسم الشمالي الغربي لشبه الجزيرة العربية[1]، وتعد من أهم الدويلات التي قامت على طول حدود الصحراء من ساحل البحر الأحمر إلى أطراف سوريا وفلسطين وبلاد الرافدين، واتخذت من البتراء عاصمة لها[2]، وتشهد آثار مدينة الحجر "مدائن صالح" أنها كانت تحت حكم الأنباط[3]، وقد وصلت مساكنهم إلى دلتا النيل والمناطق المشرفة على البحر الأبيض المتوسط[4].

ويظهر أنه كان للمنطقة أهمية كبيرة بفضل موقعها الجغرافي على طريق القوافل التجارية وهي في ذلك المكان البقعة الوحيدة التي تتميز فيها بكثرة المياه العذبة، الأمر الذي جعلها محطة تجارية ذات أهمية، تجد فيها القوافل التجارية بعد سيرها في الأراضي الصحراوية مسافات طويلة، مكانًا للراحة والتزود بالماء والطعام[5].

ولا يعرف على وجه الدقة الموطن الذي أتوا منه، وربما كان مجيئهم من وسط الجزيرة العربية أو من شمالي الحجاز وقد استوطنوا مدينة البتراء في أواخر القرن السادس قبل الميلاد وذلك بعد انتزاعها من يد الأدوميين (البحرين)[6].

ويتبين أن الأنباط كانوا في أول أمرهم بدوًا ألفوا حياة الترحال والرعوية وكرهوا الزراعة وازدرائها، كما كانوا يزدرون الصناعة، ومع ذلك فإنهم لم يكتفوا بتربية الإبل والماشية ولم يقتصروا على حياة الرعي، بل تميزوا على كثير من البدو بالإقبال على حياة التجارة[7].

---

(1)- لطفي عبد الوهاب يحي، المرجع السابق، ص345.وكذلك:
-Enwo,Littmann, ***Nabataen inscription from the Hourane***, Leyden, 1943, p 43.

(2)- سبتينو موسكاتي، المرجع السابق، ص201.

(3)- عرفات محمد حمور، **مواسم العرب الكبرى**، ج1،د.ط، مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت، د.ت، ص 133.

(4)- عبدو عون الروضان، المرجع السابق، ص 100.

(5)- توفيق برو، المرجع السابق، ص100.

(6)- نفس المرجع.

(7)- حسين الشيخ، المرجع السابق، ص 122.

ويبدو أن الأنباط لم يألفوا حياة الحضارة إلا بعد قرنين من الزمان، وقد تلاءموا مع هذه الحياة تدريجيًا، إذ وجدوا فيما تتطلبه القوافل من خدمة وسيلة مجدية للربح وكسب العيش فاستقروا وما لبثوا أن أقاموا دولة منظمة وحكموا بلادهم على أساس النظام الملكي، وضربوا النقود واستوزروا الوزراء[1].

فاتساع الحياة التجارية قد أدى إلى نشوء وظائف ونظام تجاري، وذلك النظام التجاري هو الذي استدعى وجود موظفين ماليين مثل الجُباة الذين كانوا يجمعون الضرائب على الزراعة والصناعة، بالإضافة إلى المشرفين على الأسواق المحلية، الذين يقومون بالرقابة الضرورية للحد من التلاعب بالأسعار أو الغش في السلع وتطفيف الموازين[2]،هذا بالإضافة إلى المحاكم في "بترا" وبخاصة للفصل في قضايا الغرباء، وهو ما يؤكد وجود وظيفة للقاضي، ولمن يستعين بهم في إجراء الأحكام، ووجود طبقة من المحامين للترافع في تلك المحاكم، ووجود كتاب عقود وموثقين إلى سائر ما يتطلبه النظام القضائي، ووجد في بعض النقوش عبارات تتصل بالعقود، وعبارات تنص على الغرامات، وأخرى تتعلق بالشهادة في مجلس القضاء، وهو ما لابد من وجوده وتنظيمه لدى شعب قد بلغ درجة عالية من الرقي في الشؤون التجارية والمالية[3].

فقد تطور نظام الحكم عند الأنباط مع تطور أوضاعهم بصورة تدريجية، وانتقلوا من نظام الحكم القبلي إلى نظام الحكم الملكي[4]، ولكن لا يعرف حتى الآن من هو مؤسس دولة الأنباط، ولا التاريخ الذي أسست فيه[5]، وأقدم ملك وصل الباحثون إلى آثاره هو "الحارث الأول 169-146ق.م " (أرتياس الأول)[6]، وقد حالف جيرانه المكابيين اليهود في فلسطين

---

(1)- توفيق برو، المرجع السابق، ص 100.

(2)- إحسان عباس، **تاريخ دولة الأنباط**، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن، 1987م، ص 23.

(3)- نفس المرجع، ص 117.

(4)- لطفي عبد الوهاب يحي، المرجع السابق، ص347.

(5)- جواد علي، المرجع السابق، ج3، ص 22.

(6)- لقد ذهب بعض الباحثين إلى أن هذا الاسم هو لقب وأنه في معنى "فرعون" بالنسبة إلى ملوك مصر و"القيصر" بالنسبة إلى ملوك الرومان و"النجاشي" بالنسبة إلى ملوك الحبشة فيما ذهب البعض الآخر إلى أنه اسم الأسرة الحاكمة في الأنباط وأنها من أصل أرامي، ا نظر جواد علي، المرجع السابق، ج3، ص22.

ضد السلوقيين في سوريا، وقدم المساعدات من الرجال والعتاد للملك "يهوذا" المكابي[1]، وقد اختفت أسماء ملوك الأنباط من بعده لمدة تزيد عن 30سنة، ثم جاء الملك "الحارث الثاني"والملقب بـ "ايروتيموس 110-96ق.م"، وفي عهده بلغت الدولة درجة عالية من القوة واعترف المكابيون بتفوقها العسكري وطلبوا مساعدتها ضد أعدائهم[2].

انتهى حكم "الحارث الثاني" عام 95ق.موخلفه على العرش النبطي ابنه "عبادة الأول (95-88ق.م) "، وأهم الأحداث في عهده ما حصل سنة 90 قبل الميلاد وهو محاربته لليهود على الضفة الشرقية لنهر الأردن، واستطاع أن ينتصر عليهم، وساهم ذلك في اضعاف دولة المكابيين واضطروا للتنازل عن بعض الأراضي التي كانوا يحتلونها[3].

وبعد "عبادة الأول" خلفه أخوه "رب إيل الأول(88-87 ق.م) " ولم يشهد عهد هذا الملك انجازات تذكر باستثناء انتصاره الكبير على الملك المقدوني "أنطيوخوس الثاني عشر" الذي قاد حملة ضد الأنباط في أواخر سنة 88ق.م، حيث قتله وفرّ جيشه إلى "قانا" وهلك معظمه جوعًا[4].

ويعتبر "الحارث الثالث (87-62 ق.م) " من أشهر ملوك الأنباط، فقد شهد عصره أحداثا هامة فمن أعماله قام بتوسيع حدود المملكة بالسيطرة على مناطق كانت تحت سيطرة السلوقيين واليهود المكابيين، مثل منطقة البقاع، ثم سيطر على دمشق سنة 85ق.م[5] بعد أن سنحت له الفرصة حين عرض عليه أهل دمشق أن تصبح مدينتهم تابعة له إذ كانوا قد سئموا النزاعات اليونانية الداخلية، ولقب بعد ذلك بـ" محب اليونانيين" حيث أنه سك

[1]- فيما يتعلق بحروب يهوذا المكابي ضد السلوقيين، انظر: سفر المكابين الأول، الاصحاح 3- 5.

[2]- حلمي محروس اسماعيل، المرجع السابق، ص256.

[3]- نعمان محمد جبران وآخرون، **دراسات في تاريخ الجزيرة العربية قبل الإسلام**، حمادة للخدمات الجامعية، الأردن، 1998م، ص 179.

[4]- إحسان عباس، المرجع السابق، ص 41.

[5]- نعمان محمود جبران، المرجع السابق، ص 180.

نقودًا في عهده وكتب عليها باليونانية لا بالآرامية لغة الأنباط[1]، وبنى "الحارث الثالث" جيشًا قويًا استطاع أن يشتت جيوش مملكة " يهوذا" في معركه قرب بلدة "اللد" وانتصر عليهم[2].

لكن التطور الأهم الذي حصل في عهد "الحارث الثالث" هو سيطرة الرومان على بلاد الشام على يد "بومبي" سنة 64 قبل الميلاد مما أدخل دولة الأنباط في حلقة جديدة من العلاقات مع الرومان استمرت في عهد "عبادة الثاني بن الحارث الثالث (62–47ق.م)" إلا أنه في عهده ازداد نفوذ الرومان وأصبحت مهمة ملوك الأنباط هي كيفية الحفاظ على دولتهم في ظل دولة قوية مسيطرة وهي دولة الرومان، فكانت علاقة الحليف (التابع) وهذا ما نجده واضحًا من خلال مشاركة قوات نبطية إلى جانب الرومان خلال غزوهم للإسكندرية عام 47ق.م[3]،في عهد مالك الأول (47–30ق.م) وقد شهد عهده أحداثًا، كان أهمها الحروب التي دارت بينه وبين الهيروديين اليهود الذين أناهم الرومان بحجة امتناع الأنباط عن دفع الجزية للرومان، أو لأن النبط قد وقفوا إلى جانب الفرس عندما أرادوا الإستيلاء على فلسطين ولسوء حظ الأنباط فقد انتهت الحرب بهزيمة الفرس أمام الرومان[4].

أيًا كان السبب فإن الروم، بعد انتصارهم على الفرس، بدأوا يتوجهون نحو الأنباط وأجبروهم على دفع الجزية إلى"كليوباترا" حاكمة مصر البلطمية، غير أن مالك الأول رفض دفع الجزية لـ "كليوباترا"، ومنها فقد شكت كليوباترا إلى الرومان "مارك انطونيوس" بالإسراع في تأديب الأنباط، كما دفعت بملك اليهود "هيرودوس" لمحاربة الأنباط، وكانت تهدف من وراء ذلك إضعاف مركز كل من ملك الأنباط واليهود، حتى تتمكن منهما وتصبح سيدة بلاد العرب، حيث قامت حروب كثيرة بين الطرفين وكان النصر فيها حليف "الهيروديين" في آخر الأمر[5].

---

(1)- إحسان عباس، المرجع السابق، ص 42.و كذلك:

-Jame tayber, Petra and, ***the lost kingdom of the Nabataeans***,I.B,tauris,2012,p97.

(2)- حلمي محروس اسماعيل، المرجع السابق، ص 258.

(3)- نعمان محمود جبران، المرجع السابق، ص 181.

(4)- نبيه عاقل، المرجع السابق، ص 116.وكذلك:. -Graf David. F,***Rome and the Arabian***,London 1997, p 78

(5)- حسين الشيخ، المرجع السابق، ص 129 .انظر كذلك: نبيه عاقل، المرجع السابق، ص 116.

خلف "مالك الأول" ابنه "عبادة الثالث (30-9 ق.م)" وقد وصف بالضعف وفتور الهمة والكسل، بينما وصف وزيره "سيلاليوس" الملقب "صالح" بالقدرة والكفاية وأنه المتصرف والمدير الفعلي لشؤون المملكة، وأهم الأحداث في عهده مشاركة الرومان في حملتهم ضد مملكة سبأ عام 24 ق.م، وتولى وزيره صالح مهمة إرشاد الجيش الروماني في طريقه عبر الجزيرة العربية إلا أن الحملة منيت بالفشل الذريع وهلاك معظم جنودها[1].

فقد بلغت دولة الأنباط أقصى اتساعها الجغرافي أيام ملكها "الحارث الرابع" (9ق.م-40م)، إذ اتسعت جنوب البتراء حتى حدود "العلا" وكان وجودها واضحًا في منطقة النقب وهذا الإتساع في معظمه سياسي وتجاري، وأما الإمتداد جنوبا فلم يتجاوز الحوراء وتيماء والحجر، واستولوا على المنطقة المعروفة اليوم باسم "شرق الأردن" حتى بلغوا مادبا إلى الشمال[2]، فمن الناحية السياسية كان التوسع ناحية الشمال أسهل لأنهم لم يجدوا مقاومة تصدهم عنها، ومن الناحية التجارية كان يمثل المكان الذي تتجه إليه السلع الآتية من الجنوب فهو الإتجاه الطبيعي الذي لا بد من تأمينه، وربما يكون هذا هو السبب وراء عدم اتجاههم في بداية تاريخهم جنوبًا، لأن الإمتداد جنوبًا لم يكن يمثل لهم أهمية في هذه المرحلة[3].

وبعد "الحارث الرابع" تولى حكم الأنباط ابنه "مالك الثاني (40-71م)" وأهم ما في عهده هو اشتراك الأنباط في حملة الروم على بيت المقدس ثم تعاقب على حكم البتراء "(رب إيل الثاني 71-101م)" حيث كانت فترة حكمه قليلة الأحداث ومما يلفت النظر أن " رب إيل" كان يقضي أكثر وقته في البصرة وتلك كانت بداية غروب مجد البتراء السياسية وإن بقيت بمجدها التجاري[4].

[1]- حلمي محروس إسماعيل، المرجع السابق، ص 261 ..انظر كذلك:إحسان عباس، المرجع السابق، ص 51.
[2]- أحمد أمين سليم، (جوانب...)، المرجع السابق، ص 173.
[3]- حسين الشيخ، المرجع السابق، ص 117.
[4]- إحسان عباس، المرجع السابق، ص 68-69.

وآخر ملوك الأنباط "مالك الثالث " 101-106 م" والذي شهد عصره نهاية دولة الأنباط وفي نهاية عهده عام 106 وجهه الإمبراطور الروماني " ترجان" حملة عسكرية كبيرة على "البتراء"، وتمكن من الاستيلاء عليها، وألحقت بلاد الأنباط بالولاية العربية الرومانية تحت سيطرة حاكم سوريا الروماني، وأصبحت "بصرى" مقر الحكم بها[1].

بالرجوع إلى العلاقات التي ربطت الأنباط بالدولة الرومانية، نلاحظ أن الأنباط لم يحاولوا مقاومة الرومان كما قاوموا السلوقيين والبطالمة، واضطروا إلى إقامة علاقات طيبة معهم مع الخضوع لنفوذهم، خاصة بعد سيطرة الرومان على آسيا الصغرى وسوريا ومصر وموانئ البحر المتوسط، وقد أسهموا في حروبهم، واشتركوا في حملة وجهها الرومان إلى الإسكندرية سنة 47ق.م، كما شاركوا في الحملة الرومانية الموجهة إلى جنوب الجزيرة سنة 24ق.م كما شاركوا الرومان في إخماد ثورة اليهود ضد الحكم الروماني عام69م[2].

وهكذا أسدل الستار على دولة دامت قرون طويلة ووصلت من إمارة إلى شبه امبراطورية ومما لا شك فيه أن أساس ازدهارها كان يعتمد بالدرجة الأولى على تفوقها في المجال التجاري كما أن التجارة وطرقها وما طرأ عليها، كان سببًا إلى جانب الأسباب الأخرى التي أدت إلى نهاية هذه الدولة[3].

2. دولة تدمر:

قامت مملكة تدمر في واحة وسط البادية التي تفصل الشام عن العراق، وتحيط بها في مناطق صحراوية[4]، وتقع على بعد 100كلم من حمص و150 كلم إلى الشمال الشرقي من دمشق، في منتصف المسافة تقريبًا بين دمشق والفرات[5]، ويعود الفضل في وجود الواحة التي قامت عليها مدينة تدمر، إلى نبع ماء غزير بمياهه الصالحة للشرب، ويوجد

(1)- حلمي محروس اسماعيل، المرجع السابق، ص 264- 265.

(2)- توفيق برو، المرجع السابق، ص 104. واكون جون، **القدس تحت حكم روما وبيزنطة**، ترجمة كامل الصليبي، عمان، 1992- 1993م، ص 128.

(3)- نعمان محمود جبران، المرجع السابق، ص 182- 183.

(4)- توفيق برو، المرجع السابق، ص 111.

(5)- محمد بيومي مهران، (دراسات...)، المرجع السابق، ص 533.

بجانبه نبع كبريتي دافئ يستشفى به الناس[1]،ومن ثم فقد أصبحت محطة هامة على الطريق التجاري بين العراق والشام، بل كانت مركزًا ونقطة لالتقاء التجارة والقوافل القادمة من أسواق العراق والهند وإيران والخليج العربي، وبين المدن التي تقع على البحر المتوسط مثل الشام ومصر[2].

وهكذا أصبحت تدمر ملتقى جميع القوافل، وخاصة فيما بين القرن الأول قبل الميلاد وعام (273م)[3]، ونتيجة لهذا الموقع نجد أنّ الثقافة التدمرية متأثرة بالبابلية واليهودية والمسيحية والعربية، حيث نجد آلهة هذه الثقافات المختلفة قد وجدت ترحيبًا في تدمر[4].

وقد وصفها بعض الباحثين بأنها كانت مدينة شهيرة، ولها موقع ممتاز، وأرض خصبة وبها ينابيع وعيون، وتحيط بحدائقها الرمال، وقد عزلتها الطبيعة عن العالم ببادية واسعة الأطراف بعيدة المسافات، وتقع بين إمبراطوريتين عظيمتين إمبراطورية روما، وإمبراطورية الفرس ولهذا لفتت أنظار الدولتين[5].

وقد اختلفت الآراء حول أصل التسمية، فقد عرفت عند كتاب اليونان والرومان باسم "بلميرا" "Palmyra" المشتقة من الكلمة اللاتينية " Palma" والتي تعني النخل ويرى بعض الباحثين أن إسكندر المقدوني لما تغلب عليها أطلق عليها اسم "Palmyra" أي مدينة النخل وذلك لكثرة ما كان يزرع بها من أشجار النخيل بينما ذهب فريق آخر إلى أن "Palmyra" هي ترجمة لكلمة " تامار" " Tamar" العبرانية والتي تعني " النخلة" وقد أدى ذلك إلى الخلط بين مدينة "تدمر" والبلدة اليهودية "تامار" التي تقع بالمنطقة الصحراوية في جنوب البحر الميت، وللملك سليمان عدّة مباني فيها وفي ذلك يقول المؤرخ اليهودي "

(1)- خربوطلي شكران وآخرون،**تاريخ الوطن العربي القديم**، منشورات جامعة دمشق، 1999م، ص 125.

(2)- عصام السعيد، المرجع السابق، ص 95.

(3)- محمد بيومي مهران،(دراسات...)، المرجع السابق، ص 533.

(4)- ديتلف نيلسن،**الديانة العربية القديمة**، من كتاب التاريخ العربي القديم، المرجع السابق، ص 222.

(5)-Paul Veye, Palmyre. **L**, ***irremplacable trèsor***, chicago, 2017, p 92.

يوسيفوس" أن سليمان عليه السلام هو الذي بنى مدينة تدمر، واستخدم الجنّ في تشييد عدد من المباني الهامة فيها[1].

والواقع أنه نتج عن التغير في أسماء المدن التي بناها الملك سليمان خلط وتحريف[2]فتدمر موضوع البحث لم تكن من بناء النبي سليمان عليه السلام لأنّ ملكه لم يمتد إلى هذه البلاد كما أن اسم المدينة يرجع ظهوره للمرة الأولى إلى أيام الملك الأشوري "تجلات بلاسر الأول "الذي حكم ما بين (1116-1090ق.م) أي قبل مولد سليمان نفسه[3]، لكن الراجح أن تدمر العربية هي تحويل لكلمة "تتمر" الآرامية والتي تعني المدينة التي يكثر فيها النخيل وهو المعنى نفسه الذي عرفت به المدينة عند اليونان والرومان حيث سميت باسم "بالميرا" كما ذكرنا[4].

ويعتبر أهل تدمر عربًا، شأنهم في ذلك شأن الأنباط في البتراء، بدليل وجود بعض المصطلحات والكلمات العربية الأصيلة في كتاباتهم، كما أنّ أسماء الأصنام عندهم عربية والأمر كذلك بالنسبة إلى أسماء الأعلام، ومن ثم فقد رأى بعض العلماء أنهم من القبائل العربية التي أخذت تستولي على المناطق الخصبة في شرق الأردن، عقب انهيار الدولة البابلية الحديثة، وسقوط بابل تحت السيادة الفارسية في عام 539ق.م، ثم أخذت تستعمل الآرامية وهي لغة الكتابة والثقافة في غرب الفرات وقت ذاك [5].

وكان أهل تدمر خليطًا من تجار ومزارعين، وأما أطرافها فكانوا أعرابًا ورعاة، وكان في تدمر جاليات يونانية ورومانية، أقامت فيها وفضلت السكن فيها، كما كانت هناك جاليات

---

(1)- حسين الشيخ، المرجع السابق، ص 143..انظر كذلك: حلمي محروس اسماعيل، المرجع السابق، ص 275.

(2)-Annie Sartre et Mauice sartre, ***palmyre***, Paris,2016,p258 .

استبعد الحموي ياقوت بناء تدمر إلى سليمان عليه السلام وقال:(... ولكن الناس إذا رأوا بناء عجيبًا وجهلوا بانيه أضافوه إلى سليمان وإلى الجن) وينسب بناؤها إلى "تدمر بنت حسان ابن أذينة بن السميدع بن عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح" عليه السلام، انظر: الحموي ياقوت، المصدر السابق، ج2، (مادة تدمر)، ص 17.

(3)- محمد بيومي مهران،(دراسات...)، المرجع السابق، ص 534.

(4)- محمد سهيل طقوس، المرجع السابق، ص 366.

(5)- محمد بيومي مهران، (دراسات...)، المرجع السابق، ص 534.

يهودية نزحت إليها ربما قبل سقوط القدس في أيدي الرومان، ثم عمل هؤلاء اليهود بالتجارة ونشطوا في أعمال التبشير وتهويد بعض السكان[1].

بدأت تدمر تظهر كمحطة تجارية هامة على طريق القوافل بين العراق والشام بعد قيام الدولة الأخمينية الفارسية في القرن السابع قبل الميلاد، فقد وحدَّت هذه الدولة منطقة غربي أسيا، ما كان سببًا في تنشيط حركة القوافل التجارية على الطرق التي تصل بين العراق والهند وآسيا الصغرى وبلاد الشام، [2]، وقد احتفظت بمكانتها حتى عهد السلوقيين الذين وحدوا بدورهم سوريا والعراق وشجعوا الطريق التجاري الذي يربط بينهما مرورا بتدمر، لينافسوا بذلك البطالمة الذين كانوا يحرصون على ازدهار الطريق التجاري الذي يمر بالبحر الأحمر، وبعد أن أخضع الرومان بلاد الشام لسيطرتهم وسيادتهم خلال الربع الأخير من القرن الأول للميلاد، فإنّ تدمر قد دخلت ضمن نفوذهم واعترفت بنوع من السيادة عليها للرومان، غير أن خضوعها لم يكن إلا خضوعا اسميًا وشكليًا، حيث أنها كانت مستقلة في أمورها الداخلية[3].

وفي عهد الإمبراطور" تراجان" ألحقت تدمر بالمقاطعة العربية التي أنشأها سنة 106مخلال قضائه على دولة الأنباط وفي عهده خلفه "هادريا نوس" الذي حكم فترة (117ـ138م) فقد منحهم حقوق مواطني روما، كحق الملكية المطلقة، والإعفاء من الضرائب، والحرية الكاملة في إدارة شؤونها[4]، كما اعتنى عناية خاصة بحماية الطرق البرية التي تصلها بنهر الفرات، والذي كان شريانًا مهمًا من شرايين التجارة العالمية، حتى قيل فيه أنه مؤسس المدينة الثاني وبذلك ازدهرت تدمر، حيث زادت في عدد قوافلها فاتسع نشاطهم التجاري وازدادت ثروتهم[5].

---

[1]- جواد علي، المرجع السابق، ج3، ص 83-84.

[2]- محمد سهيل طقوس، المرجع السابق، ص 366-367.

[3]- توفيق برو، المرجع السابق، ص 113- 114.

[4]- أحمد رحيم هبو، المرجع السابق، ص 200.

[5]- أحمد أمين سليم، (جوانب...)، المرجع السابق، ص 202. انظر كذلك : قيس حاتم هاني الجنابي، **العلاقات السياسية بين تدمر والرومان، حتى عام 273م**، ص 15.

وكان لتجدد الحروب بين الفرس والروم بعد تأسيس دولة الساسانيين في فارس عام226 مأثره في ارتفاع شأن أسرة عريقة في تدمر وزعيمها المدعو" أذينة"، الذي جاء بعد أقدم اسم وصلت أخباره وهو" نصور" ثم جاء بعده "أذينة بن خيران بن وهب بن اللات بن منصور" وقد عثر على ذلك في كتابة يعود تاريخها إلى حوالي سنة 235م، وكان يحمل لقب عضو مجلس الشيوخ الروماني ثم حمل لقب "ملك" وذلك في حوالي سنة 250م [1]، وبذلك استطاعت أسرة " أذنية " أن تفرض سيادتها على المدينة نظرًا لما كانت تتمتع به من نفوذ مرده الثروة والجاه[2].

يبدو أن نظام الحكم في تدمر قبل عهد هذه الأسرة كان يتمتع بحكم شوري، يقوم عليه مجلس شيوخ، لا يضم سوى أصحاب الجاه والثروة، ولكل عشيرة مجلس يضم كل أفرادها البالغين، وللمدينة حاكم يسمى "أراخون"، وموظف للشؤون المالية، وآخر مسؤول عن الأسواق، ومنذ عهد" أذنية" قام فيها حكم ملكي وراثي يجمع بين سلطة المجالس وبين سلطة الحاكم الفرد[3].

كان لأذينة مؤهلات خاصة وكفايات مكنته من رفع شأن تدمر في أعين الرومان، ومن تكوين اسم لها عند رجال الدولتين المتزاحمتين" الفرس والرومان"[4]، فقد استطاع أن يألف قوة عسكرية من أبناء تدمر ومن أبناء القبائل المجاورة المحالفة، مهمتها حفظ النظام والأمن في المدينة والمناطق المجاورة الخاضعة لتدمر، كما استفاد من العناصر التدمرية التي كانت تخدم في الجيش الروماني وكون بذلك جيشًا نظاميًا، مما هيأ له تنفيذ الخطة الرامية إلى إيجاد شخصية سياسية مستقلة لتدمر، وكان يطمع في أن يستقل بتدمر ويقيم فيها مُلكا له ولأفراد عائلته من بعده، وقد نجح في ذلك عندما استطاع أن يعلن نفسه ملكًا عام 250م، لكن الرومان ما لبثوا أن انتبهوا إلى خطورة ذلك ودبروا مؤامرة ضده قُتل على أثرها.[5]

---

[1]-أحمد أمين سليم، (جوانب...)، المرجع السابق ، ص 203. انظر كذلك: جواد علي، المرجع السابق، ج3، ص 91.

[2]- أحمد رحيم هبو، المرجع السابق، ص 201.

[3]- توفيق برو، المرجع السابق، ص 121.

[4]- جواد علي، المرجع السابق، ج3، ص 92- 93.

[5]- أحمد رحيم هبو، المرجع السابق، ص 202 .انظر كذلك: نبيه عاقل، المرجع السابق، ص 134.

تولى الحكم بعد "أذينة "ابنه "حيران" لكن حكمه كان قصيرًا، ثم تولى الحكم "معنو" ولكن هذا الأخير كان طفلًا صغيرًا فآل الحكم إلى عمه "أذينة الثاني" ابن أذينة الأول"[1] وكان "أذينة الثاني" على جانب كبير من الشجاعة والفروسية ونتيجة لهذه الصفات منحه الإمبراطور الروماني "فاليريان" لقب "قنصل".[2]

وقد حدث أن طلب " أذينة الثاني" من الإمبراطور أن ينزل العقاب "بروفينوس" قاتل أبيه "أذينة الأول"، ولكن الإمبراطور لم يهتم بطلبه، فغضب "أذينة" وأخذ يتحين الفرصة للانتقام من الرومان، وقد جاءته الفرصة حينما انتصر "سابور الأول بن أرد شير " ملك الفرس الساسانيون على الجيش الروماني، حيث وقع الإمبراطور الروماني "فاليريان" أسيرًا في قبضة الفرس[3].

وقد انتهز "أذينة الثاني" تلك الفرصة للانتقام من الرومان، فأرسل رسله يحملون الهدايا القيمة ورسالة منه إلى الملك "سابور" يتودد فيها إليه ويعرض التحالف معه، ولكن الملك "سابور" استقبل مبعوثيه بالجفاء وأمر بإلقاء الهدايا في النهر كما توعد بإنزال العقاب به وبأسرته ومدينته[4]، وأثار ذلك غضب "أذينة" وصمم على الانتقام منه وحضر لذلك جيشا كبيرًا، واصطدم مع جيش "سابور" في معركة عنيفة على ضفاف نهر الفرات انتهت بهزيمة "سابور" هزيمة نكراء وتتبع "أذينة" فلول الجيش الفارسي حتى أسوار عاصمته "طيسفون" ولكنه لم يستطع تخليص "فاليريان" الذي ظل في الأسر حتى وفاته[5].

نتيجه لهذا الانتصار فقد كوفئ "أذينة" من طرف الإمبراطور الروماني "غالسوس" ابن "فاليريان"، حيث عينه قائدًا عامًا للجيوش الرومانية في الشرق عام 262م، حينئذ عمل "أذينة" على استرجاع المناطق التي استولى عليها الفرس من الرومان، وتمكن من

(1)-أحمد رحيم هبو، المرجع السابق ، ص 202.
(2)- نبيه عاقل، المرجع السابق، ص 134.
(3)- نفس المرجع، ص 134.
(4)- حلمي محروس إسماعيل، المرجع السابق، ص 281.
(5)- نفس المرجع، ص 281- 282.

استرجاعها فكافأه الإمبراطور مرّة ثانية بلقب " امبراطور عموم الشرق" عام 264م[1] وهذا يعني أن "أذينة" أصبح نائب الإمبراطور الروماني المطلق في القسم الشرقي من الإمبراطورية الرومانية ثم اضطر "أذينة" إلى فك الحصار على "طيسفون" والتوجه بجيشه إلى أسيا الصغرى لرد هجوم قام به القوط الغربيين عليها فهزمهم وأراد أن يعود لمتابعة فتح عاصمة الفرس ولكنه لقي مصرعه علي يد ابن أخيه "معنو" في ظروف غامضة إلا أنه لم يتسنى لهذا الملك الجديد "معنو" أن يجلس طويلًا على عرش تدمر فقد لقي هو الآخر مصرعه في ظروف غامضة أيضًا[2].

وانتقل الملك بعد مقتل "أذينة" وابن أخيه "معنو" إلى "وهب اللات" ابن "أذينة" من زوجته الثانية "زنوبيا"[*] ولما كان "وهب اللات" صغيرًا فقد تولت والدته الوصاية عليه وحكمت باسمه[3]،وكانت "زنوبيا" ذات شخصية قوية تتحلى بتربية عالية وتجيد اللغة اليونانية والآرامية وتتحكم بها بمثل الطلاقة التي تتحكم بها في اللغة العربية، ولم تكن تجهل اللاتينية، وكانت تتمتع بعبقرية فذة، كما لها صفة الجرأة والشجاعة، فكانت ترتدي اللباس العسكري، وتمتطي الجواد، وتسير في مقدمة جيشها ،كما عرف عنها حسن بصرها بالأمور وثباتها، وكانت خير عون لزوجها "أذينة" في أداء مهام الحكم[4].

كانت "زنوبيا" تثق بقوتها بعد أن أصبح تحت تصرفها جيش بلغ من القوة والبأس ما تستطيع أن تتحدى به الإمبراطورية الرومانية، فلم تعد تهتم بالخضوع لها واحتقرت مجلس الشيوخ "السيناتو" الذي لم يعترف لها بما كان لزوجها من سلطة، فآلت على

---

[1]- نبيه عاقل، المرجع السابق، ص 135.

[2]- أحمد رحيم هبو، المرجع السابق، ص 203.

[*]هناك روايات عربية تزعم بأنها هي نفسها " الزباء" بنت عمرو أو نائلة التي انتقمت من "جذيمة الأبرش" أول ملك الحيرة، التي استدرجته إلى تدمر وقتلته انتقامًا لقتل والدها، إلا أن خليفته وابن أخته "عمرو بن عدي" انتقم منها بمساعدة أحد دهاة العرب "قصير بن سعد" حيث دخل تدمر وسد عليها طريق الهرب من خلال نفق خاص في قصرها كان قد علم به قصير ولما أقبلت "الزباء" على الخروج من النفق وجدت نفسها أمام عدوها "عمرو بن عدي" فقامت بامتصاص السم الذي كانت تحمله في خاتمها قائلة (**بيدي لا بيد عمرو**) فذهب ذلك مثلا، انظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج1، ص 265 وما بعدها.

[3]- أحمد رحيم هبو، المرجع السابق، ص 203.

[4]- توفيق برو، المرجع السابق، ص 116-117.

نفسها أن تنتقم لزوجها الذي اعتقدت أن الرومان هم الذين دبروا مؤامرة قتله، فما كان من الرومان إلا أن سيروا إليها حملة تظاهرت باتجاهها لمحاربة الفرس، لكنها في الواقع كانت موجهة لإخضاعها، فقابلتها "زنوبيا" وهزمتها، ثم اغتنمت مشاكل الإمبراطورية الرومانية الداخلية من منافسة على عرش الإمبراطورية، وقيام الجرمان بحركات تمرد في بلاد الغال التابعة لروما، فوجهت إلى مصر[1] جيشًا قويًا بقيادة قائدها "زبدة" فاحتلها وألحقها بالدولة التدمرية[2]، وكان ذلك عام 270م ولكن الرومان هادنوا الملكة واتفقوا معها على أن تكون مصر تابع اسميًا للرومان، على أن يكون الحكم الفعلي لتدمر فظهرت صورة " وهب اللات" إلى جانب صورة الإمبراطور الروماني على عملة تدمرية سكت في الإسكندرية وهذا يعني أن "وهب اللات" أصبح يحكم مصر نيابة عن الامبراطور الروماني[3].

شعرت "زنوبيا" حينئذ بأنها أصبحت على درجة من القوة التي تسمح لها بأن تعلن استقلالها التام عن روما فاتخذت لقب "الإمبراطورة" وأعطت ابنها لقب "ملك الملوك" فأقامت المنشآت الضخمة في تدمر وزينتها بالأعمدة والتماثيل، وعملت على تقوية حدودها في الشرق ضد الفرس وفي الشمال في آسيا الصغرى ضد الرومان لأنها كانت تتوقع هجومهم في أي وقت[4].

والواقع أن التفاهم بين روما وتدمر لم يدم طويلًا ونجد أن الإمبراطور "أورليان" قام بدحر هجمات المتمردين وعزم على وضع حد لمطامع المملكة ولما علمت الملكة "زنوبيا" بذلك أمرت بمحو صورة " أورليان" من النقود كبرهان على قطع علاقتها بروما[5].

أما "أورليان" فلم يبدأ هجومه على تدمر من جهة آسيا الصغرى كما كانت تتوقع "زنوبيا" بل بدأ بمصر مستغلًا ضعف وسائل الدفاع عنها، وذلك أن ملكة تدمر كانت قد سحبت منها معظم قواتها لتعزز بها جهة آسيا الصغرى، اعتقادًا منها بأن المصريين الناقمين

[1]-كان هدف المملكة من السيطرة على مصر إلى جانب نية التوسع أن تضرب روما في أهم منطقة اقتصادية وسياسية وبالتالي السيطرة على الطريق التجارة الجنوبي عبر البحر الأحمر ومراقبة المواصلات بين الهند وعالم البحر الأبيض المتوسط، انظر: محمد سهيل طقوس، المرجع السابق، ص 675.

[2]- توفيق برو، المرجع السابق، ص 117- 118.

[3]- أحمد رحيم هبو، المرجع السابق، ص 205.

[4]- نفس المرجع، ص 206.

[5]- محمد سهيل طقوس، المرجع السابق، ص 376.

على روما سيهبون ضدهم، لكن خاب ظنها بهم، لأن الرومان تمكنوا من استمالة قسم منهم فأحرز بذلك انتصارا ضخمًا واستعادوا سيطرتهم على مصر سنه 271م.[1]

ثم التفت الإمبراطور "أورليان" إلى الشرق وتقدم لمحاربة الملكة في عدّة جهات، فمن البحر أرسل أسطولًا كبيرًا لاحتلال أنطاكية، ومن البر نحو آسيا الصغرى، فتراجعت الجيوش التدمرية حتى أنطاكية[2]، وهاجم الإمبراطور "أورليان" أنطاكية حيث اجتمعت جيوش التدمريين المنسحبة أمام الرومان، والتقى الطرفان في معركة فاصلة أجبرت "زنوبيا" للانسحاب بجيشها إلى حمص فلحق بها الرومان واشتبك الطرفان من جديد في معركة أسفرت عن هزيمة أخرى للجيش التدمري[3]، وأصبح الطريق إلى تدمر مفتوحًا لإخضاعها فتقدم "أورليان" نحو تدمر وحاصرها من جميع الجهات، وتم القبض على "زنوبيا" وأسرها، لتذهب إلى روما في موكب النصر، وقد حاولت مدينة تدمر الثورة ولكن الرومان خربوها وهدموا أسوارها وقتلوا معظم أهلها[4]، ولكن الرواية العربية تختلف في نهاية "زنوبيا" أو "الزباء" كما يسميها الإخباريون (ما ذكر سابقا)[5].

3. دولـــة المنـــاذرة والـغساسنـــة:

شهد القرن الثالث للميلاد ظروفا داخلية وخارجية أدت إلى اعتماد الإمبراطوريتين الكبيرتين الفارسية والرومانية (البيزنطية)، على إمارات تتبع كل منها احدى القوتين وتدافع عنها.

تمثلت الظروف الداخلية في هجرات بعض القبائل العربية من جنوب شبه الجزيرة العربية لتستقر على الحدود الفاصلة بين الإمبراطوريتين، وأبرز تلك الـهجرات هي هجرة المناذرة

---

(1)- توفيق برو، المرجع السابق، ص 118.

(2)- نفس المرجع، ص 118.

(3)- أحمد رحيم هبو، المرجع السابق، ص 206.

(4)- عصام السعيد، المرجع السابق، ص 102.

(5)- نبيه عاقل، المرجع السابق، ص 132.انظر كذلك: عبيد مرعي، **تاريخ المرأة في الشرق العربي القديم، زنوبيا أنموذجا**، دمشق، 2020، ص 33.

والغساسنة، وانتهى الأمر إلى أن أصبح كل منهما يشكل كيانًا سياسيًا يمكن أن نسميه دولة أو إمارة، ما لبثت أن دخلت في علاقة تبعية مع الدولة الكبيرة المتاخمة لها فقد دخل المناذرة في دائرة النفوذ الفارسي في حين دخل الغساسنة في دائرة النفوذ البيزنطي.[1]

وأدّت كل من هاتين الدولتين مهمتها الموكلة والمتمثلة في حماية حدود القوة التي تتبعُها، أما الظروف الخارجية فتمثلت في تدهور أوضاع الإمبراطوريتين وانهماكهما في تسوية الأوضاع، فقد شهدت الإمبراطورية الفارسية اضطرابات حول العرش انتهت بسقوط الأسرة البارثية وقيام الأسرة الساسانية، لتنهمك بعض الوقت في تثبيت أقدامها في الحكم والسيطرة على أراضي الإمبراطورية، وشهدت الإمبراطورية الرومانية مرحلة من التدهور وانتهت إلى تقسيم الإمبراطورية إلى قسمين شرقي وغربي وعرف القسم الشرقي بالإمبراطورية البيزنطية التي اتخذت من القسطنطينية عاصمة لها[2].

أ. **دولــة المنــاذرة (الحيــرة):** استمرت الهجرات اليمنية نحو تخوم شبه الجزيرة العربية الشمالي الشرقي، حتى إذا ما وصلوا إلى وادي الفرات أقاموا في ربوعه[3]، حيث كانت بادية العراق مفتوحة دائمًا لهجرات العرب لذا كانت القبائل العربية تستطيع التوغل فيها دون أن تصادف حاجزًا جغرافيًا يصدها وكانت مثل هذه الهجرات تزداد بصورة خاصة عندما تضعف الحكومات القائمة في العراق[4]حتى يتيح لها هذا الضعف التوغل إلى الداخل العراقي والتمتع بنفوذ قوي والتأثير في الوضع السكاني والتجاري، ونتيجة لذلك أضحت المنطقة المجاورة للفرات الجنوبي هدفًا لهجرة القبائل العربية في عصر ملوك الطوائف[5].

وفي أوائل القرن الثالث الميلادي، وإبان الاضطرابات التي أعقبت سقوط الأسرة البارثية وقيام الأسرة الساسانية في حوالي عام 226م بزعامة " أردشير بن بابك بن ساسان"

---

[1]- لطفي عبد الوهاب يحي، المرجع السابق، ص 410.

[2]- نفس المرجع. وكذلك:

-Bury John, ***History of the latė ral rome Empire from the dėbat of theodorosius***, to death of Justinian, part 2, 2006, p 181.

[3]- محمد بيومي مهران، (دراسات...)، المرجع السابق، ص 577.

[4]- صالح أحمد العلي، المرجع السابق، ص 64.

[5]- سموا بملوك الطوائف لأن كل ملك منهم كان ملكا على طائفة قليلة تفاوتت في الحجم والقوة والضعف. انظر: ابن الأثير، المصدر السابق، ج1، ص 261.

وفدت قبائل عربية جديدة وهي قبائل تنوخ[1] اليمنية، وسكنت في المنطقة الواقعة إلى الغرب من الفرات[2]، واتخذت من مدينة الحيرة عاصمة لها[3].

ويروي عدد من الإخباريين أنها نزلت أول الأمر في البحرين، وتحالفت فيما بينها وأخذت هذه القبائل تتطلع إلى الاستقرار في مشارف العراق، وما يؤكد كيفية هجرة العرب إلى الحيرة رواية "ابن الكلبي" إذ يبين أن قبائل عديدة منها قبائل "معد بن عدنان" والتي كانت تسكن تهامة، فحدثت بينهم حروب وأفلتت منهم قبائل حتى نزلوا بالبحرين وبها جماعة من الأزد كانوا قد نزلوا فيها منذ زمن، ثم يعدد القبائل النازحة إلى البحرين، ويختم روايته بقوله: "فاجتمع بالبحرين قبائل من العرب، وتحالفوا على التنوخ وهو المقام، وتعاقدوا على التناصر والتأزر فصاروا يدًا واحدة وضمهم اسم "تنوخ""[4]،وفي رواية أخرى أن جماعة من قوم "عمرو بن عامر" خرجت إلى نجران ومنها إلى عمان والبحرين ومنهم "بنو نصر بن الأزد" وسكنت جماعات منهم ما بين الأنبار[5] والحيرة[6].

فدولة المناذرة عرفت بعدة مسميات، فعرفت بالمناذرة لكثرة ما تسمى من ملوكها "بالمنذر" وتسمى بالدولة اللخمية نسبة إلى قبيلة "لخم" التي ينتمي إليها ملوك الحيرة أما تسميتها بالحيرة فنسبة إلى عاصمتها، كما اختلف المؤرخون حول مؤسس دولة المناذرة إلّا أنهم أجمعوا أن أول ملك من ملوكها هو "مالك بن فهم"، وكان منزله مما يلي الأنبار ثم مات "مالك" فملك بعده أخوه "عمرو بن فهم" ولا يذكر شيء عنه، فالإخباريون لم يزيدوا عن ذكر اسمه فقط، ثم هلك "عمرو بن فهم" فملك بعده "جذيمة الأبرش بن مالك بن فهم " وهو أول

---

[1]- **تنـوخ**: تعني المقام أو النزل. انظر: ابن منظور، المصدر السابق، ج3، ص 10.

[2]- محمد بيومي مهران، (دراسات...)، المرجع السابق، ص 577.

[3]- اختلف المؤرخون في تفسير اسم الحيرة، حيث يرى بعضهم أنها مشتقة من الكلمة الآرامية أو السريانية (حرتا) وتعني المخيم أو المعسكر وهي تقابل العسكر عند المسلمين، ويرى كثير من المؤرخين العرب أن اسم الحيرة يرجع إلى "تبان أسعد أب كرب" أحد ملوك اليمن كان قد خرج من بلاده يريد الأنبار فلما انتهى إلى موضع الحيرة ليلًا "تحير" فأقام مكانه فسمى ذلك الموضع بالحيرة. انظر: جواد علي، المرجع السابق،ج3، ص 155- 156 .

[4]- ابن الأثير، المصدر السابق، ج1، ص 261.

[5]- **الأنبـار**: مدينة على الفرات الغربي ببغداد وسميه الأنبار، أنبار لأنه كان يجمع بها أنابير الطعام (الحنطة والشعير) انظر: ابن الاثير، المصدر السابق، ج1، ص 261. الطبري محمد بن جرير، **تاريخ الرسل والملوك**، تح، محمد ابو الفضل ابراهيم، ج1، ط2، دار المعارف، مصر، د.ت، ص 611.

[6]- عبدالحميد سعد زغلول، المرجع السابق، ص 214.

ملوك العرب الجنوبيين الذين اتخذوا من الحيرة مقامًا لهم، ويصفه الطبري بأنه من أفضل ملوك العرب رأيا، وأشدهم نكاية وحزمًا، وأول من استجمع له الملك بأرض العراق، وضم إليه العرب وغزا بالجيوش[1].

وبموت "جذيمة الأبرش"[2]،انتقل الحكم إلى ابن اخته "عمرو بن عدي بن نصر" الذي حكم ما بين (268–288م)، ويعتبر المؤسس الحقيقي لدولة المناذرة وأول حكام الحيرة من الأسرة اللخمية[3]، وقد اتبع سياسة "جذيمة" في الانضمام إلى جانب الساسانيين واستفاد من سقوط الحضر، وهي الدولة العربية الأخرى في العراق وزاد نفوذه على العرب في العراق وتخذ مقرا له في الحيرة التي أصبحت منذ ذلك الوقت عاصمة المناذرة[4].

ثم جاء "امرؤ القيس بن عمرو" (288 –328م) الذي تمكن من بسط سيطرته على أغلب القبائل العربية في بلاد الشام والعراق وهو صاحب نقش النمارة المشهور الذي يعتبر شاهد لقبر هذا الملك وقد جاء في ما يلي: "هذا قبر امرؤ القيس وملك العرب كلهم الذي تقلد التاج واخضع قبيلتي أسد ونزار وهزم مذحج وقاد الظفر إلى أسوار نجران مدينة شمر وأخضع معدًا واستعمل بنيه على القبائل، وأنابهم عنه لدى الفرس والروم، فلم يبلغ ملك مبلغه إلى اليوم[5]، فقد عمل "امرؤ القيس" على زيادة نفوذه وتوسيع سلطانه فمد حكمه من الحيرة وبلاد الشام إلى نجد والحجاز حتى نجران[6].

وقد أعقب "امرؤ القيس" عدة ملوك لم تكن لهم أعمال بارزة إلى أن جاء "النعمان الأول" (390–418 م) الذي يلقب بالأعور والسائح، ويعد من أشهر ملوك الحيرة كما ينسب له قصر "الخورنق والسدير" الشهيرين فهو صاحب القصة المشهورة مع المهندس البيزنطي "سنمار" الذي بنى له قصر "الخورنق"، وكانت تحت إمرة النعمان كتيبتين عسكريتين

(1)- ابن الأثير، المصدر السابق، ج1، ص 262.انظر كذلك: الطبري، المصدر السابق، ج1، ص 612.

(2)- قتلته زنوبيا ملكة تدمر، وكان به برص فكنت العرب عنه وقيل "الوضاح والأبرش". انظر: الطبري، المصدر السابق، ج1، ص 613.

(3)- صالح أحمد العلي، المرجع السابق، ص 66.

(4)- نفس المرجع.

(5)- توفيق برو، المرجع السابق، ص 127- 128.

(6)- صالح أحمد العلي، المرجع السابق، ص 67.انظر كذلك: جواد علي، المرجع السابق، ج3، ص 191.

الأولى فارسية وهي "الشهباء" وقد ساعده الفرس في تشكيلها بألف جندي وأقاموا لديه والثانية عربية وهي "الدوسر" وقد اشتهرت بقوة بأسها وشدة بطشها فضرب بها المثل: "أبطش من دوسر" وذكروا إلى جانبها ثلاث كتائب أخرى غير نظامية هي: الرهائن (رهائن من قبائل العرب) والصنائع (خواص للملك ولا يبرحون بابه) والوضائع (وقد وضعهم ملوك الفرس في الحيرة لنجدة ملوكها العرب)، وقد وصفه الإخباريون بكونه رجلا حازمًا قويًا ومحاربًا من أشد الناس نكاية بالعدو[1].

ولما توفي النعمان خلفه ابنه "المنذر الأول" (418 –462م)، وقد جرت في عهده حروب ضاربة وطويلة بين الفرس والروم، انتهت بتصالح الطرفين، وقد أعقب "المنذر الأول" ملوك لم تكن لهم أعمال بارزة تستحق الذكرى[2]، إلا أن جاء "المنذر الثالث بن ماء السماء" ويختلف الباحثون في تحديد بدء توليه الحكم، ويذكرون أن ذلك كان في عام 506م أو عام 580م،أو عام 514م ولكنهم يتفقون في أن انتهاء حكمه حوالي عام 554م ولقب بابن "ماء السماء" نسبة إلى أمه "ماء السماء"[3].

وقد شهد حكمه حروبًا طويلة بين المناذرة والغساسنة، ورافق الحرب بينهما حروب ضاربة بين الفرس والبيزنطيين، وقد اشترك "المنذر بن ماء السماء" إلى جانب الساسانيين (الفرس)، فاشتبك مع الحارث ابن جبلة الغساني الموالي للروم في سوريا، أبلى فيها المنذر بلاءً حسنًا إذ أنه تمكن في هجوماته المتتالية من أسر الكثير منهم، كما استطاع أسر أحد أبناء الحارث وقدمه قربانا للآلهة، ولكن الحارث تمكن منه فقتل في المعركة التي سميت بيوم حليمة عام554م [4]ـ فالحرب دارت في حديقة حليمة بنت الحارث الغساني ـ[5]، وخلف

[1]- توفيق برو، المرجع السابق، ص 129. انظر كذلك: حلمي محروس اسماعيل، المرجع السابق، ص 328 . عبدو عون الروضان، المرجع السابق، ص 135.

[2]- توفيق برو، المرجع السابق، ص 129.

[3]- محمد بيومي مهران،(دراسات...)، المرجع السابق، ص 586.انظر كذلك: أحمد رحيم هبو، ا لمرجع السابق، ص 158.

[4]- عبدو عون الروضان، المرجع السابق، ص 137.انظر كذلك: أحمد رحيم هبو، المرجع السابق، ص 159.

[5]- ابن الأثير، المصدر السابق، ج1، ص 428. وكذلك:. -Musil, Hegaz, N.Y, 1930, p 30

"المنذر بن ماء السماء" في حكم الحيرة بعد مقتله ابنه "عمرو بن هند" (554-569م) أما تسميته بـ" عمرو بن هند" نسبة إلى أمه "هند بنت عمرو بن حجر أكل المرار الكندي"[1].

كان "عمرو بن هند" شديد البأس، قوي الشكيمة، مع كبرياء وغطرسة فهابته العرب وقد استغل ضعف الدولة الكندية بعد قتل ملكها "الحارث بن عمرو"، فعمل على توسيع نفوذه بين قبائل شبه الجزيرة العربية فحارب قبائل تميم، وطيء، وتغلب، وأخضعها جميعا[2].

على الرغم من المكانة العالية التي صارت للحيرة في عهد "عمرو بن هند"، إلا أن غروره وجبروته جر عليه سوء العاقبة[3]، على يد "عمرو بن كلثوم التغلبي" عندما حاول ابن هند أن يستذل أمه ليلى بنت المهلهل بن ربيعة، وأن يستعملها خادمة لأمه، فصرخت ليلى "واذلاه يا آل تغلب" فسمعها ولدها، فنهض إلى سيف ابن هند وهو معلق بالسرداق فأخذه وضرب به "عمرو بن هند" فقتله عام 574 م[4].

وبعد وفاة "عمرو بن هند" خلفه أخوه وساعده الأيمن "قابوس بن المنذر" فكان يعهد إليه بقيادة الجيوش في بعض غزواته وولاه على بعض أقاليم الدولة، ولكن فترة حكمه لم تكن طويلة[5]، وجاء بعده أمير فارسي يدعى" فيشهرت" ويعود سبب تنصيبه ملكا للحيرة ربما لوجود خلاف بين أمراء بني لخم على ولاية العرش أو رغبة من الفرس في إضعاف مركز العرب في الحيرة[6].

وقد جلس على عرش الحيرة بعد ذلك "النعمان الثالث بن المنذر"(580-602م) بعد أن توسط أحد رجال بلاط كسرى أنوشروان (وهو عدي زيد العبادي) الذي كان ذو مكانة لدى كسرى[7].

لم تظل علاقة "النعمان بن المنذر" طيبة مع حلفائه الساسانيين، حيث قام النعمان بسجن عدي ثم أمر بقتله، ولم ينسى ابن عدي المسمى "زيد"، الذي وصل إلى مكانة والده

(1)-حلمي محروس اسماعيل، المرجع السابق، ص 337.

(2)- توفيق برو، المرجع السابق، ص 133.

(3)- محمود عرفة محمود، المرجع السابق، ص 93.

(4)- محمد سهيل طقوس، المرجع السابق، ص 401.انظر كذلك: حلمي محروس اسماعيل، المرجع السابق، ص 340.

(5)-حلمي محروس إسماعيل، المرجع السابق، ص 341.

(6)- محمد بيومي مهران،(دراسات...)، المرجع السابق، ص 591.

(7)- محمود عرفة محمود، المرجع السابق، ص 94.

عند كسرى ما فعله النعمان بأبيه، فأخذ يحرض ملك الفرس عليه حتى أمر بقتله، وكان "النعمان" قد شعر بما يبيت له ملك الفرس فمضى إلى قبيلة طيء ليمنعوه، فأبو ذلك خوفا من بطش كسرى ثم نزل بقبيلة "بني شيبان" فاستودع سلاحه وأولاده لدى "هانئ بن مسعود" ومضى إلى مصيره[1].

وهناك من يذهب إلى أن سبب مقتل "النعمان"، يرجع إلى أن الفرس انتبهوا إلى خطر الإمارة العربية وتعاظم قوتها، فأرادوا القضاء عليها طالما أن وجودها لم يخدم الغاية المرجوة وهي الوقوف في وجه الغساسنة، الذين قل خطرهم واضمحلت قوتهم أنذاك[2].

انتهى بوفاة النعمان، حكم اللخميين أو المناذرة في الحيرة، لأن كسرى عين مكانه رجلا من طيء اسمه "إياس بن قبيصة"، لكنه لم يكن الرجل المناسب الذي اختاره لهذا المنصب ليكون خلف "للنعمان بن المنذر"، فبعد انهزامه في معركة "ذي قار" عزلوه لأنهم اعتبروه المسؤول عن خسارتهم[3].

انتهى حكم المناذرة في الحيرة بموت "النعمان بن المنذر" إلّا أنّ هذا لم يمنع أحد أولاده واسمه " المنذر الغرور" أن يؤسس له إمارة عربية مستقلة في البحرين ومهما يكن من أمر فإن نهاية المناذرة ونهاية الدولة الفارسية كانت على يد الجيوش العربية الفاتحة للإسلام[4].

وصلت إمارة اللخميين أو المناذرة إلى قدر من الاستقرار، كان من بين مظاهره النشاط المعماري المتقدم مثل قصر الخورنق، السدير والدير الذي أقامته "هند أم عمرو بن هند" والحياة الثقافية في الحيرة وحياة البذخ التي كان يمكن للقصر أن يمارسها، ولكن هذا الاستقرار كان مرتبطًا دائمًا بإرادة الدولة الكبيرة، الإمبراطورية الفارسية التي كان منطلقها الأساسي هو مصلحتها اتجاه الصراع الكبير بينها وبين الإمبراطورية البيزنطية ومدى ثقتها في ولاء الأمراء اللخميين اتجاه هذا الهدف، لكن الظروف التي كانت تمر بها الإمبراطورية من حين

[1]- أحمد رحيم هبو، المرجع السابق، ص 162.

[2]- نفس المرجع.

[3]- عبدو عون الروضان، المرجع السابق، ص 141- 142.

[4]- توفيق برو، المرجع السابق، ص 140.

إلى آخر حول مسألة العرش أتاحت الفرصة لبعض الأمراء المناذرة للتدخل في مناسبة واحدة على الأقل في تحديد الشخص الذي يلي العرش ،كما حدث أيام "المنذر بن النعمان الأول"، إلا أن الوضع كان يتغير إذا أحس أباطرة الفرس بشيء من الشك في ولاء الأمراء اللخميين، وقد حدث هذا بعد حكم "النعمان الثالث بن المنذر" إذ نجد أن الإمبراطور الفارسي يعين "إياس بن قبيصة" مقيمًا فارسيًا يمسك بمقاليد الحكومة، مما أدى إلى زوال حكم العرب في المنطقة وظل الأمر كذلك حتى عهد الفتوحات الإسلامية[1].

من هنا نخلص إلى أن التطورات السياسية والفكرية الحاصلة في المنطقة كان نتيجة لتراكمات من الإنجازات على مختلف الأصعدة، وكانت نتيجتها ظهور أنظمة سياسية ذات سيادة، وتحكمها أطر تشريعية قانونية أخرجتها من اللاستقرار إلى تحقيق الأمن والاستقرار كانت ثمرتها هذه الممالك والدول التي ميزت الحياة السياسية في شبه الجزيرة العربية، حيث ظلت آثارها المختلفة شاهدة على عظم هذا الإنجاز الحضاري، مما جعل عديد المستشرقين يعيدون النظر في طروحاتهم المتكاملة على تاريخ شبه الجزيرة العربية القديم.

[1]- لطفي عبد الوهاب يحي، المرجع السابق، ص 351- 352.

الفصل الخامس:

نماذج من الأنظمة السياسية في شبه الجزيرة العربية

I. النظام السياسي في جنوب الجزيرة (دولة سبأ):

1. أصل السبئيين وموطنهم الأصلي
2. أدوار التاريخ السبئي
3. نظام الحكم
4. خصائص نظام الحكم

II. النظام السياسي في وسط الجزيرة (مكة):

1. أصل مكة ومعانيها
2. أهمية موقع مكة
3. سكان مكة
4. التنظيم السياسي في مكة
5. الوظائف الإدارية في مكة

III. النظام السياسي في شمال الجزيرة (دولة الغساسنة):

1. أصل الغساسنة
2. نشأة دولة الغساسنة
3. أبرز ملوك الغساسنة وانجازاتهم
4. نظام الحكم

عرفت شبه الجزيرة العربية ثلاثة أشكال من النظم السياسية، وكان الاختلاف بين هذه النظم مرتبط أساسًا باختلاف الطبيعة الجغرافية ومواردها الاقتصادية وهذه النظم هي:

- النظام القبلي الذي ظهر في مناطق البادية.
- نظام الإمارات الذي ظهر في شمال شبه الجزيرة.
- نظام الممالك الذي ظهر في جنوب شبه الجزيرة.[1]

I. النـظام السياسـي فـي جنوب الجزيرة (دولة سبأ):

أغلب الظن أن التحول من الأوضاع القبلية إلى تنظيمات الدول المستقرة لم يتم بسهولة أو في وقت قصير، ولعله بدأ في بعض صوره على الأقل بنوع من التحالف على قدم المساواة بين القبائل ذات المصالح المشتركة والمناطق المتقاربة والمترابطة برابطة الدم والنسب، ثم عملت الظروف عملها في تغليب كافة فريق منهم على فريق في إطار هذا التحالف، ووصول أكبر زعمائه إلى الرياسة التي أصبحت وراثية في أعقابه، سواء تحت راية الدين أو بتأثير القوة والثراء ونبالة الأصل، ويبدو أن أقدم الجماعات التي نهجت مثل هذا النهج هي الجماعات السبائية[2].

1. أصـل السبئييـن وموطنهـم الأصلـي:

اختلف المؤرخون في أصل السبئين ونسبهم، وسبأ عند بعض الإخباريين، اسم الجد الأول وأولاده، كانت من ذرياتهم شعوبا، ووالده هو يشجب بن يعرب بن قحطان، ومن أولاده قبائل كثيرة انتشرت في عدّة أماكن من شبه جزيرة العرب قبل الإسلام، وإليه نسب نسله السبئيون، وذكروا أن اسمه الحقيقي هو "عبد شمس"، وتفسر تسميته بسبأ، بأنه كان أول من سن السبي من ملوك العرب وأدخل اليمن السبايا فسمي لذلك بسبأ[3].

---

[1]- لطفي عبد الوهاب يحي، المرجع السابق، ص 342 ومابعدها. وكذلك:.Adolf Grohmann,***Arabia***,v3,Lssue 1,part 3,p122-

[2]- عبد العزيز صالح، **تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2010 م، ص 39.

[3]- الطبري، المصدر السابق، ج1، ص 211.انظر كذلك: جواد علي، المرجع السابق، ج2، ص 258. الألوسي، المصدر السابق، ج1، ص 207.

غير أن بعض المحدثين يذكرون أن اسم سبأ من الغزو، وكما هو مبين من مصدر اللفظ في النقوش اليمنية القديمة (سبأ) أي غزا و(سبأتن، أي الغزوة، ونون الآخر هي أداة التعريف ورسم المسند يثبت أن الاسم مهموز الآخر).[1]

وليس في النصوص العربية الجنوبية شيء عن نسب سبأ وعن هويته، وكل ما ورد فيها أن سبأ اسم شعب كوّن له مملكة، وترك عددا كبيرًا من النقوش، ورد فيها أسماء الألهة التي كانوا يعبدونها، وأسماء لحكامهم، وغير ذلك، إلا أنه ورد في نقش حفرت حروفه على لوح نحاسي، يتضمن "عبد شمس" سبأ بن يشجب، يعرب بن قحطان وهذه الكتابة لم تنشر بحروفها الأصلية -أي بالخط المسند- وإنما نشرت بالحروف اللاتينية والعبرانية، ولم يُبدِ المتخصصون رأيا في هذا اللوح النحاسي، وفي نوع كتابته وزمانها، مما يجعل الباحث يتوقف في ابداء رأيه فيها.[2]

أما الرواية التي تجعل كثرة الغزو والسبي، ووصوله إلى بابل وأرمينية في آسيا، ومصر والمغرب في إفريقيا، أنها سبب في تسميته بهذا الاسم، فهي رواية لا تستند إلى دليل علمي لأن بابل وأرمينية ومصر والمغرب لم تعرف اسم سبأ هذا، ولم ترد في كتابات ونقوش تلك البلاد أي اشارة إلى هذا الإسم، ولو كان ذلك صحيحًا لورد اسمه في كتاباتهم، ولتبين مدى تأثيره عليهم، إلا أن شيئًا من ذلك لم يرد في نصوص تلك الأمم، وما عرف السبئيون في حقيقة الأمر إلا تجارًا للبخور واللّبان وغيرها من مستلزمات المعابد في العصور القديمة، وليسو غزاة يحتلون البلاد، ويبنون المدن، إلا في فترات متأخرة من حضارتهم.[3]

وحول الموطن الأول للسبئيين، فإن المصادر التاريخية لا تذكر شيئًا واضحًا، فيرى البعض احتمال هجرة السبئيين إلى اليمن في حوالي 1200ق.م[4]، أما "هومل" فيذكر أن السبئيين كانوا يستوطنون شمال بلاد العرب في المواضع التي عرفت بـ "عريبي" ثم تركوا مواطنهم وارتحلوا إلى جنوب شبه الجزيرة العربية في القرن الثامن قبل الميلاد، حيث استقروا في "صرواح"

---

(1)- عبد الله يوسف محمد، المرجع السابق، ص 202- 203.

(2)- جواد علي، المرجع السابق، ج2، ص 259. وكذلك: -A. Jamme, ***Sabaean Inscriptions from mahram*bilqis**, p389.

(3)- محمد بيومي مهران،(دراسات...)، المرجع السابق، ص 262.

(4)- نفس المرجع، ص 207. وكذلك: Homel, op cit, p 56

و"مأرب" ويقدم أدلة على ذلك بأن السبئيين كانوا يعيشون إلى الشمال من دولة معين وقت ازدهار دولة معين، كما أن لهجة السبئيين تختلف عن لهجة شعوب العرب الجنوبيين.[1]

وورد لفظ سبأ في نقش معيني يشير إلى أن قبيلة بدوية كانت تسطو على الطريق التجاري الممتد بين بلاد العرب الجنوبية ومعان الواقعة في شمال بلاد العرب وكانت تسطو أيضا على القوافل المعينية القادمة إلى مصر[2].

وأغلب الظن أن السبئيين في الأصل شعب بدوي، كانوا ينتقلون بين شمال شبه الجزيرة العربية وجنوبها، ثم استقروا في بلاد اليمن في حوالي 800ق.م تحت ضغط الأشوريين عليهم من جهة الشمال وأخذوا يوسعون منطقة نفوذهم على حساب جيرانهم من المعينيين مستغلين ضعف الدولة المعينية، فسقطت مدن معين الوادة تلوى الأخرى في يد سبأ، كما سقطت الدول المعاصرة لها كأوسان، وقتبان وحضرموت، وعملوا بالتجارة وسيطروا على الطرق التجارية الرئيسية التي تصل ما بين جنوب الجزيرة العربية وشمالها وبلاد الشام، وكان لذلك أثره الكبير في ازدهار دولة سبأ ونموها بين ممالك العرب الجنوبية[3].

وعلى أي حال، فإن تحديد بداية زمنية دقيقة لقيام أو نشأة الدولة السبئية، لا يزال الجدل فيه قائمًا بين المؤرخين، فعلى الرغم من أن نشأة الدولة كانت على أقل تقدير في القرن العاشر قبل الميلاد بناءًا على ما ورد عن ملكة سبأ ومعاصرتها لسليمان عليه السلام، سواء كان ذلك في التوراة أو الإنجيل أو القرآن الكريم، إلا أن البعض من المؤرخين اقتصر في تحديد نشأة الدولة السبئية بناءًا على ما ورد في النقوش والآثار القديمة، من أسماء الحكام، دون أن يأخذوا بالاعتبار ما قبل ذلك، مما جعلهم يحددون بداية نشأة الدولة السبئية، على وجه التأكيد في القرن الثامن قبل الميلاد[4].

---

(1)- فرتز هومل، المرجع السابق، ص 59.

(2)- نفس المرجع، وكذلك :. -Andrey .Korotayev, ***Ancient Yemen Oxford***, University press, 1955, p 49

(3)- حسن الشيخ، المرجع السابق، ص 94.انظر كذلك: حلمي محروس اسماعيل،المرجع السابق، ص 198. محمد يحي الحداد، المرجع السابق، ص 72- 73.

(4)- عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص 44-45.ذكرت قصة سبأ والنبي سليمان في النصوص الدينية التالية:

أ/ التوراة:سفر الملوك الأول، الإصحاح : 9:10، سفر حزقيال:27:24

ب/ الإنجيل:الملوك الأول:10

ج/ القرأن الكريم:سورة سبأ

ويمكن أن يستنتج من قصة ملكة سبأ مع النبي سليمان عليه السلام، على وجود دولة قائمة منذ زمن، ذلك لأن سليمان حكم في الفترة (960-922ق.م)، مما يدل أنه كانت هناك حكومة قوية ومنظمة في سبأ في القرن العاشر قبل الميلاد[1].

هناك اختلاف بين المؤرخين حول أصل السبئيين والمكان الذي جاءوا منه، حيث لا يمكن القطع برأي في هذه القضية الشائكة التي يكتنفها الظلام من كل جانب، والثابت أن السبئيين وجدوا في اليمن منذ عصور موغلة في القدم[2]، إلا أنه في هذه المرحلة سنتحدث عن النظام السياسي.

يرى معظم المؤرخين أن دولة سبأ عاصرت دولة معين، فيما يرى آخرون أنها قد ظهرت أيام تدهور معين، واستقر الحكام السبئيين في "صرواح" و"مأرب"[3] والراجح أن السبئيين كانوا ينتقلون بين شمالي الجزيرة العربية وبين جنوبها، ولما قوي أمرهم قضوا على الدولة المعينية وأقاموا دولتهم على أنقاضها، وورثوا لغتها وديانتها، وتقاليد شعبها، وخلفوهم في الاشتغال بنقل التجارة بين الهند ومصر والشام والعراق، حتى أضحوا في القرون الأول قبل الميلاد أعظم وسطاء التجارة العالمية.[4]

2. أدوار التاريـخ السبئـي:

هناك اختلاف بين الباحثين حول تقسيم تاريخ السبئيين، فهناك من قسمها إلى دورين وهناك من قسمها إلى أربعة عصور، معتمدين في ذلك على أن لقب حكام سبأ لم يكن لقبًا ثابتًا، إنما كان يتغير من عصر لآخر، طبقاً لظروف الدولة نفسها، وهذه التقسيمات كالآتي:

---

(1)- محمد بيومي مهران، (دراسات...)، المرجع السابق، ص 267.

(2)- محمد عبد القادر بافقيه، المرجع السابق، ص 51.

(3)- محمد بيومي مهران، (دراسات...)، المرجع السابق، ص 266.

(4)- محمد سهيل طقوس، المرجع السابق، ص 296. وكذلك : - A. Jamme, op cit, p 390 .

التقسيم الأول: قسم تاريخ سبأ إلى دورين أساسيين هما:

الدور الأول: يمتد من 950ق.م إلى 630ق.م، وهو الدور الذي كان حكامهم يلقبون فيه باللقب الديني "مكرب"، وكانت عاصمتهم مدينة "صرواح" الواقعة بين مدينة مأرب وصنعاء، ومكانها اليوم مدينة "خريبة" شرق صنعاء.

الدور الثاني: من 630ق.م إلى 115ق.م، وهو الدور الذي تغلبوا فيه على معين وورثوها ولقبوا بألقاب (ملوك)، وأصبحت عاصمتهم مدينة (مأرب) التي تقع على بعد 100كلم إلى الشرق من صنعاء[1].

التقسيم الثاني: قسم تاريخ سبأ إلى أربع عصور:

العصر الأول: يمتد حوالي 800ق.م إلى 650ق.م[2]، وفي هذه المرحلة كان حاكم سبأ يلقب "بالمكرب" أي المقرب من الآلهة والناس، أو الوسيط الذي يقرب بين الآلهة والناس[3].

العصر الثاني: يمتد من 650ق.م إلى 115ق.م، وفيه حمل حكام سبأ لقب "ملك" كما اتخذوا من "مأرب" عاصمة لهم، بدلا من "صرواح" عاصمة الدولة في العصر الأول وقد بدأ هذا العصر بـ "كرب إيل وتر" الذي كان آخر من حمل لقب "مكرب" وأول من حمل لقب "ملك".[4]

العصر الثالث: ويمتد من حوالي عام115ق.م حتى عام 300م وفيه حمل حكام سبأ لقب "ملك سبأ وذو ريدان" إشارة إلى ضم "ريدان" إلى التاج السبئي، وربما يشير إلى دولة حمير، ولهذا فإن بعض المراجع تطلق عليه اسم عصر الدولة الحميرية الأولى.[5]

---

(1)- توفيق برو، المرجع السابق، ص 73.انظر كذلك: حلمي محروس اسماعيل، المرجع السابق، ص 199. السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 136.

(2)- حسين الشيخ، المرجع السابق، ص 94.

(3)- حلمي محروس اسماعيل، المرجع السابق، ص 199.

(4)- محمد بيومي مهران، (دراسات...)، المرجع السابق، ص 271- 272.

(5)- محمد بيومي مهران، (دراسات...)، المرجع السابق، ص 272.

العصر الرابع: يمتد من حوالي 300م حتى عام 525م[1]، وفيه حمل حكام سبأ لقب ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت وأعرابها في المرتفعات وفي التهائم والذي يعرف بعصر الدولة الحميرية الثاني[2]، وهو آخر دور من أدوار الحكم في سبأ، حيث تبدأ بعد ذلك تقاسي من الحكم الأجنبي الحبشي والفارسي إلى أن يظهر نور الإسلام في مكة المكرمة وتنطوي اليمن تحت لوائه في عام 628م[3].

أولا: مرحلة مكارب سبأ:

يرى بعض الدارسين لهذه الفترة ومن خلال المادة المتوافرة لديهم أن أقدم ذكر لمكارب سبأ يعود إلى حوالي 800ق.م، مضيفين أن أول المكربين هو "سمه علي"[4]، فيما ذهب فريق ثاني إلى أن بداية حكم المكاربة تعود إلى القرن العاشر أو التاسع قبل الميلاد، بينما رأى فريق ثالث أن فترة حكم المكاربة تعود من 750ق.م حتى عام 450ق.م[5].

اختلفت آراء العلماء حول حكام سبأ وترتيب تتابعهم في الحكم وكذلك سنوات حكمهم، وحاولوا ترتيبهم على أساس تقدير عمر البقايا الأثرية، ويلاحظ في ذلك تباين آراء المؤرخين حول عددهم وتتابعهم.[6]

وتذهب بعض الروايات إلى القول أن هؤلاء المكارب هم من أسرة واحدة وعشيرة واحدة وهي عشيرة فيشان، وكانت هذه القبيلة صاحبة الملك في صرواح ثم أنشأ المكاربة بعد اتساع مملكتهم مدينة مأرب، تمينا لمنطقتهم الأصلية بالشمال "أراب" "مأرب" حسب بعض الآراء.[7]

---

[1]- حسين الشيخ، المرجع السابق، ص 95.

[2]- عبد الحميد سعد زغلول، المرجع السابق، ص 189.انظر كذلك: أحمد رحيم هبو، المرجع السابق، ص 126.

[3]- محمد بيومي مهران، (دراسات...)، المرجع السابق، ص 272.

[4]- محمد عبد القادر بافقية، المرجع السابق، ص 55.

[5]- جواد علي، المرجع السابق، ج2، ص 269.

[6]- حسين الشيخ، المرجع السابق، ص 96.انظر كذلك: محمد بيومي مهران، (دراسات...)، المرجع السابق، ص 273-282 . جواد علي، المرجع السابق، ج2، ص 269 وما بعدها.

[7]- محمد كاكي، **الواقع التجاري وأثره في ازدهار المملكة السبئية**، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2002 م، ص 36.

ومن أهم انجازات عصر المكاربة هو سد مأرب[1]، فكان عصر المكاربة عصر بناء وتأسيس حضاري، إذ أنهم كانوا يتبعون سياسة سلمية أتاحت لهم الفرصة لإقامة مشاريعهم العمرانية والزراعية، حتى جاء آخرهم وهو المكرب "كرب ايل وتر" الذي قضى على سياسة التعمير السلمي وجرى على سياسة التوسع العسكري، وبذلك يكون "كرب ايل وتر" خاتمة لعهود المكربين وفاتحة لعهود ملوك سبأ.[2]

ثانيا: مرحلة ملوك سبأ:

بدأ عصر ملوك سبأ بالملك "كرب إيل وتر" الذي كان "مكربًا" ثم لقب "ملكًا" ويستدل على ذلك بالنقيشة التي وجدت في مدينة صرواح على جدار من المرمى في بهو معبدها الرئيسي ويفتتح بالقول: "هذا ما أمر بكتابته كرب إيل وتر بن ذمر علي مكرب سبأ عندما صار ملكا"، وانتقلت الحكومة من صرواح العاصمة الأولى القديمة إلى مأرب العاصمة الجديدة.[3]

وفيما يتصل بالتحديد الزمني لعصر ملوك سبأ، فهناك من المؤرخين من يجعل بداية هذا العصر حوالي عام 650ق. م، بينما يرجعه أخرون إلى حوالي عام 450ق.م إلا أن الرأي الأول هو الأرجح، أما عن تحديد نهايته فيتجه غالبية العلماء إلى تحديده بحوالي 115ق.م[4]وهناك خلاف حول عدد الملوك وأسمائهم[5].

إن هذا الاختلاف ناتج عن عدم الحصول على معطيات أثرية تعطي معلومات منسقة مما أدى بالمتخصصين في كثير من الأحيان إلى الافتراض والتقدير.

فمن النصوص المكتشفة يلاحظ أن مملكة سبأ وقعت في أواخر أيامها فريسة للفوضى وهدفًا للأطماع الخارجية، وأقضت مضاجعها المنازعات التي وقعت بينها وبين جيرانها

(1)- يوسف محمد عبد الله، المرجع السابق، ص 78. وكذلك :

-Robinch. **L**, ***Arabie du dud Antique le royaume de saba dans la bible et terre sainte***, Paris, 1976, pp8-11.

(2)- أحمد رحيم هبو، المرجع السابق، ص 123.انظر كذلك: حلمي محروس اسماعيل، المرجع السابق، ص 200.

(3)- أحمد أمين سليم، (جوانب...)، المرجع السابق، ص 132.

(4)- حسين الشيخ، المرجع السابق، ص 106.

(5)- AlbrightW.F, ***A note on early Sabaean chronology***, Bassor, 1956, p 14.

الرّيدانيين والحضارمة والقتبانيين والحميريين الذين شعروا بضرورة استعادة الاعتبار لكياناتهم السياسية بعد أن أفاقوا من صدمة قضاء السبئيين على استقلالهم فنتج عنها حروب طويلة تفاقم أمرها، كان منها ما وقع بين سبأ وذوريدان، وانتصرت فيها سبأ، فضمت إمارة ذوريدان، فأصبح ملكها "ملك سبأ وذوريدان"، لكن الأحوال فيها لم تهدأ، بل أعقبتها حروب أخرى أشمل وقعت بين ملوك سبأ وذوريدان من جهة، وبين حضرموت وقتبان من جهة أخرى، وعندها استعان الملك السبئي بأمير قبيلة همذان "يرم أيمن" حيث حاول هذا الأمير استغلال نفوذ قبيلته لينافس الملك السبئي، ولم يلبث الريدانيون والحميريون أن استغلوا بدورهم هذا النزاع الهمذاني السبئي، أما قتبان فقد انسحبت من النزاع بعد أن انحطت أهميتها ولم يعد لها شأن في سياسة الجنوب اليمني، وأما حضرموت فقد تأرجحت بين الكفتين، تقف تارة إلى جانب همذان وتارة أخرى إلى جانب سبأ.[1]

في هذا الوقت ظهر الأحباش على سواحل اليمن الجنوبية في الأماكن التي كانت تحت إمارة "أوسان" وأخذوا يتدخلون في الشؤون الداخلية لمملكة سبأ، وراحوا يتحزبون لفريق دون آخر لتحقيق مطامعهم في شبه الجزيرة العربية وتبلور الموقف في حلفين: يضم الأول سبأ وريدان وحمير، والثاني همذان وحضرموت، الأحباش، انتصر الهمذانيون في أول الأمر على خصومهم غير أن هؤلاء ما لبثوا أن أحرزوا النصر الحاسم عليهم في النهاية، إلا أن نفوذ ريدان وحمير قد ازداد بسبب هذه الأحداث، فأصبحت تشرف عليهم وتحمل صبغة سبئية- ريدانية- حميرية وسمي ملكها باسم "ملك سبأ وذوريدان" وغلب عليها اسم الدولة الحميرية.[2]

ثالثا: مرحلة ملوك سبأ وذوريدان

أول ملوك سبأ وذوريدان هو الملك "إل شرح يحضب"[3]، الذي ينسب إليه الأخباريون بناء قصر غمدان أشهر قصور اليمن[4]، وتتميز هذه المرحلة بالاضطراب وعدم الاستقرار وكثرة

---

(1)- توفيق برو، المرجع السابق، ص 78- 79.

(2)-J. Bent and Mis, ***Southern Arabia***, London, 1900, p 129-199.

(3)- محمد يحي الحداد، المرجع السابق، ج1 ص 140.

(4)- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 140.

الحروب الداخلية، وأدى ذلك إلى تهدم المدن وتخريب القرى وعدم الاهتمام بوسائل الري مما حول الكثير من الأراضي الزراعية إلى صحاري مجدبة، ومن الناحية الخارجية فقد تعرضت سبأ خلال هذه المرحلة للحملة الرومانية التي قام بها "أليوس جاليو" (AelusGallus) حاكم مصر الرومانية عام 24ق.م وذلك بهدف الاستيلاء على اليمن للسيطرة على الطرق التجارية، وقد اعتمد أليوس جاليو في حملته على مساعدة الأنباط له، إلا أن الحملة فشلت فشلاً ذريعًا، ولم تحقق أغراضها إذ تعرضت للأمراض والأوبئة والجوع والعطش ووعرة الطريق[1]إلاّ أن المؤرخ صالح أحمد العلي يغزو سبب فشل هذه الحملة إلى عوامل المناخ[2].

ويبدو أن فشل حملة "أليوس جاليو" كان السبب في قيام الرومان بتغيير خطتهم السياسية نحو بلاد العرب، فعدلوا نهائيًا عن فتح هذه البلاد باستعمال القوة واقتصروا على محاولة السيطرة على التجارة البرية وتدعيم مصالهم التجارية عن طريق تحسين علاقاتهم السياسية بالدول والإمارات في الجنوب العربي[3].

رابعا: مرحلة ملوك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت:

يبدأ تاريخ هذه المرحلة حوالي عام 300م وينتهي حوالي عام 525م، ويشير اتخاذ الملوك لهذا الاسم "دولة سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت" إلى أن دولة سبأ وذي ريدان أصبحت تضم إليها مملكة حضرموت ويمنت وهي في رأي غالبية المؤرخين تشمل المنطقة الجنوبية الغربية من شبه الجزيرة العربية من باب المندب حتى حضرموت[4].

عرف ملوك هذه المرحلة بالتبابعة[5] وأول ملوكها هو "شمريهرعش" في حوالي 280–310م وقد عرف عند الأخباريين بتبع الأكبر[6]، فقد تغلب على قبائل تهامة على ساحل البحر

---

[1]- حسين الشيخ، المرجع السابق، ص 113.انظر كذلك: أحمد فخري، **دراسات في تاريخ الشرق القديم**، (مصر، العراق، سوريا، اليمن، إيران)، ط2، كلية الآداب، القاهرة، د.ت، ص 141.

[2]- صالح أحد العلي، **تاريخ العرب القديم والبعثة النبوية**، ط1، شركة المطبوعات، بيروت، 2000 م، ص 27.

[3]- حسين الشيخ، المرجع السابق، ص 115.انظر كذلك: السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 141- 142.

[4]- أحمد أمين سليم، المرجع السابق، (جوانب...)، ص 141.

[5]- توفيق برو، المرجع السابق، ص 83.

[6]- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 144.

الأحمر، وحقق انتصارات على القبائل في مناطق كثيرة من جنوب بلاد العرب، فنسب إليه القيام بالكثير من الفتوحات في العديد من البلدان[1].

ولا شك أن ما رواه العرب عن فتوحاته لا يعدو قصصًا خرافية، فلعل هذه الانتصارات التي أحرزها ملوك حمير في عصر ظهور الأحباش، وتطلعهم إلى التوسع في جنوب شبه الجزيرة العربية كانت سببًا دعا هؤلاء الأخباريين إلى المبالغة في تعظيم "شمريهرعش" ونسب هذه الأعمال الخارقة إليه[2].

تمكن الأحباش من احتلال اليمن عام 525م واتخذ نجاشي الحبشة لقب ملك أكسوم وحمير وذي ريدان والحبشة وسبأ وتهامة والبجاء وكسو، وذلك لحماية التجارة الحبشة كرد فعل قام به ملوك حمير للسواحل الشرقية للحبشة[3].

أدت الأحوال المضطربة في جنوب شبه الجزيرة العربية إلى توقف التجارة التي كانت مصدر ثرائهم وازدهارهم ورخائهم، وفي عام 575م تمكن الفرس من احتلال اليمن، واستمر الوضع كذلك حتى دخول الاسلام[4].

3.نـــظام الحكـــم:

أ. **نـظام حكـم المكاربـة**:كان لقب "مكرب" هو أول الألقاب التي حملها حكام دول جنوب شبه الجزيرة العربية وتدل اللفظة على التقرب من الآلهة فالـمكرب هو المقرب أو الوسيط بين الآلهة والناس[5]،وإذا رجعنا إلى معاجم اللغة فنجد أن الكَرْبُ القُرْبُ والملائكة الكَرُوبيُّونَ: أقربُ الملائكة إلى حملة العرش[6].

[1]- حلمي محروس اسماعيل، المرجع السابق، ص 204.
[2]- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 145.
[3]- أحمد أمين سليم، المرجع السابق، (جوانب...)، ص 141- 142.
[4]- حسين الشيخ، المرجع السابق، ص 116.
[5]- جواد علي، المرجع السابق، ج1، ص 268.
[6]- ابن المنظور، المصدر السابق، ج1، ص 714- 715.

فالنظام السياسي الذي كان في عهد "المكارب" كان نظامًا دينيًا أكثر منه سياسيًا[1] وكان مكون من قبائل ومدن وقرى، ولكل قبيلة أو مدينة أو قرية آلاهها الذي يحميها ويجمع شملها، وعلى كل مدينة "كبر" أي "كبير" يقوم بجباية الضرائب العائدة للدولة ويقوم الكبر أيضًا بتقديم الجنود إلى الحكومة، هذا ولقد تغير لقب حاكم المدينة من "كبر" إلى "قيل" في عهد "ملوك سبأ وذي ريدان"[2].

اهتم المكاربة بالأمور الدنيوية والدينية، فقد وزع "كرب إيل بين" الأراضي الواقعة حول نشق على الفلاحين لإستصلاحها واستغلالها زراعيًا كما ينسب إلى "سمه على ينف" تنفيذ مشروع للري، وهو انشاء سد على وادي أذنه بمأرب عرف باسم "سد رحب" في عام 650ق.م، كما قام يثع أمر بين بن سمه على ينف" إلى زيادة هذا السد طولا وعرضًا وارتفاعًا، وأقام سدًا أعظم منه يعرف بسد حبابض[3].

ومن أهم أعمال المكارب الدينية هي بناء المعابد، فقد عثر في مأرب على نقش يعود إلى حوالي النصف الثاني من القرن الثامن قبل الميلاد حيث يذكر أن "يثع أمربين بن يكرب" بنى معبد لهوبس[4].

امتاز حكم المكاربة بالاهتمام بالوضع الداخلي من بناء المعابد وتقديم القرابين والمحافظة على أركان النظام وتثبيتها وانشاء السدود وتعبيد الطرق، والاهتمام بالسلع التجارية (اللبان، المر) وإقامة علاقات خارجية مع الدول المجاورة والاهتمام بالإدارة العسكرية والتوسع[5].

[1]- لم تنفصل السلطة السياسية بصورة جلية عن السلطة الدينية كما يرى البعض، لأن الدين كان يعد القاعدة القانونية الأساسية عند الشعوب القديمة، فكانت التشريعات والأحكام التي يصدرها الملك تعمد الهيًا، لتصبح عملاً موحى به من المعبودات لحفظ الحقوق وإشاعة العدل، ومن يعتدي على حكم القانون كمن يتعمد مخالفة أحكام وأوامر المعبودات، كذلك فإن فقدان الصلاحيات الدينية للملك وإعطائها إلى الكهان سوف يؤدي أنداك إلى انقسام السلطة وعدم استقرار الحكومة المركزية ويفقد الملك فيه الكثير من الولاء والطاعة، لهذا كان الحاكم اليمني يستمد سلطانه وقوته من الآلهة، هذا وقد بقي نظام الحكم في عهد الملوك محتفظًا بالكثير من خصائص عهد المكاربة، وبقيت القبيلة هي الدعامة الأساسية للملك، انظر جواد مطر الحمد، المرجع السابق، ص 84.

[2]- محمد يحي الحداد، المرجع السابق، ج1، ص 96.

[3]- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، (دراسات...)، ص 137.

[4]- دون مؤلف، **اليمن في بلاد ملكة سبأ**، تر، بدر الدين عرودكي، مر، يوسف محمد عبد الله، معهد العالم العربي، الأهالي، ص 133.

[5]- جواد مطر الحمد، المرجع السابق، ص 73.

ب. نـظام حكـم الملـوك: يبدأ عصر ملوك سبأ بالملك "كرب ال وتر" الذي كان مكربًا ثم صار ملكا كما ذكر سابقًا وهذا التغيير في ألقاب الحكام لم يقتصر على سبأ فقط بل أنه شمل كل دول اليمن القديم، وبالبحث في نصوص المسند عن تفسير لهذه الحادثة السياسية الهامة لا نجد إجابة وافية تعلل أسباب تخلي المكربين عن ألقابهم الموروثة عن أبائهم واتخاذهم لقب الملك.[1]

وقد اختلف الباحثون في إيجاد سبب هذا التغيير، فمنهم من يرى أن هذا التغيير يرجع إلى رغبة الحاكم الديني (المكرب) في الارتفاع بنفسه عن مستوى رياسة الكهنوت إلى مستوى الملكية ذات السلطات الشاملة هربًا من منافسة كبار الكهنة الذين يشاركونه السلطة باسم الدين، ومنهم من يرى أن هؤلاء الحكام أرادوا أن يتشبهوا بجيرانهم ملوك الدول المعاصرة ويمكن القول أن هذا التحول نتيجة تطور النظام الإقليمي والحاجة إلى تعزيز سلطة الحاكم للسيطرة على الوضع الداخلي والخارجي للدولة[2].

ومن أهم أعمال الملوك، الأمر بإقامة المرافق العامة والإشراف على تنفيذ التشريعات الصادرة عن الهيئة التشريعية، ومتابعة تنفيذ القصاص على المخالفين للتشريعات، ويشارك في الإشراف على الأسواق التجارية، وعلى تنفيذ قوانين التجارة فيها، وفي مجال الزراعة يتابع أعمال الري والمشرفين عليها ويتدخل في حالة إهمال المسؤول عن تنظيم الري ويعاقب المخالفين ويتضح من أعماله أنه ليس حاكمًا مصلحًا، بل رئيسًا تنفيذيا، ومسجلاً ومعلنًا للهيئة التشريعية التي يرأسها[3].

فالتشريعات تصدر باسم الملك، إلا أن مصدر تلك التشريعات سلطة تشريعية شورية، رغم صدورها باسم الملك الذي يأخذ زمام المبادرة فيها ويتولى غاية تطبيقها ومعاقبة مخالفيها، فالملك لا ينفرد باتخاذ القرارات، ويؤكد ذلك ما عرف من مجالس حكومية في دول جنوب شبه الجزيرة العربية القديمة، إذ أن تلك الدول هي في الأصل تجمعات اجتماعية سياسية أو اتحادات

[1]- وائل فتحي مرسي، المرجع السابق، ص 26.

[2]- نفس المرجع، ص 26.

[3]- نورة عبد الله علي النعيم، المرجع السابق، (التشريعات...)، ص 90.

قبلية وفق مفهوم القبيلة المستقرة الزراعية وليس القبيلة البدوية المتنقلة، والقبيلة بلغة النقوش "شعب"[1]، وهذا يذكر بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾[2].

ويلاحظ كثرة النصوص التشريعية نسبيًا في عصر الملوك، ويشير ذلك إلى ان هذا النشاط حق خاص بالملك وإن لم يكن حقًا مطلقًا دائمًا، إذ قد يشاركه سلطات أخرى مثل مشاركة الشعب في اتخاذ القرارات أو إصدار المراسيم تبدأ عادة تلك النصوص بصيغ تظهر مشاركة سلطات أخرى في اصدارها، وتشير تلك الصيغ إلى التدرج في السلطة يبدأ بالملك الذي يكون القرار صادرًا عن إرادته، ولكن يجب أن يوافق عليه ممثلون أو (سلطات تشريعية) وبهذا يكون الملك هو واضع التشريع ومتبنيًا له، وفي الوقت نفسه المسؤول عن تنفيذ تلك القرارات الصادرة باسمه[3].

ج. المجالس القبلية والتشريعية في مرحلة الملوك: كان للملك السبئي مجلسان مجلس القبائل ومجلس استشاري يختارهم الملك، ويقتصر هذا التمثيل على أهل الرأي والمشورة، فهو لم يكن يمثل رأي الشعب تمثيلاً تامًا[4]، فالمجلس القبلي بمثابة هيئة تنفيذية، يكون أغلب أعضائه من ممثلي القبائل(أي شيوخها)، يعقد جلساته مرتين في العام، ففي الاجتماع الأول كانت تقدم فيه المقترحات، أما الاجتماع الآخر فكان الغرض منه الموافقة على هذه القوانين والقرارات التي أصدرها الملك، ويقوم هذا المجلس على الترتيب ويعنى بالترتيب هنا ترتيب القبائل حسب موضع إقامة القبيلة التي بيدها الزعامة ثم أصحاب الأملاك، ويأتي في الأخير القبائل المنطوية وسكان المزارع والمراعي[5].

[1]- يوسف محمد عبد الله، المرجع السابق، ص 54. وكذلك: Deborah M. C, Horis, ***the queen of sheba***, Mc Forland, 2013, p 21-

[2]- سورة الحجرات، الآية 13.

[3]- نورة عبد الله علي النعيم، المرجع السابق،(التشريعات...)، ص 119- 120.

[4]- جواد علي، المرجع السابق، ج5، ص 229.

[5]- رود كاناكيس، المرجع السابق، ص 133.

يتناول مجلس القبائل في اجتماعاته أمورًا تهم السياسة الداخلية، أو أمورًا تهم السياسة الخارجية، أو إدخال تغيير على النظام الاقتصادي للدولة، وبعد انتهاء جلسات مجلس القبائل، يوكل اعداد القوانين وتنفيذها إلى هيئة أخرى أعضاؤها أقل عددًا من الهيئة السابقة وذلك ضمانًا لسرعة التنفيذ[1]، وكلهم من أصحاب الجاه والسيادة والسلطان[2].

هناك مجالس أخرى إلى جانب المجلس القبلي تسمى بـ (المزود)،ويتكون من ممثلي المدن ورؤساء القبائل وتقوم هذه باقتراح القوانين على الملك، وتضع مسودات اللوائح وتعرضها على الملك.[3]

أما المجلس الاستشاري، فضلاً عن إصدار القوانين، كان من صلاحياته استغلال القوانين القديمة وتثبيتها، وربما إجراء التعديل عليها، كما كان له الحق أيضًا في تنظيم استخدامها وكان يعلنها باسم الملك، وقد يحل المجلس الاستشاري محل مجلس القبائل في بعض الأمور وبتطبيق القوانين عليها وإقرارها، كما كان من حقه أيضًا إصدار العفو عن المحكوم عليهم سواء كان هذا العفو كليًا أو جزئيًا[4].

إذن كل الإجراءات والقوانين في مجلس القبائل والمجلس الإستشاري تصدر باسم الملك وتصدر بصورة مراسيم تشريعية ملكية، تعلن للناس وتبلغ للقبائل لإقرارها وتنفيذها[5]، وهي عامل من عوامل تقوية الروابط بين الملك والشعب[6].

4. خصائص نظام الحكم السبئي:

العرب من الشعوب التي تميل إلى الأخذ بالرأي، واستشارة ذوي الرأي والخبرة والسن فنجد سيد القبيلة يستشير سادات القبيلة ووجوهها في الأمور التي تقع لقبيلته، وكان للملوك مستشارون في القضايا التي يعرضها الملك عليهم[7].

---

(1)– رود كاناكيس، المرجع السابق، ص 135– 136.

(2)– جواد علي، المرجع السابق، ج5، ص 229.

(3)– نفس المرجع،ج2، ص 192.

(4)– رود كاناكيس، المرجع السابق، ص 135.

(5)– جواد علي، المرجع السابق، ج5، ص 229.

(6)– رود كاناكيس، المرجع السابق، ص 135.

(7)– جواد علي، المرجع السابق، ج5، ص 241.

فدولة سبأ حكمها أناس حكموا حكمًا مزدوجا أي حكمًا دينيا ودنيويًا، فقد وردت أسماء هؤلاء الحكام، ولم تبح المصادر بشيء عن أصول حكمهم للمعابد، ولا عن كيفية تلقيهم الأوامر الإلهية التي يطلبون من اتباعهم تنفيذها، هل كانت وحيًا من الآلهة، يحملها إليهم ملائكة مقربون، أو إلهامًا يتجلى في نفوسهم فينطق بها المكربون ويبلغونه للناس أو صوتًا يخرج من رئي أو صنم أو ما شاكل ذلك، يسمعه المكرب فيفسره للناس على طريقة الكهان، وليس في نصوص المسند تعليل للدوافع والأسباب التي حملت أخر "مكرب" في كل دولة من الدول العربية الجنوبية على تغيير لقبه القديم واتخاذ لقب الملك، وإلى ابتعاد الملك عن الحكم الديني وتركه لغيره[1].

ويعد عهد "كرب ايل وتر" من العهود الحاسمة في تاريخ دولة سبأ، ذلك لأنه بمثابة خاتمة لعهود المكاربة وفاتحة لعهود الملوك في دولة سبأ، أو بمعنى آخر الإنتقال من حكومة دينية إلى حكومة مدنية[2]، ولم يكن "المكرب" رجل دين بالمعنى المفهوم، أي عالماً بأمور الدين فقيهًا بها كرس وقته لها، ومتوليًا إمامة الناس في صلواتهم وفي أداء الشعائر الدينية مقدمًا القرابين بنفسه، بل يرى بعض الباحثين أنه مجرد منصب له صبغته الدينية، وأنه يشبه منصب الخليفة في الإسلام، حيث كان الخليفة يعد (أمير المؤمنين) ورئيس المسلمين ولم يكن مع ذلك أعلم المسلمين بأمور الدين ولا أفقههم بالأحكام، وإنما هو (خليفة الله) في أرضه وكذلك كان المكربون خلفاء الآلهة على الأرض[3].

وقد استتبع انتقال الحكم من (المكربيين) إلى الملوك حدوث تغيير في أصول الحكم فانقطعت صلة الملك بالمعبد، وإن بقي حامي الدين والمعبد، فانصرف الكاهن إلى إدارة المعبد ورعاية ممتلكاته، وانصرف الملك إلى إدارة شؤون مملكته[4].

---

(1)- جواد علي، المرجع السابق، ج5، ص 189- 190 .وكذلك :
-Rykmans, J.some technicol aspects of the ***Inscriped south arabian***,British Museum, 1978, p 127.

(2)- محمد بيومي مهران، (الحضارة العربية...)، المرجع السابق، ص 200.

(3)- جواد علي، المرجع السابق، ج5، ص 190-191.

(4)- نفس المرجع، ص 191.

كما كان الملك هو المسؤول عن تعيين الكهنة في المعابد، حيث تسجل نقيشة (أرياني 69) صدور قرار ملكي يتولى فيها شخصين مهمة الكهانة في معبد بران، حيث قاما الكاهنان بتقديم قربان للإله المقه لأنه ساعد سيداهما "الشرح يحضب" وأخيه "يأزل بيِّن" ملكي سبأ وذي ريدان في أن يصدر لهما أمر بتولي الوحي والتوثيق في معبد بران[1].

وكان للملوك مستشارون يستشارون في عدّة قضايا، فقد استشار الملوك أصحاب الأرض من طبقة (طبنن) (الطبن)، والمستشارين الذين عرفوا بـ (فقضت) و(بتل)، كانوا يجمعونهم لأخذ رأيهم في أمور الأرض وفي مسائل أخرى، كما استشاروا كبار رجال المعابد من درجة (رشو) و(شوع)، وكان لرأي هؤلاء أهمية كبيرة بالنسبة للملوك، كما كان لهم من نفوذ ومكانة في المجتمع[2].

لم يكتفي الملوك بأخذ رأي الطبقات المذكورة عند إقرار قانون بل كانوا يرسلون آرائها ووجهة نظرها إلى مجالس القبائل وإلى سادات ووجوه المدن والقرى والمستوطنات للوقوف عليها ولبيان رأيهم فيها، وذلك في القضايا العامة التي تشمل كل الدولة، مثل تنظيم أمور استثمار الأرض وفرض الضرائب والقوانين التجارية، لتدرس وتعالج من ذوي الرأي والجاه في المملكة، ومتى جاء رأيهم ووقف الملك على كل الآراء وأحاط علمًا بها عمل برأيه فيها واتخذ قرارًا، ويعبر عن اتخاذ قراره بلفظة (جزمن) أي (الجزم)[3].

II. النـظام السياســي فـي وسط الجزيرة (مكـة):

إن وقوع منطقة الحجاز بين بلاد الشام واليمن قد جعلها تحتل مركزًا مهمًا على طريق التجارة الدولية التي كانت تربط بين تجارة الشرق والغرب، ومما ساعد تجار القوافل على سلوك هذا الطريق كثرة الوديان التي تتجمع فيها مياه الأمطار، فقد شجع هذا الواقع الناس على الإستقرار في بعض المواقع التي تتوافر فيها أسباب المعيشة، فأنشأت على طريق

[1]- مطهر علي الأرياني، المرجع السابق، ص 322.
[2]- جواد علي، المرجع السابق، ج5، ص 241.
[3]- نفس المرجع، ص 241- 242.

القوافل عدّة مدن منها مكة والطائف ويثرب وبخاصة مكة نظرًا لأهميتها ودورها البارز في حياة العرب قبل الإسلام وفي عصر الرسالة الإسلامية[1].

1. أصل كلمة مكة ومعانيها:

اختلف الإخباريون في أصل كلمة مكة وتفسيرها، وجاءوا بعدّة روايات نذكر منها:

– سميت مكة لأنها تمك الجبارين أي تذهب نخوتهم[2].

– يقال إنما سميت مكة لأن العرب في الجاهلية كانت تقول لا يتم حجنا حتى نأتي مكان الكعبة فنمك فيه أي نصفر صفير المكاء حول الكعبة، وكانوا يصفرون ويصفقون بأيديهم إذا كانوا بها[3].

– سميت مكة لازدحام الناس بها[4].

– جاء ذكر مدينة مكة في مؤلفات اليونانيين القدماء تحت اسم "مكورابا" هذا الإسم يذكر بلقب ملوك اليمن القدماء في الفترة المبكرة وهو "مكرب" والذي يعني الحاكم الكاهن أي المقرب إلى الإله[5].

– كما جاء ذكرها في القرآن الكريم على أنها بكة وذلك بإبدال الميم باء وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾[6].

– فقد ذكر "ابن هشام" أن بكة اسم لبطن مكة لأنهم يتباكون أي يزدحمون[7].

---

[1]– هاشم يحي الملاح،(الوسيط في تاريخ...)، المرجع السابق، ص 260. وكذلك:
Mouis Lanw. D, ***Mecca and Maccorabg***, 2018, pp, 1-60.-

[2]– الحموي ياقوت، المصدر السابق، ج 5، ص 181.

[3]– نفس المصدر.

[4]– نفس المصدر، ص 181.

[5]– أحمد رحيم هبو، المرجع السابق، ص 220–221. كارل بروكلمان، المرجع السابق، ص 31.وكذلك:
- Rykmans. J, op.cit, p 26.

[6]– سورة آل عمران، الآية 96.

[7]– ابن هشام، المصدر السابق، مج1، ص 133.

- إن اسم مكة مشتق من كلمة المكوك لأنها تقع بين جبلين مرتفعين عليها، وهي في هضبة بمنزلة الملوك[1].

- سميت مكة لأنها مشتقة من امتكّ من قولهم امتكّ الفصيل أخلاق الناقة، إذ جذب جميع ما فيها جذبا شديدًا فلم يبق فيها شيئًا، ولأنها مكان مقدس للعبادة فقد امتكت الناس أي جذبتهم من جميع الأطراف[2].

- فقد ذكر القرآن الكريم مكة بعدّة أسماء منها: البلد الأمين[3]، البيت العتيق[4]، البيت الحرام[5]، أم القرى[6].

2. أهمية موقع مكة:

يعود الفضل في بقاء مكة وتطورها إلى موقعها الجغرافي، فهي مكان تتجمع به القوافل التي ترد من العربية الجنوبية إلى بلاد الشام، أو القادمة من بلاد الشام إلى العربية الجنوبية،ثم ما لبث أهلها أن اقتبسوا من رجال القوافل سر السفر وفائدته، فسافروا على هيأة قوافل تتولى نقل التجارة لأهل مكة وللتجار الآخرين من أهل اليمن ومن أهل بلاد الشام[7].

كان لموقع مكة أثر كبير في توجيهها تجاريا، فقد استفادت من موقعها الاستراتيجي المتوسط بين الشمال والجنوب بأن أصبحت محطة للقوافل ومركزًا للتجارة بين أطراف شبه الجزيرة، كذلك كان موقعها بوادٍ غير ذي زرع وحرمان أهلها من ثروة مياه الأنهار دور كبير في تهيئتها لتلعب دورًا هاما في التجارة دون غيرها من مدن الحجاز الأخرى كالطائف ويثرب[8].

---

[1]- الحموي ياقوت، المصدر السابق، مج5، ص 182.

[2]- نفس المصدر.

[3]- سورة التين، الآية 3.

[4]- سورة الحج، الآية 33.

[5]- سورة المائدة، الآية 97.

[6]- سورة الأنعام، الآية 92.

[7]- جواد علي، المرجع السابق، ج4، ص 6.

[8]- جيهان بنت عبد الرحمان شاه بهاي، **دور مكة في الحياة الاقتصادية قبل الاسلام**، ما بين القرنين الرابع والسابع الميلاديين، رسالة ماجستير في التاريخ القديم، جامعة الملك عبد العزير،2001 م، ص 10.

ضمنت مكة بموقعها الحماية لسكانها فتميزت بذلك عن غيرها من محطات القوافل ومدن التجارة التي تحصنت بالأسوار والحصون لوقايتها من هجمات المغيرين، وكان لوجود عين زمزم في وسطها كمصدر تستخدمه لسد احتياجاتها من المياه، إلى جانب مكانتها الخاصة التي اكتسبتها من وجود الكعبة المشرفة بها، فتعد من العوامل المحورية التي أكسبتها تلك الأهمية[1].

مع بداية القرن السادس الميلادي، كان لمكة أن تحتكر التجارة في بلاد العرب، وأن تسيطر على حركة النقل في الطرق المهمة التي تربط اليمن ببلاد الشام وبلاد الرافدين[2].

3. سكـان مكـة:

يذكر الإخباريون أن العمالقة أقدم القبائل التي نزلت في مكة وحكمتها ثم خلفهم بنو جرهم القحطانية، حيث كانت منازلهم داخل مكة وما حولها[3]، وكان ابراهيم الخليل قد أسكن زوجته هاجر مع ابنه اسماعيل في مكة وبنى البيت العتيق، والبيت يومئذ ربوة حمراء[4]، وفي هذه البقعة قوله تعالى: ﴿رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾[5].

المكان الذي تركهما ابراهيم فيه كان جافًا خاليًا من الماء، فحين اشتد ضمأ هاجر وجوع ابنها اسماعيل ولم تجد طريقة لإطعامه أخذت تنظر إلى الصفاء والمروة وتقول: لو مشيت بين هذين الجبلين تعللت حتى يموت الطفل ولا أراه، فمشيت بينهم سبع مرات فخرج لها جبريل عليه السلام فاتبعته حتى ضرب برجله مكان البئر –يعني زمزم– فاستقت وشربت

---

(1)-Patricia Cronne, ***Mecca trade and the rise of islam*** *Princeton*, university press, 1987, p 134.

(2)– جواد علي، المرجع السابق، ج4، ص 6.

(3)– أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي، **كتاب الأصنام**، تح، أحمد زكي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة،1965 م، ص 8.

(4)– الإمام أبي الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي، **أخبار مكة وما جاء فيها من الأثار**، تح، عبد الملك بن دهيش، ج1،ط1،د.د.ن،2003 م ص 98.

(5)– سورة ابراهيم، الأية 37.

ودّرت على ابنها[1]؛ولما كبر اسماعيل قام بمساعدة أبيه في بناء البيت العتيق (الكعبة) ،وفي هذا قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[2].

تزوج اسماعيل عليه السلام امرأة جرهمية، وبعد وفاته تسلم الإشراف على البيت "الحارث بن مضاض الجرهمي"، واستمرت جرهم تتولى أمور البيت، إلى أن وفدت قبيلة خزاعة من اليمن، ونزلوا في البداية في ظاهر مكة إلى أن أصبحت لهم الغلبة في الداخل، فطردوا الجرهميين من مكة، وكان عمرو بن لحي أول من تولى أمر البيت من خزاعة، ثم كان أول من غير دين ابراهيم، ويذكر أنه استحضر من الشام أصنامًا نصبها حول الكعبة[3].

استمرت خزاعة تتولى أمور مكة، في حين كانت مضر تقيم بظاهر مكة، وقد احتفظت بحق الإجازة للحجاج من عرفة والإفاضة بهم إلى منى غداة النحر، وبعد أن تشعبت مضر وبطون كنانة، تمكن زعيمهم "قصي بن كلاب بن مرة" من بسط سيادته على مكة، وانتزاع ولاية البيت من خزاعة[4]، وإليه ينسب تقسيم قريش إلى طبقتين: قريش البطاح وقريش الظواهر[5].

قريش البطاح: فهم اللذين نزلوا بطحاء مكة (داخلها) وهم سادة القريشيين[6]، نذكر منهم، بنو عبد مناف، وبني عبد الدار، وبني عبد العُزّى بن قصي، وزُهرة ومخروم، وتيم بن مرّة، وجُمع، وسهم، وعدي، وبنو عتيك بن عامر بن لؤي[7].

---

(1)- الأزرقي، المصدر السابق، ج1، ص 99- 100.

(2)- سورة البقرة، الآية 127.

(3)- ابن الكلبي، المصدر السابق، ص 8.

(4)- حلمي محروس اسماعيل، المرجع السابق، ص231 .انظر كذلك: صالح أحمد العلي، المرجع السابق، ص 112.

(5)- أحمد رحيم هبو، المرجع السابق، ص 224.

(6)- نفس المرجع، ص 224.

(7)- المسعودي، المصدر السابق، ج2، ص 46.

قريش الظواهر: والظواهر هي ضواحي مكة، فهم الذين سكنوا خارج مكة وعلى أطرافها وكانوا أقل منزلة من قريش البطاح[1]، وهم: بنو محارب، والحارث بن فهر، وبنو الأدرم بن غالب بن فهر، وبنو هصيص بن عامر بن لؤي[2].

4. التنظيم السياسي في مكة:

بعد أن تولى قصي حكم مكة حوالي منتصف القرن الخامس الميلادي، قام بجمع قريش وجعل لكل بطن حيًا خاصًا به على مقربة من الكعبة، حتى تكون منازل القوم بجوار البيت الحرام، فيدفعون عنه الخطر، ومن ثم فإنه لم يترك بين الكعبة والبيوت التي بنتها بطون قريش إلا بمقدار ما يسمح للناس بالطواف[3].

ويبدو أن قصيًا أراد تنظيم المشاورة بطريقة تجعلها قاعدة ثابتة لإدارة شؤون مكة فقام ببناء دار الندوة[4]، وجعل بابها يؤدي إلى الكعبة، لأن القريشيين كانوا ينتدون فيها فيتحدثون ويتشاورون في حروبهم وأمورهم، ويزوجون من أراد التزويج، فدار الندوة كانت دار للمشورة في السلم والحرب، ودار حكومة يديرها الملأ، أو ما يمكن تسميته بمجلس الشيوخ في المدن الرومانية القديمة، وفيها يتم تجهيز القوافل وتستعد للرحيل، وفي فنائها تحط عند عودتها محملة بالبضائع، كما كان يتم الإعلان عن بلوغ أبناء القبيلة وبناتها سن الرشد[5].

ولم تزودنا المصادر بمعلومات حول كيفية اجتماع رجال الملأ في دار الندوة، ولا الأسلوب الذي تتخذ فيه القرارات، ويبدو أن الاجتماعات كانت تتم بصورة تلقائية وعند الحاجة، أما المناقشات في دار الندوة كانت تتم بحرية تامة، وكان الهدف من كل ذلك الوصول إلى قرارات تنال موافقة الجميع [6].

---

(1)- أحمد رحيم هبو، المرجع السابق، ص 224.

(2)- المسعودي، المصدر السابق، ج2، ص 46.

(3)- محمد بيومي مهران، (دراسات...)، المرجع السابق، ص 406.انظر كذلك: أحمد ابراهيم الشريف، المرجع السابق، ص 117.

(4)- هاشم يحي الملاح، (الوسيط في تاريخ...)، المرجع السابق، ص 270.

(5)- ابن هشام، المصدر السابق ،ج1، ص 144.انظر كذلك: السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 367. توفيق برو، المرجع السابق، ص 175. أحمد ابراهيم الشريف، المرجع السابق، ص 119.

(6)- توفيق برو، المرجع السابق، ص 171.انظر كذلك : هاشم يحي الملاح، (الوسيط في تاريخ...)، المرجع السابق، ص 270.وكذلك:
- Rosenberg Matt, ***Mecca***, Chicago, 2019, p 13.

ويظهر من طبيعة الممارسات السياسية في مكة في عهد قصي بن كلاب أنه في حالة الاختلاف فإن الرأي الراجح هو الرأي الذي يكون إلى جانبه الرئيس[1]، فكان قصي أول بني كعب بن لؤي أصاب مُلكًا أطاع له به قومه، فكان أمره في قومه من قريش في حياته ومن بعد موته، كالدّين المتبع لا يعمل بغيره[2].

ما أقره قصي من نوع الحكم، وإن يكن حضري الطابع في مظهره، إنما هو في جوهره تنظيم قبلي، تكيف تكييفًا خاصًا بحسب ظروف الاستقرار، وبحسب علاقات قريش التجارية الواسعة، واتصالها بالعالم المتحضر[3]، فلفظة حكومة استعملت بالمعنى المجازي، حيث لم يكن للمدن حكومات بالمعنى المفهوم من الحكومة في الزمن الحاضر، أي رئيس مفروض على المدينة بحكم الوراثة أو بحكم القوة، أو رئيس منتخب ينتخبه أبناءِ المدينة أو ساداتها وأشرافها لأجل معلوم أو لأجل غير معلوم[4].

ولم يكن لهذه المدن موظفون كلفوا بأعمال معينة وواجبات محددة عليهم القيام بها، في مقابل أجور تدفع لهم، ولم يكن فيها مؤسسات ثابتة مثل المحاكم والشرطة لضبط الأمن والضرب على أيدي من يخلّون بالأمن ويخرجون على أوامر المجتمع وقوانينه، ولم يكن فيها ما يشبه أعمال الحكومة المعروفة في هذا الزمان [5].

فمكة كانت من أبرز مدن الحجاز في القرن السادس للميلاد، لم تكن ذات حكومة ولم يكن يحكمها ملك ولم يحكمها رئيس، وكذلك كانت (يثرب) و(الطائف) وسائر قرى العربية الغربية، وكل ما كان في مكة أُسَر، يعبر عنها بـ (آل) و(بني)، فقال: (آل عبد المطلب) و(آل عبد شمس) و(آل هاشم)، و(بنو عبد المطلب) و(بنو عبد شمس) و(بنو هاشم) وهكذا تستوطن هذه الأسر شعابًا خصصت بها، وكل (شعب) لمجتمع قائم بنفسه، له ساداته وأشرافه

[1]- هاشم يحي الملاح،(الوسيط في تاريخ...)، المرجع السابق، ص 271.
[2]- ابن هشام، المصدر السابق، ج1، ص 144.
[3]- توفيق برو، المرجع السابق، ص 145.
[4]- جواد علي، المرجع السابق، ج5، ص 245- 246.
[5]- نفس المرجع، ص 246.

وهم وجوه الشعب، وأصحاب الحل والعقد في هذا المجتمع، ويقوم وجوه الشعب بفض ما يحدث من خلاف بين أبناء الشعب، وبالنظر في أمر المخالفين لأعراف الشعب وعاداته، وأحكامهم غير إلزامية ولا تسندها قوة تنفيذية، بل تنفذ بحكم الأعراف والأصول، وبحكم وجاهة هؤلاء الرؤساء ومكانتهم عند الشعب[1].

فالنظام السياسي في مكة لا يعدو كونه اتحاد عشائر وبطون، ارتبط بعضها ببعض في سبيل التعاون لخدمة الكعبة، ولتنظيم تجارة القوافل، يتولى تسيير أمورها نفر من رؤساء العشائر والأغنياء وذوي الجاه والنفوذ، يفصلون في الأمور حسبما يبدو لهم أنه الصواب[2].

5. الوظائف الإدارية في مكة:

إلى جانب دار الندوة فقد عمل قصي على تنظيم أمور مكة، فكانت هناك عدّة وظائف إدارية أهمها: الحجابة والرفادة والسقاية واللواء والقيادة وكانت في أيدي قصي وأولاده، إلى جانب وظائف أخرى أقل أهمية تم توزيعها على بطون قريش الأخرى وهي: الأشناق (الديات) والقبة والأعنه والسفارة والإيسار والمشورة والأموال المحجرة[3].

فكان القائم بالحجابة يمتلك مفاتيح الكعبة، أما الرفادة: فهي إطعام من لم يكن له زاد من الحجاج، وأما السقاية: فهي سقاية الحجاج وذلك لقلة الماء العذب في مكة، أما اللواء: فراية ترفع على رمح علامة للعسكر إذ توجهوا إلى الحرب، أما القيادة: فهي قيادة الجيش عند الحرب، وأما الأشناق: فهي دفع الديات والمغارم وبالنسبة للقبة: فهي خيمة يجتمعون فيها ما يجهزون به الجيش للحرب، أما الأعنة: فهي أعنة الخيل وصاحبها يتولى خيل قريش ويدبر شؤونها في الحرب، أما السفارة: وظيفة القائم بها، أن يتصل بالقبائل الأخرى للمفاوضة أو المنافرة، وأما الإيسار: فهي الأزلام ويشرف صاحبها على السهام التي كانوا يستقسمون بها لمعرفة رأي الآلهة في أمر يستخيرونها فيه، أما المشورة: فصاحبها يستشار في

(1)- جواد علي، المرجع السابق، ج5 ، ص 246.

(2)- توفيق برو، المرجع السابق، ص 176.

(3)- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 367- 368.انظر كذلك: حلمي محروس اسماعيل، المرجع السابق، ص 232. توفيق برو، المرجع السابق، ص 181- 183.

الأمور الهامة ولم تكن قريش تجتمع على أمر حتى تعرضه عليه، أما الأموال المحجرة، فكانوا يسمونها لآلهتهم وفيها النقد والحلي[1].

ولما شاخ قصي جعل لابنه عبد الدار ممارسة المهام التي كان يتولاها (الندوة والحجابة واللواء والرفادة والسقاية)، فلما هلك قصي بن كلاب، أجمع بنو عبد مناف بن قصي، وهم (عبد شمس، وهاشم، والمطلب، ونوفل)، على أن يأخذوا ما بأيدي بني عبد الدار، ورأوا أنهم أولى بذلك منهم لشرفهم عليهم وفضلهم في قومهم، فتفرقت قريش عند ذلك إلى فريقين أحدهما مؤيد لبني عبد الدار، والآخر مؤيد لبني عبد مناف، وأجمع كل من الفريقين على الحرب، ثم تداعو إلى الصلح على أن يعطوا بني عبد مناف السقاية والرفادة، وأن تكون الحجابة واللواء والندوة لبني عبد الدار، وتحاجز الناس عن الحرب، وثبت كل قوم مع من حالفوا وظلوا على هذا النحو حتى ظهور الإسلام[2].

كانت مكة بمثابة دولة مدينة لها نظامها السياسي، وقد عرفت منذ عهد قصي بن كلاب في منتصف القرن الخامس ميلادي مجموعة من المؤسسات السياسية والإدارية كانت فيها دار الندوة أبرز تلك المؤسسات لتأسيس نظام سياسي يدير شؤون مكة، وقد أصبح مجلس الملأ يمثل دار الحكومة.

كما اكتسبت مكانة متميزة لوجود الكعبة، وأصبحت مركز استقطاب واستقرار العديد من القبائل، ونقطة التقاء معظم الطرق التجارية نظرًا لأهمية موقعها الجغرافي.

---

(1)- توفيق برو، المرجع السابق، ص 183.انظر كذلك: أحمد رحيم هبو، المرجع السابق، ص 226- 229. حليمي محروس اسماعيل، المرجع السابق، ص 232. وكذلك:.
- Stewart Desmond, ***Mecca***, N,Y, 1900, p 79.

(2)- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 368- 369.

III. النـظام السياسـي فـي شمال الجزيرة (دولة الغساسنة):

قبل الحديث عن الغساسنة ودولتهم التي أقاموها في بلاد الشام لابد من الإشارة إلى أن بلاد الشام كانت على صلات وثيقة بالجزيرة العربية مما جعل بلاد الشام ومنذ فجر التاريخ مكانًا استقرت به جماعات من القبائل العربية وساهمت في تطور تاريخ بلاد الشام والجزيرة العربية[1].

ورغم قول عدد من الدارسين أن تاريخ الغساسنة غامض إلا أن هناك إجماع بين هؤلاء على أن أصول أسرة الغساسنة إنما هم من عرب الجنوب ذلك أن لغتهم قحطانية عدنانية وأسماءهم شبيهة بأسماء عرب الجنوب مع مؤشرات شمالية، إضافة إلى العادات والدين مما يؤكد على التمازج بين عرب الجنوب وعرب الشمال في ميادين عدّة[2].

لعل سبب الغموض أو الاختلاف، هو قلة المصادر وامتزاج الحقائق فيه بالأساطير إضافة إلى ضياع معظم أثار بني غسّان، واختلاط أخبار آل غسان بالقبائل العربية الأخرى التي سبقتهم إلى بلاد الشام، واعتنقت الديانة المسيحية، وخضعت لحكم الرومان أضف إلى ذلك التشابه الملاحظ في الأسماء بين "حارث" و"منذر" و"نعمان" واختلاط ذلك أيضا بالتشابه والتقارب مع أسماء وملوك المناذرة، ولذلك فالملاحظ عدم اتفاق المصادر العربية مع المصادر اليونانية إلا في القليل من الحقائق التاريخية[3].

---

(1)- نعمان محمود جبران وآخرون، المرجع السابق، ص 204.

(2)- بلقاسم رحماني، المرجع السابق، ج1، ص 234.وكذلك:

-Yasmin Zahran, **ghassan, Ressurected**, NY, p13.

(3)- محمد بيومي مهران، (دراسات...)، المرجع السابق، ص 562- 563.

1. أصــل الغساسنــة:

يرجع أصل الغساسنة إلى قبائل الأزد باليمن، هاجروا من جنوبي الجزيرة العربية إلى بادية الشام بعد حدوث سيل العرم وانهيار سد مأرب[1]، وقد سبب ذلك تدهور نظم الزراعة وأعمال الري في اليمن[2].

وهؤلاء الأزد لم يرحلوا إلى الشام مباشرة، وإنما نزلوا في تهامة بين بلاد الأشعريين وعك، عند نبع ماء يسمى "غسان"، فنسبوا إليه[3]، ويتحدث عن ذلك المسعودي بقوله: "وإنما غسان ماء شربوا منه فسموا بذلك، وهو ما بين زبيد ورمع، وادي الأشعريين بأرض اليمن" ويدعم ذلك بيت من الشعر لشاعر الرسول صلى الله عليه وسلم حسان بن ثابت:

إمّا سألت فإنّا معشر نُجُبٌ ... الأزد نسبتنا والماءُ غَسَّانُ[4]

وكانت هجرة الغساسنة بزعامة عمرو بن عامر "مزيقياء"، وهو ابن ماء السماء بن حارثة الغطريق بن امرئ القيس البطريق بن ثعلبة بن مازن بن الأزد بن الغوث[5].

ويفسر الإخباريون سبب تسمية "عمرو بن عامر" بـ "مزيقياء" بتفاسير منها: قول حمزة الأصفهاني، وتزعم الأزد أن عمرًا إنما سُمِّي "بمزيقياء"، وسمي ولده المزاقية، وقيل في رأي آخر: إنما سمي "بمزيقياء" لأن الأزد تمزقت على عهده كل ممزق، عندما تهدم سيل العرم، فاتخذت العرب افتراق الأزد عن أرض سبأ بسيل العرم مثلاً، فقالو: ذهبت بنو فلان أيدي سبأ[6].

---

(1)- هناك خلاف بين العلماء حول زمن هجرة الغساسنة من اليمن إلى بلاد الشام، صحيح أن الرويات العربية تحدد ذلك بإنهيار سد مأرب، ثم حدوث سيل الهرم، ولكن صحيح كذلك أن سد مأرب، إنما انهار عدّة مرات خلال الفترة الطويلة التي مضت منذ تشييده لأول مرة منتصف القرن السابع قبل الميلاد وربما الثامن كذلك، وبين آخر مرّة أصلح فيها السد في عام 543 م على أيام أبرهة الحبشي، إذ أن هناك عدّة إشارات في النصوص العربية الجنوبية إلى تهدم السد وإصلاحه ومن ثم فلا يعرف على وجه التحديد في أي وقت من هذه الفترة التي ربما تزيد على إثني عشر قرنًا، قد حدثت هذه الهجرة، وأما الروايات العربية فبعضها يذهب إلى أن ذلك إنما كان قبل الإسلام بأربعة قرون، وبعضها يرى أن ذلك إنما كان على أيام الحبشة، وبعضها يرى ذلك في القرن الخامس الميلادي على أيام "حسان بن تبان أسعد" وهناك روايات ترى أن ذلك إنما كان في القرن الرابع الميلادي.أنظر، محمد بيوميمهران، (دراسات...)، المرجع السابق، ص 564- 565.

(2)- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 223.

(3)- نفس المرجع.

(4)- المسعودي، المصدر السابق، ج2، ص 85.

(5)- حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء**، د.د.ت، برلين، 1340هـ، ص 77.

(6)- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 224.

ويعتبر التفسير الأول تفسيرًا خرافيا، ربما قصد به إظهار ثراء عمرو بن عامر وجاهه ويعتبر التفسير الثاني، تفسيرًا مقبولاً[1] لأنه يعتمد على قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾[2].

ويعرف الغساسنة أيضًا بآل جفنة وبأولاد جفنة، لأن أول ملوكهم، جفنة ابن عمرو مزيقياء وينسب الحارث الأول الغساني أحد أمرائهم إلى جفنة، ويدعى الحارث الجفني[3]، وكذلك يسمون بآل ثعلبة نسبة إلى جدهم ثعلبة بن مازن[4].

2. نشـأة دولـة الغساسنـة:

لم يتخذ الغساسنة عاصمة ثابتة لهم، حيث يذكر عدد من المؤرخين أنها كانت في البداية عبارة عن مخيمًا متنقلاً، ثم اتخذوا من "الجابية"[5] الواقعة في منطقة الجَوْلان جنوب غربي دمشق مركزًا لهم، وفي وقت آخر أصبح مقرهم في جِلّق[6] في جنوب حوران[7]، حيث كان هناك قوم يعرفون بالضجاعمة من قبائل بني سليح بن حلوان من قضاعة، قد استقروا هناك، وخضعوا للرومان واعتنقوا النصرانية، ثم اعترف بهم الروم، ووضعتهم تحت حمايتها واتخذتهم أعوانًا لها ضد المناذرة والفرس، وكان ذلك في زمن الإمبراطور "أنستاسيوس" حوالي آخر القرن الخامس الميلادي، ومن ثم كانوا أوّل من شيد مُلكًا للعرب هناك[8].

كانت هذه القبيلة تعمل على فرض النظام على القبائل العربية المقيمة في هذه الديار وتجبي منها ضريبة الخراج لصالح الروم، فكان الضجاعمة من بني سليح، الملوك بالشام قبل قدوم

---

(1)- حلمي محروس اسماعيل، المرجع السابق، ص 364.

(2)- سورة سبأ، آية 19.

(3)- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 224.

(4)- الحموي ياقوت، المصدر السابق، ج5، ص 36.انظر كذلك: المسعودي، المصدر السابق، ج2، ص 85.

(5)- **الجابية**: أصلها في اللغة الحوض الذي يجبي فيه الماء للإبل، وهي قرية من دمشق ،وباب الجابية بدمشق منسوب إلى هذا الموضع. الحموي ياقوت، المصدر السابق، ج2، ص 91.

(6)- **جلق**: تقع على نهر بردى. اسماعيل حلمي محروس، المرجع السابق، ص 365.

(7)- الحموي ياقوت، المصدر السابق، ج5، ص 35.انظر كذلك: محمد بيومي مهران، (دراسات...)، المرجع السابق، ص 564.

(8)- محمد بيومي مهران، (دراسات...)، المرجع السابق، ص 564.

غسان، فأقبلت غسان في جمع عظيم يريدون الشام حتى نزلوا بهم، فقالت سليح لهم: إن أقررتم بالخرج، وإلا قاتلناكم، فأبوا عليهم، فقاتلهم سليح، فهزموا غسان، وقد اضطر الغساسنة إلى الرضوخ لسلطة سليح وأدو لهم الخراج، حتى إذا طال مقامهم في بلاد الشام ووجدوا في أنفسهم القوة على مقاتلة سليح رفضوا أداء الخراج لهم وقاتلوهم وانتصروا عليهم[1].

إذن كانت علاقة الغساسنة بالضجاعمة في بداية الأمر هي علاقة التبعية المقرونة بدفع مبالغ مالية، قادت بعد ذلك إلى حروب بين الطرفين كانت نتائجها النهائية لصالح الغساسنة ففي هذا الوقت (منتصف القرن الثالث للميلاد) كانت روما في صراع مع القوى الداخلية في بلاد الشام وخاصة مع تدهور الأوضاع في عهد الملكة زنوبيا، كما أن روما كانت على علاقات أشد ما تكون من العداوة مع القوة الفارسية[2].

في ظل هذه الظروف جاء الصراع الغساني الضجعمي، والذي يهم روما، بعد أن رأت رجحان كفة الغساسنة هو ليس القوة التي تسود بقدر ما يعنيها تحقيق مصالحها سواء أكان الأمر انتصارًا للغساسنة أو الضجاعمة، أي أن تعمل روما على ابقاء تبعية هذا الجيل من العرب أو ذاك لها بما يحقق أهدافها في مواجهة الخطر الفارسي وضد الغارات البدوية، وعلى ذلك فإن روما وبعد تغلب الغساسنة على أبناء عمومتهم الضجاعمة[3] سارعت إلى التفاهم معهم وعقد تحالف بين الطرفين، تعهّد فيه الرومان بتقديم مساعدة عسكرية قوامها ما بين 30-40 ألف مقاتل إذا حصل صراع بين الغساسنة والعرب الآخرين، وأن يمد الغساسنة الروم بقوة عسكرية تقدر بعشرين ألف لمناصرتهم في حال تعرضهم لخطر الفرس[4].

---

(1)- هاشم يحي الملاح، (الوسيط في تاريخ...)، المرجع السابق، ص 245.

(2)- نعمان محمود جبران وآخرون، المرجع السابق، ص 207.

(3)- Irfan Shahid, ***Ghassan past***, Darwin, press, 1909,p334 .

(4)- نعمان محمود جبران، المرجع السابق، ص 207- 208 .

غير أن تغلب الغساسنة على بني سليح الضجاعمة لم يقضي على هؤلاء نهائيا، فقد بقي الضجاعمة مقيمون في مواضع مختلفة من بلاد الشام، إلى زمن متأخر[1]،حيث أن جماعة من الضجاعمة، حاربوا خالد بن الوليد في دومة الجندل، وفي قصم[(*)][2].

أما ديار الغساسنة (آل جفنة) فكانت حسب الروايات العربية في اليرموك والجولان وغيرهما من ضواحي دمشق، ومنهم من نزل الأردن[3]، فقد شملت حدود دولتهم الجولان، وحوران والبلقان وأحيانًا فينيقيا، إضافة إلى أعراب سوريا وفلسطين[4].

يلاحظ أن الغساسنة لم يسيطروا على المدن الكبيرة كتدمر وبصرى، ودمشق ذلك أن حاميات بيزنطية كانت متمركزة بها، وقد اتخذوا من الصحراء مقرًا لهم إذا داهمهم الخطر لذلك كانت معظم حروبهم تدور على أطراف البادية، وإليها التجأوا عندما رفضوا سلطة الإمبراطور البيزنطي في عهد "النعمان ابن المنذر" لذا أقام الروم عمالاً بجانب ملوك غسان للحفاظ على التوازن السياسي من جهة، وللإبقاء على سلطة الدولة في الأوقات العصيبة وعلى هذا الأساس اتبعت مع الغساسنة سياسة فرق تسد للحفاظ على التوازن السياسي بالمنطقة[5].

3. أبــرز ملـوك الغساسنــة:

اختلف المؤرخون في من كان مؤسس دولة الغساسنة، كما اختلفوا حول عدد ملوكهم وأسمائهم وسني حكمهم، فعند حمزة الأصفهاني (32 ملكًا)[6]، وعند أبي الفدا (31

---

(1)- يقول النابغة:

لَعَمْرِي لَنِعْمَ المَرْءُ من آلِ ضَجْعَمٍ ... نَــزُورُ بِبُصــرى أو بِــبَرْقَــةَ حــارِبِ

فــتًى لَــمْ تَلِـدْهُ بِنْــتُ عَــمٍّ قَرِيــبــةٍ ... فَنَضْوى، وقَدْ يَضْوى سَليلُ الأَقَارِبِ

السيد عبد العزيز سالم،المرجع السابق، ص 225 .

(*)- **قصم**: موضع بالبادية قرب الشام من نواحي العراق، مر به خالد بن الوليد، رضي الله عنه، لما سار من العراق إلى الشام فصالحه به بنو مَشْجعه بن التيْم بن النّمرِ بن وَبَرَة من قضاعة ثم اتى منه إلى تدمر. الحموي ياقوت، المصدر السابق، ج4، ص 365 .

(2)- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 225 .

(3)- المسعودي، المصدر السابق، ج2، ص 86.

(4)- نفس المصدر.

(5)- عبد اللطيف الطيباوي، **محاضرات في تاريخ العرب والإسلام**، ج2 ،د.د.ن، بيروت،1976 م، ص 12.

(6)- حمزة الاصفهاني، المرجع السابق، ص 99.

ملكًا)[1]وعند المسعودي وابن قتيبة (11 ملكًا)[2]، ولا يعرف بشيء من التفصيل سوى تاريخ ملوكهم الأواخر وأهم ملوكهم:

الحارث بن جبلة 528– 569م: وقد عرف بالأعرج، وبالحارث الأكبر، أول أمراء بني جفنة، ويسميه نولدكه بـ "أريتاس Aretas" من الأباطرة الروم الذين عاصرهم جستنيان (527–565م)، ومن أكاسرة الفرس "قباذ" (448–531م) و"كسرى أنو شروان" (531–579م)، ومن أمراء الحيرة المنذر الثالث (521–554م)[3]. وكما يصفه قتيبة[4].

ويذكر المؤرخون نشوب حرب بين الحارث و المنذر الثالث، ربما سبب ذلك انتقال العداوة التي كانت بين الروم والفرس إلى دولتي المناذرة والغساسنة، فقد اشتبكا في عام 528م في حرب كان النصر فيها حليف الحارث الغساني، فمنحه "جستنيان" لقب "ملك" كما بسط سلطانه على قبائل عربية عديدة، فقد جعل منه الروم خصمًا قويًا لأمير الحيرة[5].

تعددت الحروب بين الغساسنة والمناذرة، انعكاسا للصراع الفارسي الرومي، ولعل أشهر المعارك التي جرت بين الطرفين هي تلك المعركة التي عرفت في أخبار العرب بـ "يوم حليمة" ذلك لأن حليمة بنت الحارث كانت تحرض الرجال على القتال، أو لأن أباها قد أعلن أنها سوف تكون زوجة لمن يقتل المنذر[6].

كان الحارث ذا شخصية قوية ومهابة، وعندما زار البلاط البيزنطي (القسطنطينية) 563م كان ظهوره فيها مثار اهتمام كبير في الحاشية ورجال القصر، وترك أثرا عميقًا في نفوسهم بوصفه شيخًا بدويًا مهيبًا[7].

[1]– أبو الفدا، المصدر السابق، ج1، ص 72– 73.

[2]– المسعودي، المصدر السابق، ج2، ص 87.

[3]– محمد بيومي مهران، (دراسات...)، المرجع السابق، ص 567.

[4]– ابن قتيبة، المرجع السابق، ص 355.

[5]– محمد بيومي مهران، (دراسات...)، المرجع السابق، ص 567.

[6]– جاد المولي، المرجع السابق، ص 54– 55.انظر كذلك: عبد الحميد سعد زغلول، المرجع السابق، ص 208. عبد اللطيف الطيباوي، المرجع السابق، ص 13– 14.

[7]– توفيق برو، المرجع السابق، ص 143.

طال حكم الحارث بن جلبة واحدًا وأربعين عامًا (528-569م)، عاصر فيها الإمبراطور البيزنطي (جستنيان) والمنذر الثالث بن النعمان (المنذر بن ماء السماء) ملك الحيرة، وكان كفأً لهذا الأخير وطموحًا مثله، وبدأ حروبه معه منذ العام الأول من حكمه (528م)، ليس فقط كممثلين للدولتين الكبيرتين المتنافستين، دولة الروم ودولة الفرس، ولكن للتنافس كذلك بالسيطرة على المناطق التي أطلقت عليها المصادر البيزنطية اسم ستراتا "Strata" وهي البادية الواقعة جنوبي تدمر[1].

وتذهب الروايات إلى أن الحارث كان مسيحيًا على المذهب المونوفيزتي أي مذهب الطبيعة الواحدة، ويقال أنه سعى لدى الإمبراطورة "تيودورة" في سنتي 542-543م لتعيين يعقوب البرادعي مؤس الكنيسة السورية اليعقوبية ورفيقه "ثيودوروس" أسقفين في المقاطعة العربية السورية[2].

بلغت دولة الغساسنة في عهد الحارث ذروة اتساعها، فقد امتدت من قرب البتراء إلى الرصافة شمال تدمر، واستولت على البلقاء والصفا وحوران، وأصبحت بصرى العاصمة الدينية في المنطقة، مركزًا تجاريًا واستراتيجيًا[3].

المنذر بن الحارث: جاء بعد الحارث، ولده المنذر (569-581م) أو (570-582م)[4] كان يلقب بالمنذر الأكبر تمييزا له عن أخيه المنذر الأصغر[5] وقد نهج نهج أبيه في معاداة اللخميين (المناذرة) أتباع الفرس، وجرت حرب بين الطرفين عند "عين أباغ"[6] كان النصر فيها حليف المنذر الغساني[7].

---

(1)- عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص 159.انظر كذلك: السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 229 .

(2)- نفس المرجع، ص 231.

(3)- توفيق برو، المرجع السابق، ص 143.

(4)- جواد علي، المرجع السابق، ج3، ص 412.

(5)- حلمي محروس اسماعيل، المرجع السابق، ص 368.

(6)- يذكر الحموي ياقوت، أن "**عين آباغ**" ليست بعين ماء وإنما هو واد وراء الأنبار على طريق الفرات إلى الشام. الحموي ياقوت، المصدر السابق، ج4، ص 175.

(7)- أبو الفدا، المصدر السابق، ج1، ص 97.انظر كذلك :ابن خلدون، المصدر السابق،ج2، ص 281.

تدهورت العلاقة بين المنذر بن الحارث وبين الروم، والسبب في ذلك يعود إلى الإختلاف المذهبي، حيث نهج المنذر نهج أبيه في تأييد المذهب "المونوفيزي"[1] المعارض للمذهب الملكاني مذهب الإمبراطورية[2].

كما بدأ الإمبراطور "جستين الثاني" (565-578م) يرتاب من ولاء المنذر السياسي ومن ثم فقد قرر التخلص منه، فتوقفوا عن دفع المال الذي يقدمونه للغساسنة، ولكن المنذر لم يكن غافلاً كما يحدث ويدبر له في بلاط الإمبراطور ففر إلى البادية، وأعلن العصيان على الإمبراطور، مدّة ثلاث سنوات، فانتهز اللخميون "حكام الحيرة" تلك الظروف وأغاروا على سورية وأوقعوا الرعب والفساد فيها، فاضطر الروم إلى مراسلة المنذر واسترضائه وأرسلوا إليه البطريق جستنيان، اجتمع في مدينة الرصافة (578م)، وبعد مفاوضات طويلة قرر المنذر العودة ليقوم بالدفاع عن بلاد الشام[3]، حيث تصدى لحرب المناذرة وانتصر عليهم، وتمكن من بلوغ عاصمتهم الحيرة وأحرقها عام (580م)، وقد زار المنذر وولدان له القسطنطينية في العام نفسه، فاستقبله الإمبراطور "تيبريوس الثاني" بحفاوة كبيرة، وقلدوهم رتبًا عسكرية وكلله بالتاج لم يسبق له مثيل مع ملوك الغساسنة[4]، فلقبه مؤرخوا العرب "المنذر ملك العرب"[5].

لم يمضي على زيارة المنذر بن الحارث للقسطنطينية زمن طويل حتى ساءت العلاقات بين الغساسنة والروم، بسبب ما أحاط بالمنذر من شبهات الخيانة وعدم الولاء[6] خاصة بعد فشل الروم في غزو الفرس بسبب تهدم الجسر المنصوب على الفرات، اتهموا المنذر

---

(1)- **المونوفيزيين**: القائلين بالطبيعة الواحدة، لقولهم أن للمسيح طبيعة واحدة، ، فقيل لهم من أجل ذلك أصحاب الطبيعة الواحدة، وهم مذهب من مذاهب الكنيسة الشرقية، نسبوا إلى "يعقوب البرادعي" المسمى أيضًا "بجيمس" ولد في حوالي 500 م في مدينة الأجمة وتوفي سنة 578 م، وولد في أسرة كهنونية وتتلمذ لـ ساويرس الذي صار رئيسًا على" أنطاكية" في عام 514 م، ثم اضطر إلى مغادرة أنطاكية إلى مصر لاختلافه مع رجال الدين في هذه المدينة في طبيعة المسيح، إذ كان يقول بوجود طبيعة واحدة فيه، وأخذ يعقوب البرادعي رأيه هذا في المسيح. محمد أبراهيم الفيومي،المرجع السابق، ص ص 233- 234.

(2)- محمود عرفة محمود، المرجع السابق، ص 101.

(3)- تيودور نولدكه، **أمراء غسان**، ترجمة جوزي نبدلي وقسطنطين زريق، بيروت،1933 م، ص 26.انظر كذلك: السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 233. حلمي محروس اسماعيل، المرجع السابق، ص 368.

(4)- توفيق برو، المرجع السابق، ص 144.

(5)- محمود عرفة محمود، المرجع السابق، ص 102.

(6)- نفس المرجع، ص 102.

بذلك، وعندما حاول استرضاء الروم أغار على الحيرة وأحرقها ، ثم عاد محملاً بالغنائم الكثيرة، إلا أن الروم اعتبروا نصر المنذر تحديا لهم ورغبة في الخروج عن طاعتهم، ومن ثم فقد انتهزوا فرصة تدشينه لكنيسة "حوّارين" وأرسلوه إلى العاصمة البيزنطية مع إحدى نسائه وبعض بناته وأولاده، حيث بقي هناك إلى غاية أن تولى "موريس" (582–602م) العرش، فأمر بنفيه إلى صقلية عام 582م، وقطع المعونة السنوية لآل جفنة[1].

النعمان بن المنذر: أثار تصرف الإمبراطور البيزنطي غضب أولاد المنذر فشقوا عصا الطاعة على الدولة البيزنطية، فتركوا ديارهم وتحصنوا بالبادية بقيادة النعمان، وجعلوها مركزًا لشن الغارات على المناطق البيزنطية، فأخذوا ينهبون ويخربون، وتعرضت بصرى لغاراتهم وكانت أكبر قاعدة عسكرية بيزنطية في جنوبي بلاد الشام، ما دفع الإمبراطور "موريس" أن يُعد حملة لتأديب أبناء المنذر وجعل على قيادتها الحاكم "ماجنوس"، وألحق بالحملة إبنا آخر للمنذر كان قد أعده ليتولى مقام أبيه ولكن هذا الأمير الغساني توفي بعد أيام[2].

وجد "ماجنوس" صعوبة في مهاجمة أبناء المنذر في البادية، فعمد إلى الحيلة للقضاء عليهم وأرسل إلى النعمان يطلب مقابلته من أجل الاتفاق على عقد الصلح، فظن النعمان أن القائد البيزنطي صادق في دعوته ولم يتفطن للمكيدة، حيث ذهب لمقابلته، وما إن وصل إلى مقر الحاكم البيزنطي حتى ألقي القبض عليه وإرساله أسيرًا إلى القسطنطينية عام 584م[3]وبذلك تصدع ملك الغساسنة، وتفككت وحدّة عرب سورية واختارت كل قبيلة أميرًا عليها وبدأت القبائل تتطاحن فيما بينها بعد أن فقدت زعيمها وملكها، وبدأت تغير على المناطق المتحضرة في سورية، الأمر الذي دفع الروم إلى ضرورة إقامة أمير جديد للغساسنة[4].

---

(1)- تيودور نولدكه، المرجع السابق، ص 30–31.انظر كذلك: فليب حتي، المرجع السابق، ص 449. محمد بيومي مهران، (دراسات...)، المرجع السابق، ص 574.

(2)- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 235.انظر كذلك: محمد سهيل طقوس، المرجع السابق، ص 419.وكذلك:

-Irfan Shahid, ***Byzatium and the arabs in six century***, vol 2, part 2, 2003, pp260 - 261.

(3)- محمود عرفة محمود، المرجع السابق، ص 103.

(4)- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 103.

ويختلف الإخباريون العرب في ذكر أسماء أمراء غسان بعد المنذر، اختلافًا كبيرًا، لكن مما لا شك فيه أن من تولى إمارة الغساسنة بعد المنذر كانوا ضعافًا وأن مدة حكمهم كانت قصيرة[1].

جبلة بن الأيهم: لقد أجمع الإخباريون أن جبلة بن الأيهم كان آخر ملوك البيت الغساني الذي استعان به الرّوم بعد استردادهم السيطرة على بلاد الشام، وأنه وقف مع الروم في واقعة اليرموك سنة 636 م[2].

ويبدو مما تقدم أن ملوك الغساسنة لم يكونوا يرغبون في العيش في مدينة محصنة ذات أبنية وقصور على عادّة ملوك الحضر، وإنما كانوا يفضلون التنقل والعيش في مخيمات عسكرية على طريقة أهل البادية، لأن ذلك يعطيهم حرية الحركة وينسجم مع الطابع العسكري لدولتهم، لذلك فإن نودلكة يشكك في صحة ما نسبه إليهم حمزة الأصفهاني من قصور وعمائر ويقول: إننا لا نرى قط إشارة إلى أن الغساسنة كانوا يمتلكون أيًا من الأماكن المحصنة أو من المدن التي كانت مراكز للجيش كدمشق وبصرى أو كتدمر...[3].

4. نــظام الحكـم:

كان نظام الحكم عند الغساسنة فرديا وراثيا، ويبدو أن الدول الكبرى، التي كانت تتبعها هذه الإمارات، لم تتدخل في هذا النظام الوراثي، ولعل السبب في ذلك هو أن هذا النظام كان يمثل بالنسبة لها شيئاً من الاستقرار الذي تنشده على حدودها، وحتى حين كانت تشك في نوايا أو تصرفات أحد هؤلاء الحكام كانت تبقي على نظام الوراثة كما هو، ولكنها تتخذ الإجراء الذي تراه مناسبا للمحافظة على مصالحها، ومن أمثلة ذلك ما حدث حين لم ترتح الإمبراطورية البيزنطية إلى بعض تصرفات المنذر الرابع وابنه النعمان،

(1)- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 103.

(2)- محمود عرفة محمود، المرجع السابق، ص 104.

(3)- هاشم يحي الملاح،(الوسيط في تاريخ...)، المرجع السابق، ص 258. وكذلك: -Hoberman, Barry, ***the king of ghassan***, 2012,p19.

فأخذ الأول سجينا إلى القسطنطنية ثم سجن بعد ذلك في صقلية، بينما نفي الثاني إلى القسطنطنية[1].

ولم يعثر المؤرخون على نصوص تفيد بوجود قواعد يقوم عليها نظام الحكم غير أنه يمكن الاستنباط من بعض روايات أهل الأخبار أن ملوك الغساسنة كانوا ملوكاً غلب على حكمهم الاستبداد بالرأي، إذ لم يعملوا برأي أحد، ولم يأخذوا بمشورة مستشار إلا إذا كانت المشورة موافقة لهواهم، ومن شخص قريب منهم ،وله أثر فعلي عليهم؛ كما يستنبط من هذه الروايات أيضا أن المقربين من الملوك، لم يكونوا مخلصين لهم في تقديم النصيحة، بل كانوا يبتغون من ورائها الحصول على منفعة وفائدة، أو ضررا يلحق بأعدائهم، وبالقبائل المعادية لقبائلهم في كثير من الأحيان، فبعض الملوك، كانوا قد تأثروا بأرائهم فعملوا بها، فأوجدت لهم مشكلات خطيرة كان الملوك في غنى عنها[2].

لقد تبين لنا من خلال عرضنا لنماذج من الأنظمة السياسية التي ظهرت في المنطقة مدى أهمية إعادة النظر في التاريخ السياسي العربي القديم، حيث أمدتنا المصادر المختلفة بمادة ثرية أثبتت أن إنسان المنطقة حقق تطورا سياسيا واضحا مكنه من إدارة شؤونه بهياكل ونظم تشريعية متطورة، ودولة سبأ تعد من أبرز نماذج نجاح عرب الجنوب ولهم السبق السياسي في الكثير من المجالات، في حين كان للمكيين تنظيم سياسي معبر عن مدى نضج المجتمع المكي محافظا على تقاليده المتوارثة عبر العصور، في حين يعبر الوجود السياسي للغساسنة ذو الأصول الجنوبية عن مدى انتشار التأثير الحضاري السياسي الجنوبي نحو الشمال عقب أفول حضارة الجنوبيين بفعل عوامل عديدة، حيث تمكن الغساسيون وفي ظرف وجيز من تأسيس دولة أصبح لها تميزها الحضاري، وكذا حضورها السياسي، وتأثيرها في جوارها الجغرافي، كذلك شكلت هذه النماذج المختارة دليلا على مدى التقدم الفكري والسياسي الذي شهدته المنطقة في هذه الفترة القديمة.

[1]- لطفي عبد الوهاب يحي، المرجع السابق، ص 363.

[2]- جواد علي، المرجع السابق، ج5، ص 233- 234.

الفصل الســادس:

تطـور أنظمـة الحكـم وميـلاد الفكـر السياسـي العربـي القديـم

I. قـراءة فـي تطـور أنظمـة الحكـم في شبـه الجزيـرة العربيـة:

1. العوامـل المساعـدة في التطـور

2. مميـزات تطـور أنظمـة الحكـم فـي شبـه الجزيـرة العربيـة

II. القبيلـة ودورهـا فـي نشوء وتطـور النـظام السياسـي العربـي القديـم

III. ميـلاد الفكـر السياسـي العربـي القديــم

تعد منطقة شبه الجزيرة العربية من الحضارة الأصيلة التي أثرت وتأثرت، وارتبط ظهورها وتطورها بعوامل النشأة والتكوين لاسيما أشكال الحكم ونظمه وتطوره، فقد ارتبط تاريخ شبه الجزيرة العربية وكيانها السياسي في العصور القديمة بالعامل الجغرافي والاقتصادي والاجتماعي والديني، التي كان لها الدور الفعال في تطور نظم الحكم المعمول بها.

كما أن تطور النظام السياسي مرتبط بما يصدر عن الإنسان من أفكار ونظريات ووجهات نظر تتعلق بعالم السياسة وظواهره وقضاياه، واستخلاص الطرق والظروف الملائمة لسيرورة حياتهم على صعيد العلاقات فيما بينهم.

فالنظرية السياسية تقوم على عدة أسس، تتمثل في العلاقات الإنسانية التي تحكمها أشكالا من التنظيم السياسي على مر العصور التاريخية لبناء أسس الدولة، وقيام أشكال من الحكومات، وتعد الوحدة الاجتماعية والاقتصادية الأساس في بلورة النظرية السياسية، ذلك أن الحاجة إلى بناء كيان جماعي يتطلب من الفرد أن ينصهر في بوتقة اتحاد طوعي أو غير طوعي مع الآخرين، كما أن الشعور الفطري بأهمية وجود كيانات قد أصبح من المسلمات الضرورية لبقاء حياة أفراد المجتمعات البشرية ضمن نسق فاعل من الاستمرارية.

وهكذا فإن أو نظام سياسي جمع الأفراد تحت كيان سياسي واحد هو القبيلة كأقدم تكوين اجتماعي واقتصادي قائم على عادات وأعراف وتقاليد خاصة بكل واحدة منها، بحكم العلاقات الاقتصادية والاجتماعية القائمة بين أفرادها.

I. قراءة في تطور أنظمة الحكم في شبه الجزيرة العربية:

1. العوامل المساعدة في التطور:

أ. **العوامل الاقتصادية:** كان لتطور أنظمة الحكم في شبه الجزيرة العربية عدّة عوامل ساعدت في ذلك، ويمكن القول أن دول وإمارات ومدن شبه الجزيرة العربية لم تكن لتتطور في أنظمتها لولا توافر هذه العوامل.

لقد كان لتنوع الطبيعة التضاريسية والمناخية في شبه الجزيرة العربية الأثر الكبير في انقسام سكان هذه البلاد إلى قسمين "بدو" و"حضر" فأما "البدو" فقد أطلق عليهم "الوبر" وكانوا يعيشون من ألبان الإبل ولحومها منتجعين منابت الكلأ والماء[1]،وأما الحضر فقد أطلق عليهم أهل "المدر" وسموا بهذا الاسم لأن منازلهم مبنية من "المدر" وهي قطع الطين اليابس وقد استقروا في القرى والمدن[2].

كما أن موقع شبه الجزيرة العربية، ولا سيما إحاطتها بالبحار من جهات ثلاث (الشرق والغرب والجنوب)، من أحد العوامل التي أدت إلى تكوين المجتمع وتطوره ونشوء الحضارة، فهي حلقة وصل ومنطقة العبور على مر العصور التاريخية في العالم القديم[3].

وبفضل الموقع المتوسط لشبه الجزيرة العربية قد يسر لبعض سكانها أن يشاركوا في نقل المتاجر المناسبة، لاسيما منتجات البخور واللبان والصموغ والمر من الجنوب العربي[4].

فقد كان للطبيعة الجغرافية الأثر في تحديد النشاطات الاقتصادية في مختلف أقسام شبه الجزيرة العربية، حيث يعد العامل الاقتصادية من أهم العوامل التي ترسم طريق السياسة للقبائل العربية، ففي الجنوب والشمال حيث المناخ المناسب وتوافر كمية المياه، فقد مارس سكان المنطقة الأعمال الزراعية، وبالتالي فأول نشاط اقتصادي يزاوله السكان هو الزراعة فمنذ الألف الأول قبل الميلاد بلغت الزراعة أوج تطورها حيث انتشرت زراعة الحبوب وأشجار النخيل والحدائق المثمرة، وخاصة أشجار المر واللبان التي كان لها الأثر الكبير في تطور اقتصاد المنطقة[5].

بفضل العوامل الطبيعية والبشرية، ظهرت دول وإمارات عدّة على فترات مختلفة في مناطق متفرقة من شبه الجزيرة، فتميزت في الجنوب العربي خمس دول كبيرة وهي: سبأ وقتبان

---

(1)- جواد علي، المرجع السابق، ج4، ص 271.

(2)- نفس المرجع، ص 271- 272.

(3)- محمد عبد القادر بافقية، المرجع السابق، ص 17.انظر كذلك: الحمد جواد مطر، المرجع السابق، ص 47.

(4)- عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص 24.

(5)- محمد عبد الله عبد الرحمان بحري، **تطور نظم الحكم في الجزيرة العربية منذ بداية العصور التاريخية حتى القرن الثالث** (ق.م)، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الآداب، جامعة الاسكندرية، 2006 م، ص 22.

وأوسان ومعين وحضرموت، وقد تعاصر بعضها على بعض، وتعاقب بعضها إثر بعض وانتفعت هذه الدول بما اتصفت به بيئاتها من الوفرة النسبية في الأمطار والوديان والأنهار[1].

كما توزعت مناطق العمران والاستقرار والحضارة في المناطق الشمالية على أسس مشابهة لمناطق الجنوب، فتركزت في الوديان وحول موارد المياه في مناطق الواحات والفرّات وحول الخلجان والموانئ على السواحل البحرية، وهكذا ظهرت مع توالي العصور إمارات مدين وعاد وثمود وممالك دومة الجندل، وقيدار، وتيماء وددان ولحيان والأنباط[2].

كما عرفت شبه الجزيرة العربية تجمعات قبلية في قلب الصحراء من البدو سكنوا بعض مدن الحجاز (مكة ويثرب والطائف) ولزموا حياة الاستقرار فيها ومارسوا الزراعة والتجارة التي تيسرت لهم بسبب خصب الأرض في بعض الأماكن وملاءمة الموقع الجغرافي للحياة التجارية، غير أنهم مع ذلك حافظوا على تقاليدهم القبلية[3].

وقد تمكن عرب الجنوب ببراعتهم من تأسيس حضارة زراعية، فقد عرفوا عدّة أنواع من المعاملات والنظم الزراعية، منها الملكيات الفردية للأراضي، ونظام الملكية العامة للقرية والشعب والدولة والمعبد[4].

ويظهر اهتمام عرب الجنوب بهذا المورد الاقتصادي من تنظيمهم للأمور المتعلقة بها من خلال التشريعات الصادرة، سواء في تحديد ملكيات الأراضي وبيان حدودها، أو في المعاملات الزراعية، أو في تنظيم حقوق الري وفي فرض الضرائب الزراعية[5].

كما اشتهرت دول وممالك جنوب شبه الجزيرة العربية بنشاط تجاري رفيع، إذ كانت التجارة تعد من أشرف المهن قدرًا ومنزلة عند أهل اليمن فاشتغل بها الملوك ورجال الدين

---

(1)- توفيق برو، المرجع السابق، ص 237.انظر كذلك: محمد عبد القادر بافقيه، المرجع السابق، ص 17.

(2)- عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص 25.

(3)- توفيق برو، المرجع السابق، ص 235.

(4)- نورة عبد الله علي النعيم، (التشريعات...)، المرجع السابق، ص 422.

(5)- نفس المرجع.

والسادة والأقيال، وقد ساعد موقعها على أن تحتل مكانة ممتازة في عالم التجارة، حيث كان اقتصادها يقوم أساسا على التجارة الدولية[1].

فقد ضمن موقع "مأرب" الجغرافي أهمية استراتيجية جعلها تتحكم بالطرق الرئيسية للتجارة، كما ساهم موقع معين في ازدهار تجارتها، ذلك أن موقعها في الطرف الشمالي من اليمن أعطاها دورًا هامًا، فهي تتواجد في منطقة وصفت بغنى إنتاجها الزراعي وتعدد أنواع الزراعات التي كانت تنتج موادًا ساهمت في تلبية حاجاتها الداخلية، كما ساهمت في غنى تجارتها، فمناطقها من الأراضي المنتجة للطيوب[2].

وقد استفاد القتبانيون من موقع بلادهم بالقرب من باب المندب ومجاورتهم لحضرموت التي كانت تنتج أجود أنواع الطيب والبخور، فاشتغلوا بالتجارة خاصة في هذه الأصناف وحققوا أرباحًا ضخمة[3].

مارس سكان جنوب شبه الجزيرة العربية التجارة، لتوافر مواد كان الطلب عليها كبيرًا في العالم القديم كالمر واللبان وغيرها من المواد العطرية التي وصلت شهرتها أرجاء العالم آنذاك، وقد أولت دول الجنوب اهتمامًا كبيرًا لهذا المورد، فشقوا الطرق، وأقاموا القلاع والحصون والأسوار لحمايتها، وتسهيل مرورها، كما أصدرت تلك الحكومات عدّة أوامر وتشريعات لتنظيم شؤون التجارة وتحديد ضرائبها[4].

فلم تكن التجارة في جنوب شبه الجزيرة العربية مثل نظيرتها في الشمال مجرد تجارة عبور تعتمد على بقاء الخطوط التجارية وتختل إذا أصاب هذه الخطوط أي تغيير أو تعديل في مسارها وإنما هي تجارة أصيلة، الجزء الأكبر من مقوماتها أو مواردها الأولية موجودة في البلاد فعلاً

[1]- الحمد جواد مطر، المرجع السابق، ص 422.

[2]- عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص 83.

[3]- اسماعيل حلمي محروس، المرجع السابق، ص 197.انظر كذلك: محمد سهيل طقوس، المرجع السابق، ص 293. صالح أحمد علي، المرجع السابق، ص 19.

[4]- نورة عبد الله علي النعيم، (التشريعات...)، المرجع السابق، ص 95.

كما أن موقعها عند ملتقى البحر الأحمر والمحيط الهندي يعطيها ميزة مضاعفة في مجال الخطوط التجارية، فالخطان البري والبحري موجودان، وإذا قوي أحدهما على حساب الآخر فإن هذا لا يدفع بها إلى خارج الصورة، وإنما تظل منتفعة في كل الأحوال[1].

كما عرف جنوب شبه الجزيرة العربية الصناعة وبرع في العديد منها: مثل صناعة الحديد واستخراج المعادن، والصناعات الخشبية والجلدية وصناعة المنتوجات والعطور[2].

أما شمال شبه الجزيرة العربية فقد عرف عدّة مناطق زراعية خصبة وكان لديهم أنظمة وقوانين تختص بالأراضي والثمار، لتحديد حقوق المزارع وما عليه من ضرائب للدولة وعشور للمعبد[3].

وبالنسبة للتجارة فقد كانت حجر الزاوية التي قامت عليه دولة الأنباط، وذلك لأن بلادهم تقع على طريق التجارة الدولية التي تربط الشرق بالغرب، فكانت تجارة الهند المتجهة إلى البحر الأبيض المتوسط تمر ببلادهم، ومنها إلى غزة أو غيره من موانئ البحر الأبيض المتوسط[4].

وقد نشأت مدينة بترا كمحطة للطرق التجارية، فلا عجب أن تكون التجارة، وخدمة القوافل، العمل الرئيسي للأنباط والأساس الذي قامت عليه مدينتهم، فقد مد الأنباط نفوذهم إلى ما يجاورهم من البلاد والمدن، فحصنوها وأقاموا فيها حاميات للقوافل وأماكن لاستغلال المناجم، وأصبحت مدينتهم في القرن الأول قبل الميلاد المدينة الرئيسية للقوافل وسوقًا عظيما، فسيطرت على طرق غزّة وبصرى ودمشق وأيلة، وقد حفروا الآبار، وأقاموا مشاريع المياه، وحولوا بعض المناطق الصحراوية إلى أراضي زراعية[5].

---

(1)- لطفي عبد الوهاب يحي، المرجع السابق، ص 255.

(2)- جواد علي، المرجع السابق، ج7، ص 511.

(3)- محمد عبد الله عبد الرحمان بحري، المرجع السابق، ص 8.

(4)- هاشم يحي الملاح، (الوسيط في تاريخ...)، المرجع السابق، ص 128.

(5)- صالح أحمد العلي، المرجع السابق، ص 42.

وكانت خدمة القوافل تتطلب كثيرًا من الخدمات لأصحاب القوافل من طعام ولباس وسكن وغير ذلك، فنشأت بعض الحرف في بترا وغيرها من مدن الأنباط لتلبية هذه الخدمات كالحدادة والتجارة والتعامل بالمنسوجات، كما تطلب التعامل مع أصحاب القوافل نشاط المعاملات التجارية من بيع وشراء وإقراض وصيرفة وغيرها[1].

لم يكن عمل الأنباط خدمة القوافل التجارية فقط، بل كانوا يمارسون التجارة على نطاق واسع، وكانت أهم البضائع التي يتاجرون بها البخور من اليمن والحرير من الصين والحناء من عسقلان، والزجاج وصبغ الأرجوان من صيدا وصور واللؤلؤ من الخليج العربي والخزف من روما، هذا بجانب ما كانت تنتجه بلادهم من الذهب والفضة والقار وبيت السمسم[2].

كما يلاحظ أن بترا كانت مركزا صناعيا فضلا على أنها كانت مركزا تجاريا، ومن أبرز الصناعات، صناعة القناديل التي يتجلى فيها التنويع والتساوق في الحجم وحسن الزخرفة والأشكال[3].

وقد استفاد سكان تدمر من موقع مدينتهم على طريق التجارة الدولية بين المشرق والمغرب، وشحة الموارد الطبيعية فيها جعلها تعتمد في حياتها بصورة أساس على التجارة[4].

فالتجارة تمثل النشاط الأول لأهل تدمر، فاتصلوا بأسواق العراق وإيران، والهند والخليج العربي والحجاز واليمن، فضلاً عن أسواق الشام ومصر ودول البحر المتوسط، وبعد سقوط دولة الأنباط انتقل مركز النشاط التجاري إلى تدمر[5].

فالنشاط التجاري لدى سكان شمال الجزيرة العربية، كان من أهم الموارد التي شكلت دورًا أساسيًا في صياغة الحياة الاقتصادية لديهم بمالها من تداخلات أخرى (اجتماعية وسياسية

[1]- هاشم يحي الملاح، (الوسيط في تاريخ...)، المرجع السابق، ص 128.انظر كذلك: صالح أحمد العلي، المرجع السابق، ص 42.

[2]- صالح أحمد العلي، المرجع السابق، ص 43.

[3]- إحسان عباس، المرجع السابق، ص 112.

[4]- هاشم يحي الملاح، (الوسيط في تاريخ...)، المرجع السابق، ص 173.

[5]- محمد عبد الله عبد الرحمان بحري، المرجع السابق، ص 12.

ودينية)، ويضاف إلى هذا الموارد مقومان رئيسيان، أحدهما الطيوب والتوابل التي تنبت في جنوب الجزيرة العربية لتجد طريقها برا وبحرًا إلى مصر وسورية وبلاد الإغريق ومن بعدهم الرومان، بينما كان المقوم الأخر هو الموقع الأوسط الذي تحتله الجزيرة العربية بصفة عامة وشمالها بصفة خاصة، بين الشرق والغرب لتمر بها الخطوط لتجارية التي تربط بينهما[1].

وتعتبر بلاد الحجاز من المناطق الهامة في شبه جزيرة العرب من الناحيتين الاقتصادية والدينية، أما من الناحية الاقتصادية، فقد كان يشقها شريان رئيسي من شرايين التجارة العالمية، تتفرع منه شرايين تتجه صوب الشرق والشمال الشرقي، وفي موازاته شريان رئيسي آخر هو البحر الأحمر الموصل إلى الهند، ولذلك أصبح الحجاز جسرا يربط بلاد الشام وحوض البحر المتوسط باليمن والحبشة والصومال والسواحل المطلة على المحيط الهندي، وكان لذلك أعظم الأثر في قيام مدن تجارية بالحجاز، تعتبر محطات تجارية مثل مكة على الطريق البري وثغور تجارية بحرية مثل ثغر الشعيبة مرفأ مكة القديم[2].

ويلاحظ من خلال النقوش الكتابية القديمة التي عثر عليها في أعالي الحجاز، وترجع إلى ما قبل الميلاد، أن بلاد الحجاز الشمالية كانت تابعة للمعنيين ثم للسبئيين، وفي فترات لاحقة أخذ الأنباط يفرضون سلطانهم على شمال الحجاز، ويدل على ذلك العثور على كتابات نبطية في العلا ومدائن صالح ترجع إلى القرن الأول قبل الميلاد[3].

وقد كان الدافع الرئيسي لاستقرار المعينيين ومن بعدهم السبئيين والأنباط في عصور تالية، بهدف السيطرة والإشراف على الممالك التجارية التي كانت تخترق بلاد الحجاز، ولذا يمكن القول بأن التجارة كانت عصب الحياة الاقتصادية عند مجتمعات وسط الجزيرة العربية ونتيجة لاهتمام عرب الجنوب بالتجارة، أقاموا في كل واحة من الواحات المهمة على طول

[1]- محمد عبد الله عبد الرحمان بحري، المرجع السابق، ص 13.
[2]- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 341.
[3]- نفس المرجع، ص 342.

طريق البخور جالية من عرب الجنوب، والجالية تتألف من الأوساط التجارية في تلك الواحات وكان يقيم مع هذه الجالية رئيس يسمى (كبير)، مهمته الإشراف والمراقبة[1].

فبرزت مكة برغم طبيعة أرضها الجرداء الخالية من الزرع والأنهار والماء، ونشطت فيها قبيلة قريش نشاطًا ملحوظا في التجارة الداخلية والخارجية، وأصبحت التجارة تؤثر تأثيرًا ملحوظًا في تحديد الاتجاه الذي كان يتخذه التطور الاجتماعي والاقتصادي والسياسي[2].

أما الأسباب التي كانت وراء بروز حاضرة وضعتها الطبيعية في أرض جرداء خالية من الزرع والأنهار، وعدم بروز غيرها كيثرب مثلا، وهي أرض توفر فيها الماء والنبات، أو الطائف ذات الأرض الخصبة والمناخ المعتدل، وتبوأ مكة مركز الزعامة في التجارة، وهو قربها من اليمن محور التجارة، فأسهم هذا الموقع في جعل التجارة الخيار الوحيد لمكة في المجابهة مع الطبيعة القاسية، واتسمت الشخصية التاريخية الاقتصادية لمكة بصورة التاجر المتفوق الذي سخر كافة الإمكانات والمرافق بما فيها الكعبة في سبل مصالحها الاقتصادية[3].

ب. **العوامل الاجتماعية**: اعتمد المجتمع العربي في تركيبته على المفهوم القبلي، وتعد صلة الدم أو النسب هي العامل الجوهري في الانتماء لهذا المجتمع الذي هو مجموعة من القبائل العربية المنتشرة على أرض الجزيرة العربية في صحرائها وحواضرها، وكلها في بنيتها الأساسية الاجتماعية متشابهة إن لم تكن متماثلة، حيث مثلت تلك القيم والأفكار القبلية التي سادت عصر قبل الإسلام بفعل عوامل كثيرة، أسس النظام الاجتماعي لدى عرب الجزيرة بقسميهم البدوي والحضري رغم اختلافهم أحيانًا تبعًا لتلك العوامل[4].

---

(1)- محمد عبد الله عبد الرحمان بحري، المرجع السابق، ص 14.

(2)- شكران خربوطلي، **سطور منسية في تاريخ الحجاز (الحياة الاجتماعية في الحجاز قبل ظهور الإسلام)**، دار مؤسسة رسلان للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، 2011، ص 45.

(3)- نفس المرجع، ص 47- 48.

(4)- صلاح عباس حسن السوداني، **الحياة الاجتماعية في الحجاز قبل الإسلام**، ط1، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، 2016، ص 67.

فالبدايات التاريخية الأولى لعرب الجزيرة العربية نشأت حول المنظومة القبلية، باعتبار أن القبيلة كانت تمثل الوحدة الاجتماعية والسياسية، فهي كيانًا سياسيًا قائمًا بذاته[1].

فقد أخذت القبائل العربية تتحد وتتكتل في هيئة مجموعات موحدة أدت إلى حدوث نوع من التكوين القبلي التي ينتظم فيها عدد من القبائل تحت رئاسة أو زعامة واحدة[2].

لذا نستطيع أن نتصور في القبائل البذرة الأولى لتكوين الدولة، وأن أقوى هذه القبائل هي التي تصبح المحور الذي تدور حوله القبائل الأخرى، والمركز الذي تتركز فيه القوى الإدارية والاقتصادية والسياسية وجميعها تكون الدولة[3].

ففي جنوب شبه الجزيرة العربية ظهرت التحالفات القبلية الكبيرة، وظهرت التجمعات التي تضم أفرادًا من قبائل متعددة، كما تضم طوائف وفئات رسمت لها حدود معينة وحددت بحدود وقيود، فلا تتجاوزها، بحيث تميز المجتمع العربي الجنوبي بأنه مجتمعًا طبقيا، يتمتع فيه الملوك ومن يأتي بعدهم، من حكام وأصحاب معابد وأراضي، بأعلى المنازل، ثم تليهم بقية الطبقات الأخرى، وعلى كل طبقة أو جماعة أن تعيش في الحدود المرسومة لها وتأتمر بالأوامر التي يقيدها بها المجتمع، كما أن هذا النظام كان يحدد مكانة كل هيئة من المجتمع والدولة[4].

ولا شك في أن البيئة الجغرافية، لها أثر كبير، وذلك لأن الإنسان يأخذ مادة حضارته مما حوله، والظروف الطبيعية التي تحيط به، لها أعظم الأثر في حفز همته إلى العمل والإنشاء والابتكار، فالوسط الجغرافي شرط ضروري لنشاط الإنسان، وبوسع الوسط الجغرافي أن يؤثر في تطور المجتمع تأثيرًا مزدوجًا: فالظروف الطبيعية الملائمة تساعد على تطور المجتمع أما الظروف الطبيعية غير الملائمة فتؤثر تأثيرًا سلبيا على التطور الإجتماعي، وفي هذا السياق يجب أن لا نكتفي بعلاقات الإنسان بالطبيعة وحسب ولا بد من علاقات البشر بين بعضهم البعض لإنتاج حاجياتهم من الطبيعة[5].

(1)- محمد عبد الله عبد الرحمان بحري، المرجع السابق، ص 43.

(2)- لطفي عبد الوهاب يحي، المرجع السابق، ص 343- 344.

(3)- ديتلف نيلسن ، المرجع السابق، ص 129.

(4)-جواد علي، المرجع السابق، ج5، ص 178.انظر كذلك: رود كاناكيس، المرجع السابق، ص 124.

(5)- عبد الرحمان عمر عبد الرحمان السقاف، **تطور الحياة الفكرية لليمنيين القدماء**، أطروحة دكتوراه، جامعة صنعاء، كلية الآداب، قسم التاريخ، 2007، ص 24.

فعندما يبرز الشعب لأسباب سياسية واقتصادية، أو لقوة عسكرية ويحرز هيمنة على مجموعة من الشعوب المجاورة، هذا بدوره يؤدي إلى نشوء تجمع اجتماعي سياسي جديد على أساس ذلك الاتحاد، بعد أن يتوفر لذلك المنشآت الأساسية كالمعبد والقصر ومصدر المياه[1].

وهناك أراء عدّة في نشوء الحكم في جنوب شبه الجزيرة العربية:

الرأي الأول: أن سكان جنوب شبه الجزيرة أخذوا يسخرون الطبيعة لصالحهم، واحسنوا استخدام موقع بلادهم لمصالحهم الاقتصادية، فأصبحت الزراعة والتجارة العمود الفقري للحياة الاقتصادية والاجتماعية، وهذا تطلب وجود سلطة تنظيمية، فبدأ ظهور حاكم سياسي له ممتلكات واسعة وثروات طائلة، فهو أبرز الملاك والتجار، فظهرت المملكة لتحمي مصالح الطبقة السائدة.

الرأي الثاني: أن أهل اليمن نظموا أنفسهم منذ وقت مبكر في شكل من أشكال التنظيم القبلي فظهر شيخ القبيلة ويلقب بـ (ذو) أي صاحب الملك أو القصر ومن مجموع القصور يشكل (المحافد)، ويتولى شؤون المحافد شخص يسمى (قيل) ويطلق على مجموع المحافد (القرى)، والمزارع (مخلاف)، وكانت هذه المحافد في صراع فيما بينها لتحقيق أطماعها، وكانت هذه القبائل متفرقة فتعلن القبيلة القوية والمتحالفة مع القبائل الأخرى حاكما على بقية القبائل بدعم من قبيلته، وكانت تلك القبائل بحاجة إلى تنظيم سياسي فنشأت في اليمن عدد من الدول على أسس قبلية مثل سبأ ومعين وقتبان وأوسان.

الرأي الثالث: يتمثل بالجانب الديني بما له من تأثير في القبائل والأفراد فكل قبيلة لها ألهتها الخاصة بها لذلك كان للكهنة المكانة الأولى في تسيير شؤون القبيلة من الناحية الدينية والسياسية فتبوأ الكهنة الحكم إلى أن تحول الحكم من النظام الديني إلى النظام الدنيوي[2].

---

(1)- محمد عبد الله عبد الرحمان بحري، المرجع السابق، ص 53.

(2)- ماجد طلال حسن هاشم التميمي، **الفكر السياسي للممالك اليمنية القديمة حتى نهاية مملكة حمير**، ط1، دار كلكامش للطباعة والنشر، 2019 م، ص 44- 45.

لقد ارتبط ظهور مملكة سبأ ككيان سياسي في جنوب الجزيرة العربية بالجانب الاجتماعي (البنية القبلية)، فقد تألفت الوحدة الاجتماعية في تلك المملكة من عدّة أسر (بيوت) تؤلف نظامًا قبليًا يرأسه رئيس أو شيخ من أبنائها[1].

وقد كان اتحاد قبائل سبأ، تحت زعامة القبيلة التي تحمل نفس الاسم هي السباقة عن التجمعات القبلية الأخرى في تكوين الكيان السياسي في جنوب الجزيرة العربية والذي عرف بمملكة سبأ[2].

مما تقدم فإن نشوء الدولة في اليمن هي من تجمع قبائل عدّة، ومن هنا كانت الرابطة التي تربط سائر الأفراد، هي رابطة اجبارية وليست اختيارية[3].

وعلى الرغم من تعدد الكيانات السياسية في شبه الجزيرة العربية، وتأثرها بالأحوال الاجتماعية والدينية والاقتصادية، ظلت القبيلة تحديدًا في وسط الجزيرة العربية، الإطار الذي يحرك العربي داخله سياسيا وينتظم فيه اجتماعيا، وذلك لأن الشعور القبلي كان آنذاك يطغى على أي إحساس أو ولاء آخر[4].

والمعلومات المتوفرة تبين أن الحجاز قد ثابر على بداوته، حتى توفرت لبعض مراكزه الشروط التي ساعدتها على التطور، ذلك أن القوافل التجارية، التي كانت تخترق شبه جزيرة العرب طولا وعرضا، قد أسهمت في التجارة، وتحضرت وألف سكانها حياة الاستقرار، بينما ثابرت سائر مناطقه على حياتها البدوية المألوفة؛ ولذا يمكن الحديث عن فئتين من سكان الحجاز: عرب مستقرون من أهل المدن، تحضروا وبنوا المساكن من الحجارة والطين فسموا (أهل المدر)، وأما الفئة الثانية فهم عرب رحل من أهل البوادي، ثابروا على حياتهم القبلية

[1]- منير عبد الجليل عبده محمد، **بيوت المعبودات في مملكة سبأ، اشكالها وتنظيمها**، رسالة ماجستير في الآثار القديمة، جامعة اليرموك، معهد الآثار، 1995م، ص 34.

[2]- منير عبد الجليل عبده محمد، المرجع السابق، ص 35.

[3]- رود كاناكيس، المرجع السابق، ص 123- 124.

[4]- محمد عبد الله عبد الرحمان بحري، المرجع السابق، ص 49.

المتنقلة، واعتمدوا على الغزو والرعي، وعاشوا تحت الخيام المصنوعة من الوبر، فسموا (أهل الوبر)[1].

ولم تلبث مدن الحجاز المتحضرة مثل مكة ويثرب والطائف أن ارتقت فأنشأ بعضها كيانات سياسية واجتماعية على شيء غير يسير من التنظيم، وتأتي في مقدمة هذه المدن مدينة مكة[2]، والتي توفرت لديها كافة أركان دولة المدينة، فقد شكلت قبيلة قريش عنصر الشعب المستقر على إقليم محدد هو مدينة مكة، وكان رجال الملأ يمارسون سلطة الإدارة والحكم لهذه المدينة بصورة مستقلة وفقًا لقواعد العرف القبلي المستقرة في مجتمعهم، من دون الخضوع لأية سلطة أجنبية، وبذلك تكون مدينة مكة قد استكملت كافة الأركان الضرورية لتكوين دولة مدينة من شعب وإقليم وحكومة ذات سيادة[3].

ولم يختلف التنظيم الاجتماعي في مدينتي يثرب والطائف كثيرًا عن مكة وقد أدى خصب يثرب وثراؤها النسبي إلى كثرة عمرانها، وأدى موقعها والظروف التي مرّت بها إلى تعدد طوائف سكانها[4]، فقد كانت مستقرًا لبني مهلائيل بن قينات قبل طوفان نوح ثم سكنها من بعدهم قوم عاد وثمود، وبعد هلاك هذه الأقوام توالى على سكن الطائف أقوام من أهل اليمن، حتى تمكن العدنانيون من إزاحتهم عنها، وكان آخر هؤلاء العدنانيين قبيلة ثقيف[5].

وفي شمال الجزيرة العربية يتضح أثر العامل الاجتماعي على التطور السياسي لدى الأنباط الذين ثابروا في بادئ الأمر على نمط حياتهم البدوية من حيث الترحال والرعوية، ولم يألفوا حياة الحضارة إلا بعد قرنين من الزمن وما لبثوا أن أقاموا دولة منظمة وحكموا بلادهم على أساس النظام الملكي[6].

---

(1)- توفيق برو، المرجع السابق، ص 164- 165.

(2)-نفس المرجع، ص 165.

(3)- هاشم يحي الملاح، (الوسيط في تاريخ...)، المرجع السابق، ص 276.

(4)- محمد عبد الله عبد الرحمان بحري، المرجع السابق، ص 51.

(5)- هاشم يحي الملاح، (الوسيط في تاريخ...)، المرجع السابق، ص 298.

(6)- توفيق برو، المرجع السابق، ص 100.

ج. **العوامل الدينيــة**:يعد المعبد مركزًا دينيًا للحكم والعبادة على حدٍ سواء، إذ تبرز الأهمية الدينية للمعبد في الحضارات القديمة من حيث العلاقة بين الفرد والإله إذ لا يستطيع الإنسان الاتصال بالإله مباشرةً، وإنما عن طريق المعبد والمتمثل بشخصية الكهنة، الذين يعملون كنواب للألهة والملك ويشكلون حلقة وصل بين العبد والمعبود[1].

فقد كان الكهان يقومون بخدمة الإله في المعبد الذي بني له، ووظائفهم الدينية هي تلبية لمتطلباته وتلك الخدمة تجعل المعبد عبارة عن مؤسسة دينية متكاملة[2].

فقد كانت العقيدة الدينية عند القدماء تعد مصدرًا للقواعد والسلوك في الحياة الاجتماعية ترجمت إلى شعائر وفرائض تنظم حياة الفرد والمجتمع بمختلف مؤسساته، فأصبحت أساس التنظيم ومصدر الحكم والإدارة[3].

فنظام حكم المكاربة في اليمن يعد انعكاس واضح لتطور المجتمع، ودليل على تغلغل الدين في نفوس الناس ونشاط المعابد وتأثيره في الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية[4].

لقد تعددت الأدوار والمهام الوظيفية للمعبد بتعدد وظائف الكهنة وقد شملت هذه الأدوار والمهام عدّة جوانب منها السياسة، إلى جانب الوظيفة الرسمية الأصلية وهي الدينية وكان العامل الديني له الأثر المباشر على التكوين السياسي للدولة في اليمن فكان لكل مملكة معبدها الخاص المعروف من الجميع وذلك محاولة لإظهار كيانها السياسي واستقلاليتها وكانت تقام في المعبد مراسيم تتويج الملك، ويشكر بموجب التتويج الملك الألهة، ويعترف بفضلها عليه في امتلاك العرش وهو يمثل الدور الأساسي للمعبد، وبذلك كان أي فقدان للاستقلال السياسي لأي مملكة يعد هزيمة للألهة، ولذلك مثلت المعابد مركزًا للتحالفات السياسية، سواء في إطار المملكة أو التجمعات السياسية الأقل تنظيمًا والمتمثلة في القبيلة

(1)- ماجد طلال حسن هاشم التميمي، المرجع السابق، ص 135.

(2)- نفس المرجع.

(3)- محمد عبد الله عبد الرحمان بحري، المرجع السابق، ص 75.

(4)- الحمد جواد مطر، المرجع السابق، ص 67.

ويتركز الدور السياسي للمعبد من خلال التجمع في المعبد سواء كان لعبادة أم لأمور أخرى اجتماعية أو سياسية[1].

وقد برز دور المعبد في توطيد دعائم المملكة ويتضح ذلك من خلال نقش معبد (أوام) والذي يشير إلى الدور السياسي لهذا المعبد في عصر ملوك (سبأ وذي ريدان) فهي تذكر في هذه النقيشة الأراضي التابعة لها والقبائل التي يفترض عليها بعد خضوعها لمملكة سبأ أن تعترف بسلطة الإله (المقة) والتوجه إلى معبده لتقديم القرابين فيه، وفي مملكة حضرموت كان الدور الذي يؤديه معبد (سين) يتشابه وبشكل كبير مع الدور السياسي لمعبد (أوام)، إذ كان مركزًا للاتحاد الديني والسياسي للقبائل التي كونت مملكة حضرموت، أما في مملكة قتبان فكان لمعبد الإله (عم) في العاصمة تمنع، رمز للاتحاد السياسي بين قبائل المملكة[2].

كان للعقيدة الدينية دورًا هامًا في ترسيخ دعائم الدولة، حيث صبغت ممالك الجنوب العربي القديم بصبغة دينية منذ بداية نشوئها، فالعلاقة بين الكيان السياسي والدولة والعقيدة تتجسد في فكرة الدولة بأركانها الثلاثة: الإله والملك والشعب[3].

وفي شمال الجزيرة العربية كان الأنباط يعبدون الأصنام ويقدسونها شأنهم في ذلك شأن غالبية عرب الشمال، وقد اتصل بعبادة الأصنام بعض الطقوس كتقديم النذور والقرابين لها وكانت القرابين تتكون بشكل أساسي من الحيوانات التي يضحى بها امام الأنصاب، إلا أنه كان يقدم لها أيضا بعض الثمار والحبوب، وكانوا يقيمون ولائم مقدسة لأكل لحوم الأضاحي كان يشارك في أكلها موظفوا المعبد والأشخاص في غرف خاصة بالولائم المقدسة حيث يقومون بالوجبة التعبدية التي تعني المشاركة بين الإله وعابديه بالمؤاكلة[4].

[1]- ماجد طلال حسن هاشم التميمي، المرجع السابق، ص 138- 139.

[2]- نفس المرجع، ص 139- 140.

[3]- محمد عبد الله عبد الرحمان بحري، المرجع السابق، ص 75.

[4]- إحسان عباس، المرجع السابق، ص 137.

ولتنظيم العبادة والطقوس توجب وجود مؤسسة تشرف على ذلك النظام وتوجهه تمثلت في وجود الكاهن، والأفكل وهو السادن الحكيم[1].

لم يكن هناك اختلاف جوهري بين العقائد الدينية التي عرفها مجتمع شمال الجزيرة العربية، والمجتمع السائد في الوسط، هذا وقد مرت منطقة الحجاز بعدة مراحل، حدث فيها تطور في العقائد الدينية السائدة، وكان لكل مرحلة منها سمات خاصة، بقيت كظاهرة أساسية في مجتمع البادية، فقد تميزت المرحلة الأولى بعبادة أو تقديس الأشياء المادية مثل: الأحجار والأشجار والكهوف وينابيع المياه، وهذه الأشياء وغيرها وبخاصة شجرة النخيل كانت تشكل عنصرًا أساسيا في حياة البدوي، يعتمد على تمرها كغذاء رئيسي، ويعتمد على أجزاء أخرى منها لتغطية حاجات وضرورات أخرى في حياته اليومية[2].

2. مميزات تطور أنظمة الحكم في شبه الجزيرة العربية:

من المرجح أن النظام السياسي الذي كان سائدًا في جزيرة العرب كان يؤدي وبشكل طبيعي إلى الكثير من المشاكل، كالخلافات بين شيوخ القبائل والطامحين إلى السلطة في هذه القبائل، لذلك فإن مفهوم الدولة قد تطور في ظل النظام القبلي، عندما أخذت تتحد مجموعة قبائل في اتحادات يمكن تسميتها بالتحالفات القبلية، وذلك لوجود روابط الدم وعلاقات اقتصادية مشتركة فيما بينها[3].

وقد أخذ مفهوم الدولة يتطور فيما بعد من مفهوم سيادة الأحلاف إلى مفهوم السيادة المشتركة التي جمعت القبائل البدوية والسكان الحضر، وبهذا اتسع مفهوم السلطة باتساع دائرة حدودها، وزيادة عدد رعاياها، وتطور الحياة الاقتصادية فيها، ولما كانت المدن والقرى مركز الاستقرار والأمن، ولما كان سكان الحضر يملكون زمام الأمور الصناعية والتجارية في حواضرهم، أخذت السلطة تنتقل من يد شيوخ القبائل، إلى يد الأمراء في المدن والقرى[4].

(1)- إحسان عباس، المرجع السابق ، ص 139.
(2)- لطفي عبد الوهاب يحي، المرجع السابق، ص 179.
(3)- نفس المرجع، ص 96.
(4)- منذر عبد الكريم البكر، المرجع السابق، ص 17.

وهكذا انتقل الحكم في شبه جزيرة العرب، وبالأخص في القسم الجنوبي منها شيئا فشيئًا، بداية بالنظام القبلي، مارًا بالأحلاف القبلية، منتهيا بالنظام الملكي حيث ظهور الممالك، وقد حدث ذلك منذ بداية الألف الأول قبل الميلاد، حيث استقرت قواعد الزراعة ونظمها وظهرت الحاجة إلى أعمال الري، كما ظهرت الحرف المتخصصة، وزادت الحركة التجارية الداخلية والخارجية، خاصة بعد ازدياد الطلب على الطيوب[1].

ولم تكن نظم الحكم في دول جنوب جزيرة العرب مطلقة أو اقطاعية، بل هي حكومات أقرب ما تكون للديموقراطية بمفهومها، ويبدو هذا من الأدلة الواردة في النصوص التي تؤكد وجود حكومات يرأسها حاكم أعلى (مكرب-ملك) إلى جانبه مجلس عام يتكون من رؤساء الشعوب الخاضعة له، ومسؤولية هذا المجلس إصدار كل القرارات، ويكون الحاكم عادة أحد أفراد الأسر القوية في الشعب، ويتوارث أفراد تلك الأسر السلطة، ويتمتع الملك بمكانة عالية، ويحدث أن يشترك أكثر من فرد في الحكم، إذ نجد الإبن يشارك والده، وربما اشترك الإخوة في الحكم[2].

كان لقب مكرب هو أول الألقاب التي حملها حكام دول جنوب شبه الجزيرة العربية القديمة، ولفظ مكرب هو اسم مشتق من الجذر الثلاثي، كرب في اللغة اليمنية القديمة وتعني جمع أو حشد، وبالتالي يكون المكرب هو المجمع وهو لقب حمله رؤساء الأحلاف القبلية التي تتكون من عدد من القبائل فهم إذن موحدون لتلك الأحلاف في كيان سياسي واحد[3].

فقد عاشت الممالك العربية الجنوبية دور المكاربة بوصفها مرحلة تمهيدية لتطور نظام الحكم في اليمن، والانتقال إلى المرحلة الملكية، فشمولية وظيفة المكرب في الجانبين المدني والديني أدى إلى استمرار ذلك اللقب في الممالك اليمنية القديمة ولاسيما في مملكة سبأ لمدة طويلة من تاريخها، إذ لم ينته من الناحية العملية بتغير اللقب إلى ملك[4].

---

[1]- محمد عبد الله عبد الرحمان بحري، المرجع السابق، ص 182.

[2]- نورة عبد الله علي النعيم، (التشريعات...)، المرجع السابق، ص 89.

[3]- بيستون أ. ف. ل. وآخرون، **المعجم السبئي**، منشورات جامعة صنعاء، دار نشريات بيتر، لوفان الديدة، مكتبة لبنان، بيروت، 1982م، ص 78.

[4]- ماجد طلال حسن هاشم التميمي، المرجع السابق، ص 54- 56.

فقد بقي نظام الحكم في عهد الملوك محتفظًا بالكثير من خصائص عهد المكاربة، وبقيت القبيلة هي الدعامة الأساسية للملك، واستمر اهتمام الملوك بمشاريع الري والزراعة والبناء والتطورات الاقتصادية للدولة[1].

وفي المجال الديني كان للملك دور تنفيذي لبعض الطقوس الدينية كإقامة الولائم الدينية والاهتمام بإنشاء المعابد أو إصلاحها، وفي مجال السياسة كان الملك هو القائد العام في الحرب، وذلك لأنه زعيم الشعب وحاكم الشعوب الخاضعة له والتابعين[2].

لقد شهد النظام الملكي في ممالك العربية الجنوبية تطورًا كبيرًا بعد حالة التوسع التي عاشتها سبأ، ففي سنة (115ق.م) خلع ملوك سبأ لقبهم القديم واستبدلوه بلقب آخر هو لقب ملك سبأ وذي ريدان وهذا اللقب يدل على ضم (ريدان) إلى سبأ[3].

وقد تشكلت مجالس عدّة في العربية الجنوبية تختلف في مضامينها التشريعية والأغراض التي قامت من أجلها، وكانت تخص الجوانب الاجتماعية والسياسية والزراعية، وقد مثلت هذه المجالس شعوب الممالك اليمنية القديمة، وكان الملك اليمني يعتمد على هذه المجالس التي تعد الركيزة الأساسية المعتمد عليها في توجيه سياسة المملكة، فكل مجلس حسب وظيفته، وكان في مقدمة هذه المجالس (المجلس القبلي) وهو بمثابة هيئة تشريعية ويضم في عضويته ممثلي القبائل، أي شيوخها ويندرجون في الترتيب ضمن عضوية المجلس وفقًا لموقع القبيلة في الزعامة القبلية أولاً، والموقع الجغرافي ثانيًا، إلى مدى قربها من العاصمة السياسية التي يستقر فيها (الملك)، أي أنه يعتمد على التسلسل السكاني للقبائل وأثره في موقعها في المجلس القبلي، وتمثل هذه الطبقة الفئة الأولى في عضوية المجلس، أما الفئة الثانية فهم أصحاب الأراضي الخصبة والقبائل التي تكون منظمة إليها، كذلك تضم أصحاب الأملاك، ويعد هذا النظام حالة متطورة للتوافق بين الحكم السياسي والنظام القبلي[4].

---

[1]- الحمد جواد مطر، المرجع السابق، ص 74.

[2]- نورة عبد الله علي النعيم، (التشريعات...)، المرجع السابق، ص 89- 90.

[3]- ماجد طلال حسن هاشم التميمي، المرجع السابق، ص 68.

[4]- ماجد طلال حسن هاشم التميمي، المرجع السابق، ص 69- 70. انظر كذلك : رود كاناكيس، المرجع السابق، ص 133.

ولا يستبعد أن تشهد مجتمعات جنوب الجزيرة مراحل تطور القوانين، بالرغم من أن النظم التشريعية لم تظهر إلا في فترة متأخرة نسبيًا، ويحتمل أيضًا أن في المرحلة السابقة لتدوين تلك النظم، اعتمد المجتمع العربي الجنوبي فيها على التقاليد والأعراف[1].

لقد أسهم اهتمام سكان جنوب شبه الجزيرة بالوثائق التشريعية على الاحتفاظ بها حيث اعتنوا بتدوينها على مواد ضمنت لها البقاء كالألواح الحجرية والمعدنية ودونت عدّة نسخ لتلك الوثائق رغبة في نشرها وحفظت أصولها في أماكن حفظ الوثائق، وقد أدى العثور على مجموعة من الوثائق المدونة على ألواح من الخشب (خاصة: خشب النخيل) إلى احتمال كونها أصولاً لوثائق نسخت على مواد أخرى لنشرها في الأماكن العامة، واحتفظ بهذه الوثائق الصغيرة في أرشيف الوثائق[2].

ويمكن تصنيف النصوص التشريعية إلى عدّة أنواع أفادت بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في معرفة النظم التشريعية، وهناك نصوص تشريعية كثيرة تشير إشارة واضحة إلى ممارسة سكان جنوب شبه الجزيرة العربية للنظم التشريعية، فهي تعالج أمرًا أو عدّة أمور مختلفة دينية أو اقتصادية أو اجتماعية، وقد يتضمن النص أيضًا تحديد جزاء للمخالفين، وبالتالي فهي تمدنا بالكثير عن النظم السياسية وتطورها في جنوب الجزيرة العربية[3].

وكان الهدف من إصدار تلك التشريعات، حرص سكان الجنوب على حفظ النظام وحفظ الحقوق، سواء كانت خاصة أو عامة، ويؤكد ذلك تكرار عبارة "لا يحق شرعًا" في معظم النصوص، كذلك حرصت السلطات على أداء الالتزامات المفروضة على الأفراد

---

[1]- العرف في اللغة ما يستحسن من الأفعال، وهو ضد المنكر، وقيل هو كل ما ندب إليه الشرع ونهى عنه من المحسنات والمقبحات وغيرها، ويقوم العرف على عنصرين هما التلقائية والتكرار ثم الإجبار، ولكي يكون الفعل عرفًا يلزم تكراره ورضا الناس عنه، وإذا تكرر الفعل عدّة مرات استوجب على الأفراد اتباع الأسلوب نفسه في الحالات المشابهة، فأساس العرف هو إرادة الجماعة التي تقرر أن سلوكًا معينًا لازم لها، وترفضه بطريقة غير مباشرة على أفرادها، وتكون الجماعة مسئولة عن إيقاع العقوبة على مخالفيه وعندها يصدر الجزاء من سلطة عليا يتحول العرف عندها إلى قانون أو تشريع.

انظر: ابن المنظور، المصدر السابق، ج9، ص 240.انظر كذلك: نورة عبد الله علي النعيم، (التشريعات...)، المرجع السابق، ص 99.

[2]- نورة عبد الله علي النعيم، (التشريعات...)، المرجع السابق، ص 100.

[3]- نفس المرجع، ص 101.

والجماعات، بهدف إشاعة الأمن والسكينة والراحة لكي يجد الفرد الأمن من كل حكم وعقاب[1].

ويمكن حصر السلطات التشريعية في جنوب الجزيرة العربية، في السلطة الدينية ممثلة في الكهنة والسلطة السياسية ممثلة في الحاكم وسلطة المجالس العامة وسلطة المجالس المحلية التابعة لمدينة أو شعب ما، ومع هذا التعدد نجد اجتماع أكثر من سلطة في إصدار تنظيم أو تشريع[2].

الملاحظ أن طبيعة نظام الحكم في جنوب الجزيرة أوجد تعددًا في السلطات التنفيذية فعلى الرغم من اتحاد مجموعة من الشعوب (القبائل) تحت سلطة سياسة واحدة إلا أن نفوذ هذه السلطة خاصة التشريعية لم يكن يشمل أعضاء الاتحاد، فمثلاً في الدولة السبئية التي ضمت شعوبًا غير سبئية، عاشوا في الأراضي التي خضعت لها وظل هؤلاء يتمتعون بنظمهم الخاصة، ولم ينطبق عليهم ما طبق على القبائل السبئية، تلك الأسباب وغيرها أدت إلى وجود تعدد في السلطات ومن ضمنها السلطة التشريعية، وهذا يفسر كون تلك التشريعات في جلها تشريعات خاصة بشعب أو مدينة أو منطقة، حتى وإن كانت صادرة من سلطة عليا كالملك ونادرًا ما كان يشمل نفوذها جميع الشعوب التي انطوت تحت سلطة سياسية واحدة خاصة في سبأ وقتبان وحمير، أما في معين فيظهر أن الدولة المعينية ظل نفوذها في جميع مراحل تاريخها قاصرًا على القبائل المعينية[3].

وعن نظام الحكم في دويلات شمال الجزيرة العربية، فقد ارتبط بحياة الاستقرار، وتكون للملك السلطة على المدينة والقرى المجاورة، فهو يمثل رأس الدولة[4].

فقد تميزت مملكة تدمر بحكم شوري يقوم عليه مجلس الشيوخ (بولو Boulo) لا يضم سوى أصحاب الجاه والثروة، ولكل عشيرة مجلس يسمى (ديموس) يضم كل أفرادها البالغين وللمدينة حاكم يسمى (أراخون)، وموظف للشؤون المالية وآخر مسؤول عن الأسواق وقائد جيش، وقائد لحماية القوافل تسند زعامتها إلى رئيس من التجار الأغنياء[5].

---

(1)- نورة عبد الله علي النعيم، (التشريعات...)، المرجع السابق ، ص 102.

(2)- محمد عبد الله عبد الرحمان بحري، المرجع السابق، ص 190.

(3)- نورة عبد الله علي النعيم، (التشريعات...)، المرجع السابق، ص 112.

(4)- محمد عبد الله عبد الرحمان بحري، المرجع السابق، ص 132.

(5)- توفيق برو، المرجع السابق، ص 121.انظر كذلك: صالح أحمد العلي، المرجع السابق، ص 52.

وعلى أية حال، فقد نجحت تدمر في الأخذ بالنظم اليونانية وإقامة مجلس تشريعي أقرب للديمقراطية من كافة النظم السياسية المعمول بها في العالم العربي القديم، وعلى الرغم من الطابع الطبقي الذي كان يميز المجلس التشريعي في تدمر، فإن هذه الدولة قد نجحت من خلال الأخذ بالنظم السياسية المتقدمة في تحقيق أقصى قدر من الازدهار والاستقرار والاستمرار قياسًا بالممالك والدويلات العربية الأخرى[1].

أما الأنباط الذين وصلتنا عنهم معلومات منذ بداية نشأتهم، وهم في طور البداوة، أي أن نظامهم السياسي كان قبليا، ثم انتقل من زعامة الشيخ للقبيلة أو الحلف من القبائل إلى حكم ملكي، يقوم فيه النظام السياسي على المبدأ الوراثي[2]، وكان الملك هو رئيس الدولة والشخص الوحيد الأعلى للحكومة، وهو الذي يختار من يوكل إليهم إدارة الأعمال وتسيير أمور الرعية، وأطلق على الملوك صفات تدل على العلاقة الأبوية بين الملك وشعبه مثل (الملك المحب لشعبه أو الملك الرحيم بشعبه)، كما كان للملك حاشية مقربة منه، يوكل إليها النظر في المسائل العليا للدولة وتقديم الاستشارة، ويطلق على أفراد هذه الحاشية (أخوة الملك)[3].

فنظم الحكم في ممالك شمال الجزيرة العربية لم تكن على وتيرة واحدة، طوال فترات العمل بها، وفي بداية القرن الثاني قبل الميلاد يطرأ تطور على منصب ولي العهد تحديدًا ممثلاً في ظاهرة الحكم المشترك، والتي كان الملك فيها يحكم بمشاركته اثنين أو أكثر من أبنائه، وهناك حالات أخرى شارك فيها الأحفاد جدهم الملك في حكم البلاد[4].

أما وسط الجزيرة، فقد كانت الوحدة السياسية القبلية هي الشكل المنتشر، حيث كانت القبيلة تشكل الصيغة أو الرابطة التي تعطي سكان كل منطقة كيانهم السياسي التنظيمي القائم بذاته، وكان الوضع الاقتصادي للبادية هو الدافع إلى استمرار هذا التكوين، بحيث أصبح هو الشكل الدائم في هذا القسم من أقسام الجزيرة العربية في العصور القديمة، فالموارد الاقتصادية

[1]- محمد عبد الله عبد الرحمان بحري، المرجع السابق، ص 126.

[2]- إحسان عباس، المرجع السابق، ص 36.

[3]- مصطفى أبو ضيف، المرجع السابق، ص 76.

[4]- محمد عبد الله عبد الرحمن بحري، المرجع السابق، ص 127.

هنا، إما موارد رعوية غير دائمة يضطر أصحابها إلى التنقل الدائم وراء الرعي، أو إلى شن غارات على الوحدات القريبة منهم، أو موارد زراعية متناثرة بين الواحات، أو موارد تجارية، تقوم على تقديم الحماية أو الخدمات للقوافل العابرة التي تمر بها هذه القوافل[1].

وقد فرضت ظروف الحرب الدائمة بين القبائل، وبحثها عن موارد الرزق الشحيحة أن يكون للقبيلة زعيم لقيادتها، وإدارة شؤونها الحربية والاقتصادية، وفي الحقيقة كانت الحروب غير مناسبة لظهور كفاءة الرجال وبروز الزعامة، لحاجة القوم إلى من يستطيع أن يسدد خطاهم نحو النصر[2].

فقد كان لكل قبيلة سيد كالملك في مملكته، هو المرجع المسؤول عن اتباعه في السلم والحرب، يقصده أصحاب الحاجات من أبناء القبيلة، كما يحق لهذا الرئيس أن يجمع شمل عدّة قبائل ويترأسها، وينصب نفسه ملكًا عليها[3].

والمطلوب ممن يترأس القبيلة أن يتحلى بصفات طيبة تعد حيوية في بناء المجتمع البدوي ولعل أهمها: السخاء والنجدة والحلم والتواضع والبيان، وقد رويت الأخبار الكثيرة تمتدح سخاء الرؤساء وخاصة أوقات الضيق والشدّة، وهذا أمر هام في المحيط البدوي المعرض لعاديات الدهر ونكبات الطبيعة[4].

أما عن كيفية ممارسة الشيخ لسلطاته، فيغلب عليها النهج الديمقراطي، ذلك أن الفرد في القبيلة له مكانة مرموقة، بل قد يؤدي قتل فرد من أفرادها على يد فرد من قبيلة أخرى إلى حرب بين القبيلتين أخذًا بثأره، لأن أهمية القبيلة تكون بقوة أفرادها وكثرة عددهم[5]

[1]- محمد عبد الله عبد الرحمن بحري، المرجع السابق محمد عبد الله عبد الرحمن بحري، المرجع السابق ، ص 150.

[2]- توفيق برو، المرجع السابق، ص 195.

[3]- حسين الحاج حسن، المرجع السابق، ص 71.

[4]- نفس المرجع، ص 72.

[5]- الخلافات التي تنشب بين أعضاء القبيلة الواحدة على ملكية شيء ما، تسوى في المجالس اليومية، أما حين ينشب الخلاف بين أفراد ينتسبون إلى قبائل مختلفة فيلجأ المختصون إلى رجل مشهود له بالتعقل والحكمة، أو إلى امرأة تمّتْ لها هاتان الميزتان، وكثيرًا ما يكون الحَكَمُ في هذه الحال كاهنًا أو عرّافًا ولكن حُكم الحكم لا يكون ملزمًا للمختصين إلا إذا ارتضاه الفريقان أو حتمه تفوق أحدهما على الآخر بقوة بأسه، بروكلمان، المرجع السابق، ص 18- 19.

ولذلك وجب على الرئيس، ألا يمارس على أفراد قبيلته سلطة دكتاتورية مستبدة طاغية، بل وجب عليه أن يسود قبيلته بالتشاور مع رؤساء وزعماء بطونها، وذوي الرأي والمشورة من أبنائها، بحيث يضمهم مجلس يسمى (مجلس القبيلة) الذي ينبغي عليه أن يجتمع كلما دعت الضرورة إلى اجتماعه، ومع ذلك يمكن القول انه كان للرئيس نفوذ كبير على قبيلته، إذ كانت كلمته مطاعة من الجميع، يتبعون رأيه فيوجههم، وإذا دعاهم للحرب لا يتأخرون[1].

وقد تمتد سلطة الرئيس إلى قبائل أخرى يجمعها تحت لوائه بالحلف أو الجوار فتزداد قوته ويتسع نفوذه، وقد يكون العكس، فتنقسم قبيلته بعد موته، فيتولى كل ولد من أولاده بطنًا من بطونها[2].

فقد كانت جميع القبائل المتبدية منها والمستقرة في مدن كمكة ويثرب وسواهم، تتحد مكونة اتحادات قبلية ومن الاتحادات التي كانت تجمعهم اتحادات الأحلاف، ويظن أن هذه الاتحادات قد لعبت دورًا كبيرًا في تكوين القبائل، إذ كانت تضم العشائر الضعيفة إلى العشائر القوية لتحميها وترد العدوان عنها[3].

وكان لهذه القبائل جميعًا المتحالفة وغير المتحالفة، مجلس يضم شيوخ عشائرها وهو ندوتهم التي ينظرون فيها في شؤون قبيلتهم، وكان كل فرد يستطيع أن يحضره، وأن يتحدث فيه، ولم يكن له موعد محدد معين وغالبًا ما يتقدم شيوخ القبيلة شيخ كبير مجرب، هو سيدها له حنكة وحكمة وسداد في الرأي، وسعة في الثروة، وهو الذي يقود القبيلة في حروبها ويقسم غنائمها، ويستقبل وفود القبائل الأخرى، ويقسم الضيافات ويعقد الصلح والمحالفات[4].

الملاحظ أن النظام السياسي للقبيلة العربية ارتكز على بنية خاصة بين النظم القبيلة الأخرى في العالم، ولا ينال الحكم في المجتمعات العربية القديمة، إلا من كان ذا قابلية عالية وذو شخصية قوية، وذو أسرة متجانسة متألفة متماسكة كثيرة العدد، وذا عشيرة أو قبيلة

[1]- توفيق برو، المرجع السابق، ص 197.

[2]- نفس المرجع، ص 199.

[3]- ياسين غضبان، المرجع السابق، ص 162- 163.

[4]- نفس المرجع، ص 165.

تندفع في تأييده لمزاياه المذكورة، أضف إلى ذلك العصبية والرغبة في الكسب، فمجتمع من هذا النوع تكون قيادته بيد سادته، وقد يفرض أحدهم نفسه على الآخرين، طوعًا أو كرهًا فيكوّن حكومة تنسب في الغالب إليه، قد يطول أجلها إذا جاء من بعده حكام أكفاء لهم قابلية وشخصية، وقد تموت بموته، لعدم كفاءة من يخلفه[1].

II. القبيلة ودورها في نشوء وتطور النظام السياسي العربي القديم:

النظام السياسي العربي القديم هو نتاج لعوامل عدّة أسهمت في قيامه ونشأته، ولا شك أن أي نظام سياسي عربي يرتبط من حيث تطوره التاريخي بالدور الذي لعبته أو تلعبه القبيلة فيه والتي لها الأثر الواضح في تحديد خصائصه البنيوية[2]، والعمل على تثبيت دعائم الدولة وترسيخ استقرارها وبناء النظام وفق أسس مستقرة.

تمثل القبيلة لمنطقة شبه الجزيرة العربية، حالة اقتصادية اجتماعية سياسية، ترتبط بشكل أساسي بالترحال والتنقل من موقع إلى موقع بحثًا عن الكلأ والماء، وبالتالي لم يكن هناك بين القبيلة كتكوين اجتماعي وسياسي غير مستقر علاقة مع جغرافيا ثابتة، فالقبائل تصل من مكان إلى آخر دون التزام مكاني، وأن استدعى الأمر تحسم الخلافات على الأماكن بحد السيف[3].

لم تكن القبيلة مكونة فقط من الأفراد الذين ينحدرون من أصل واحد مشترك، بل انضم إليها أفراد من خارج الوحدة القرابية، إما اختياريًا أو اجباريًا من خلال الضم والإلحاق وهؤلاء هم أسرى الحروب[4].

فالقبيلة هي أساس النظام السياسي في مجتمع الجزيرة بوجه عام، فهي تشكل الصيغة أو الرابطة التي تعطي سكان كل منطقة كيانهم السياسي التنظيمي القائم بذاته، فلم يكن

---

[1]- جاسم زكريا، المرجع السابق، ص 56.

[2]- جمعة الزروق فرج بلعيد، المرجع السابق، ص 22.

[3]- غانم النجار، **القبيلة والدولة في الكويت والجزيرة العربية**، قسم العلوم السياسية، جامعة الكويت،1996، ص 1.

[4]- عادل مجاهد الشرجبي وآخرون، **الدور السياسي للقبيلة في اليمن**، المرصد اليمني لحقوق الإنسان، صنعاء، 2009، ص 17.

لهذه القبائل دولة تضمهم ولا نظام موحد يسودهم، بل كانت كل قبيلة تقوم على أساس اشتراك أبنائها، والموطن الواحد، وكان رباط القبيلة الأقوى يتمثل في العصبية[1].

تعد القبيلة من أكبر الوحدات المعروفة في المجتمع العربي، والتي تقوم على الانتساب إلى سلف مشترك، ويعتقد أفراد القبيلة انتماءهم إلى أصل مشترك تجمعهم وحدة الجماعة المعبرة عن تضامنهم واندماجهم، فأضحت العصبية بذلك مصدرًا للقوة السياسية التي تربط بين أفراد القبيلة، والتي صارت على مبدأ "أنصر أخاك ظالما أو مظلوما" وهو مبدأ قائم على قيم العصبية[2].

وبذلك تكون القبيلة وحدة المجتمع السياسية، التي تنبثق منها وحدات أصغر، أو قد تجمعها بقبائل أخرى وحدات أكبر، وهذه القبائل تمثل النواة الأولى لتكوين الدولة، كما أن أقواها هي التي تصبح المحور الذي تدور حوله القبائل الأخرى، والمركز الذي تتركز فيه القوى الإدارية والاقتصادية والسياسية[3].

يعد النظام القبلي الذي عرفه العرب قبل الإسلام، البيئة الطبيعية التي تكون فيها أقدم نظام لتكوين الدول، فالعرب بدو وحضر، أهل وبر وأهل مدر، عرفوا جميعًا تكوين نظام من أنظمة الحكم، يتناسب مع المحيط، لأنه نبات ذلك المحيط وحاصله الذي اكتسب خصائص البيئة كلها، وما يحيط بها من مؤثرات طبيعية أو بشرية، وبذلك صارت الرئاسة قاعدة الحكم في القبيلة العربية، وأضحت الملكية والإمارة رئاسة قرى العرب ومدائنهم[4].

فإن مفهوم الدولة قد تطور في ظل النظام القبلي، عند ما أخذت تتحد مجموعة قبائل في اتحادات تعرف بالتحالفات القبلية، وقد أخذ مفهوم الدولة يتطور فيما بعد من مفهوم سيادة الأحلاف إلى مفهوم السيادة المشتركة التي جمعت القبائل البدوية والسكان الحضر

---

(1)- جواد علي، المرجع السابق، ج4، ص 300. برهان الدين دلو، **جزيرة العرب قبل الإسلام**، ج1، بيروت، 1989م، ص 307.

(2)- جمعة الزروق فرج بلعيد، المرجع السابق، ص 40.

(3)- رود كاناكيس، المرجع السابق، ص 121.

(4)- جاسم زكريا، المرجع السابق، ص 53.

من قرويين وسكان مدن، وبهذا اتسع مفهوم السلطة باتساع دائرة حدودها وازدياد عدد رعاياها وتطور الحياة الاقتصادية فيها[1].

ويشير ابن خلدون إلى المراحل التي تمر بها الدولة ضمن مفهوم العصبية فيقول: "إن عمر الدولة لا يعدو في الغالب ثلاثة أجيال: لأن الجيل الأول لم يزالوا على خلق البداوة وخشونتها من شظف العيش والبسالة والافتراس والاشتراك في المجد فلا تزال بذلك سورة العصبية محفوظة فيهم، فحسهم مُرهف، وجانبهم مرهوب...والجيل الثاني تحول حالهم بالملك والتَّرَفُهِ من البداوة إلى الحضارة ومن الشظف إلى الترف والخصب ومن الاشتراك في المجد إلى انفراد الواحد به...فتنكسر سورة العصبية بعض الشيء، وتؤنس منهم المهانة والخضوع...وأما الجيل الثالث فينسون عهد البداوة والخشونة كأن لم تكن، ويفقدون حلاوة العز والعصبية...فيصرون عيالاً على الدولة...وتسقط العصبية بالجملة...وهذه الأجيال عمرها مائة وعشرون سنة"[2].

تتم عملية نشوء الدولة عند ابن خلدون على أساس حيوي بيولوجي تتبع الدولة فيه خطوات الكائن الحي في نموها وارتقائها وانحلالها.

وتعتبر العصبية رابطة اجتماعية، وهي ناجمة عن الالتحام بين الأفراد عبر النسب والقرابة وتتجسد هذه الفكرة في قيم المناصرة والمغالبة والتضامن، ويحتدم الصراع بين العصبيات المختلفة للتنافس على الفوز بالسلطة وإنشاء الدولة الخاصة بكل عصبية، ذلك أن الدولة هي أداة القهر المثلى التي تستعملها العصبية ضد العصبيات الأخرى، فاستلام السلطة وإنشاء الدولة من قبل عصبية معينة يهيئ لهذه الأخيرة فرصة امتصاصها ليس بالأمر العسير، إذ أن العصبية "بطبعها" تسعى إلى التغلب على العصبيات الأخرى وإدراجها تحت لوائها[3].

إن طبيعة دور العصبية هذا يرتبط بالقيم السائدة، فالمجتمع الذي يجعل من موضوع الرئاسة والزعامة أمور ترتكز على قيم أخلاقية هامة لدى الإنسان كالحسب والنسب، الأمر الذي

(1)- لطفي عبد الوهاب يحي، المرجع السابق، ص 336.انظر كذلك: منذر عبد الكريم بكر، المرجع السابق، ص 17.
(2)- ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 213- 215.
(3)- جمعة الزروق فرج بلعيد، المرجع السابق، ص 44- 65.

من شأنه أن يجعل كل العصبيات تتدافع وتتنافس للفوز بالسلطة وتأسيس الدولة لطبيعة المجتمع القبلي القائمة على التناحر والتنافس[1].

لقد عاش العرب في ظل النظام القبلي حقبا طويلة، حيث مثلت القبيلة وحدة سياسية مستقلة وقد افتقر العرب آنذاك لنظام سياسي يخضع لسلطانه شتى القبائل العربية، فقد كانت كل قبيلة أشبه بدولة صغيرة، وتعتبر رابطة الدم أو (النسب) أساس المجتمع السياسي القبلي، وبذلك تعد القبيلة مكوّن أساسي لعب دورًا مؤثرًا في بناء النظام السياسي، في أغلب عصور التاريخ بما لها من قوة العصبية الضاربة التي فرضت سيادتها في نشوء وتطور النظام السياسي العربي القديم[2].

III. ميـلاد الفكـر السياسـي العربـي القديـم:

تكتسي دراسة الفكر السياسي أهمية كبيرة لمعرفة تطور الأفكار السياسية، لأن فهم الظاهرة السياسية في حاجة إلى الاستعانة بالأطر النظرية التي تراكمت بفعل مساهمات متنوعة ممتدة عبر الزمن، والفكر السياسي بصفة عامة هو مجموع القوانين والأسس والنظم السياسية التي وضعها المفكرون في محاولة لرسم صورة الدولة، وتنظيم العلاقات بين السلطة وأفراد المجتمع الذي تمارس فيه تلك السلطة[3].

وقد ارتبط الفكر السياسي بالحضارات المستقرة، وظهور الدول والكيانات السياسية المختلفة، الأمر الذي تطلب وضع نظم وقوانين تضبط الحياة وتنظمها، ومن ثم ظهرت النظريات أو شبه النظريات السياسية التي عرفها العالم القديم، والتي شملت فكرة الدولة ماهية السلطة، ومصدرها وغاياتها وأشكال الحكومات، وارتباط الأفراد بها وكذا شرعيتها[4].

---

(1)- جمعة الزروق فرج بلعيد، المرجع السابق ، ص 45.

(2)- نفس المرجع ، ص 67، 138، 139.

(3)- عبد النور منصوري، **محاضرات في تاريخ الفكر السياسي**، مطبوعة موجهة لطلبة السنة الأولى ليسانس ل. م .د، كلية الحقوق، 2020 م، ص 5- 6.

(4)- نفس المرجع، ص 6.

الفكر في اللغة: يعني إكمال النَّظَرِ في الشيء، كالفِكرَةِ والفِكرَى، أفكارٌ. فَكَرَ فيه وأفْكَرَ وفَكَّرَ وتَفَكَّرَ. وهو فِكِّيرٌ، كسِكِّتٍ، وفَيكَرٌ كَصَيْقَلٍ: كثيرُ الفِكرِ. وما لي فيه فَكرٌ، وقد يُكْسَرُ، أي حاجةٌ[1].

أما تعريف الفكر فهو النتاج الأعلى للدماغ البشري كمادة ذات تنظيم عضوي خاص باعتباره يرتبط ارتباطًا لا ينفصم بالدماغ لا يمكن تفسيره بصورة كاملة، وهو يتم في أوثق ارتباط مع الكلام ونتيجة يعبر عنها باللغة، وترتبط بداية التفكير أوليًا بالتطور الاجتماعي فالفكر نتاج اجتماعي من حيث أسلوب بدايته ومنهج قيامه بوظائفه ومن حيث نتائج هو نجد تفسير هذا في الحقيقة القائلة بأن الفكر يرتبط ارتباطًا لا ينفصم بأنشطة مثل العمل والكلام، التي هي من الخصائص المميزة للمجتمع الإنساني وحده[2].

أما الفكر السياسي: فهو ظاهرة أولية في كل مجتمع بشري، فحينما توجد الجماعة البشرية يوجد فيها نوع من التنظيم السياسي، وقدر من القواعد القانونية التي تنظم سلوك أفرادها وعلاقتهم بالهيئات الحاكمة.

وإذا كان الإنسان البدائي قد عاش تحت رحمة الطبيعة ولم يتطور إلا طبقًا لقانون التطور الطبيعي، فإنه يتميز عن غيره من الكائنات الحية منذ تلك اللحظة، فقد بدأ يدرك ما يحيط به، وسخر فكره لخدمته، ويخطط لتغيير هذا المحيط وتحسينه، فأخذ الإنسان يستقصي حقيقة الطبيعة ومعرفة قوانينها، فبدأ بالتساؤل عن معتقداته الفكرية وتقاليده وتنظيماته الاجتماعية، ويدرك تدريجيًا وجود هذه التنظيمات الاجتماعية فعمل على تطويرها إراديًا وأن المملكة هي أكثر التنظيمات الاجتماعية قوة، فأخذ الإنسان يحاول اكتشاف أصل هذه المؤسسة ويناقش النطاق المناسب لوظيفتها، ونتيجة لهذه العملية ظهر الفكر السياسي[3].

---

[1]- الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، **القاموس المحيط**، تح، أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، مج1، دار الحديث، القاهرة، 2008 م، ص 1260.

[2]- عبد الله عمر عبد الرحمان السقاق، المرجع السابق، 2007 م، ص 33.

[3]- ماجد طلال حسن هاشم التميمي، المرجع السابق، ص 42- 43.

وفي شبه الجزيرة العربية كان المجتمع القبلي ينقسم إلى حضر وبدو، ومن هذا الواقع نبع الفكر السياسي العام لهذه المجتمعات، وطبع كل مجتمع منها بطابع خاص امتاز به، ففي المجتمعات المتحضرة ظهر الفكر السياسي الهادف إلى جمع فئات المستوطنات المبعثرة هنا وهناك، لضمها في مجتمع واحد موحد، يترأسه كهنة، يصدرون أحكامهم وأوامرهم باسم الألهة[1].

ومع انفصال السلطتين الدينية والمدنية، انفرد الملوك بالحكم تاركين الشؤون الدينية إلى رؤساء المعابد والكهان، الممثلين للألهة، لتشابه المصالح وارتباطهما بهما، فالملك يتقدم إلى الآلهة بالنذور والأموال وإقامة المعابد، فالملك هو الرئيس المسير لأمور السلم والحرب ورؤساء المعابد هم الناطقون باسم الآلهة في تأييد الآلهة والحكومة في السلم والحرب، وعلى الشعب إبداء الطاعة للسلطتين، والدفاع عن الدولة في السلم والحرب، والشعب هنا هو القبيلة التي تكون نواة الحكومة والتي ينتمي إليها الملوك والكهنة[2].

يستنتج أن تاريخ شبه الجزيرة العربية وكيانها السياسي، ارتبط بعدة عوامل في رسم الصورة السياسية للحكم، إلا أن أولى أنظمة الحكم ظهرت في جنوب شبه الجزيرة العربية، تمثلت بظهور عدّة ممالك منها معين وسبأ وحضرموت قتبان وأوسان وحمير.

فقد امتاز التاريخ السياسي في شبه الجزيرة العربية، بوجود عدة دول وممالك، تتشابه في تكوينها أو أسلوب تأسيسها الا أنها غير متساوية في النفوذ، فقد لعبت القبيلة فيها دورًا محوريًا، فكان النظام القبلي هو الضامن للحقوق، وكانت القبيلة هي المعنية بالدفاع عن الأفراد وحمايتهم، وإلى جانب هذا النوع من التكوين وجد نوع أخر تمثل في الإمارات أو المماليك الصغيرة التي قامت إما حول مراكز تجارية، أو عند نقطة توازن بين دولتين كبيرتين.

(1)- جواد علي، **أبحاث في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ط4، ج1، المركز الأكاديمي للأبحاث، 2011 م، ص 388.

(2)- جواد علي،(أبحاث...)، المرجع السابق، ص 388.

الخاتمة

من خلال استعراضنا لحيثيات الموضوع توصلنا لبعض النتائج:

- أن النظام السياسي العربي القديم حقق تطورا ملموسا واضحا من خلال مختلف المصادر، تمثل ذلك التطور في إحداث نقلة سياسية اجتماعية وهي الانتقال من نظام القبيلة إلى نظام الدولة أو الإمارة أو دولة المدينة.

- شمل هذا التطور أغلب مناطق شبه الجزيرة العربية خاصة حيث كان التركيز السكاني أو النشاط الاقتصادي، في حين بقيت البادية على عاداتها المتوارثة ذات البعد القبلي.

- للظروف الجغرافية أثر بالغ الأهمية، فالبيئة الجغرافية للمنطقة هي التي حدّدت النظام السياسي والحكومات في شبه الجزيرة العربية، فقد تكفلت البيئة الجغرافية بتقسيم شبه الجزيرة إلى مناطق جنوبية تتوافر فيها مقومات الزراعة والاستقرار، حيث نتج عن هذا النشاط الزراعي والمجتمع المستقر ظهور النظام الملكي، وفي المناطق الصحراوية نشأت القبائل المختلفة واعتمد نظامها السياسي على شيوخ القبائل، وفي المناطق الحضرية من الصحراء العربية عرف نظام دولة المدينة مثل مكة ويثرب، والظروف الجغرافية أيضا هي المسؤول عن هجرة بعض القبائل العربية إلى الشمال، وعن تحديد الدور السياسي الذي لعبته حيث أنها تدين بالولاء لقوى أجنبية.

-كما كان للعوامل الاقتصادية أثر بالغ في حياة سكان شبه الجزيرة والمحور الأساسي للنظام السياسي، خاصة في جنوب شبه الجزيرة حيث الزراعة والاستقرار، وقد أولوا عناية كبيرة لتطوير الزراعة من إقامة السدود ونظم الري المختلفة، فأدى ذلك إلى ازدهار النشاط التجاري، وبسطوا نفوذهم وسيطرتهم على الطرق التجارية العالمية، كما لعبوا دور الوسيط بين الشرق والغرب، وكان للمنتجات العطرية من اللبان والمر والبخور دور كبير في التجارة لاستعمالها بكثرة، ويعود ذلك لارتباطهما بالطقوس الدينية.

-كما مكنت التجارة الفرد العربي من الانفتاح على الأمم المجاورة والاقتباس منها والتفاعل معها حضاريًا، وبالتالي فتطور الحياة الاقتصادية وتوافر الأمن والاستقرار أدى إلى تطور النظم السياسية.

- فقد استطاع سكان شبه الجزيرة العربية بفضل جهودهم من إنشاء نظام اقتصادي متكامل، كان ركيزة أساسية في استمرار الدول وتطورها وتوسعها وتحقيق الأمن في ربوعها.

-كما ساهمت التنظيمات الاجتماعية التي شهدتها منطقة شبه الجزيرة العربية في دعم عملية تطور المنظومة السياسية العربية، بل كانت عمادها في التغيرات التي حصلت، والتي ظهرت في النظام التشريعي الذي قسم ونظم، وبالتالي تحقيق نظام اجتماعي متطور دون الإخلال بالنظام التقليدي المتوارث، وعليه فإن مساهمة البدو كان ظاهرًا في الحياة السياسية والعسكرية، حيث العديد من الممالك وظفت رجال وأبناء القبائل في النظام العسكري، وأنهت عملية السطو وقطع الطرق التجارية، وأصبح للمجند راتب دائم وفق تشريع متعارف عليه.

-كما كان للحضر دور كبير في نظام الدولة "المدينة" بل أساس قيام هذا النظام قبل أن يتطور إلى دولة واسعة الأركان ثابتة الكيان بمنظومة تشريعية وهياكل سياسية، وعليه فالجانب الاجتماعي بفآته وتنظيماته، كان له الدور البارز في إنتاج هذا النظام السياسي العربي القديم.

- ظل العامل الديني السند الأساسي لشرعية النظام السياسي، والموطد لعلاقة الرعية بالحكام ،كما ظل رجل الدين فاعلا أساسيا في الحياة السياسية والاجتماعية، لكن رغم الإرتباط الموجود بين النظام السياسي والدين، أي بين الحاكم والملك، الأمير ...، وبين رجال الدين، أي بين القصر والمعبد، إلا أننا نجد أن النظام السياسي كان نظامًا ذا متطلبات اقتصادية، وليست دينية، ففي القبيلة كانت الزعامة تأتي من الصفات والخصائص التي يمتلكها الزعيم، وفي الممالك الجنوبية لم يكن اختيار الملوك يتم على أسس دينية، ولو كان كذلك لما تحول نظام المكاربة إلى النظام الملكي دون أي اضطرابات وفي ممالك ودويلات المدن مثل مكة ويثرب ،كانت الزعامة تأتي للرجال من منطلق الثروة والانتماء الاجتماعي والشرف في قومه وليس من منطلق ديني.

- نسجل استغلال العامل الديني في إذكاء الصراعات وخلق اللاستقرار، وإضعاف كيانات المنطقة من ذلك اشعال الصراع بين أتباع الديانات اليهودية والمسيحية في اليمن مما أدى إلى تدخل دولي تمثل في بيزنطة والأحباش في المنطقة ثم فارس في مابعد، مما عطل عجلة التطور في المنطقة، وهدم لها بنيتها السياسية وجعلها خاضعة تابعة لهذه القوى الأجنبية، مما أثر كثيرا على تطور النظام السياسي العربي القديم إلا أن الفتح الإسلامي غير الحياة السياسية والاجتماعية وأعطاها مفهوما وبعدا جديدين.

– تمكنت دول وإمارات الجنوب من إيجاد هياكل مادية ومعنوية لقيام هذا النظام السياسي، هياكل إدارية، تشريعات عديدة شملت كل المجالات، أنظمة عسكرية، تخطيط للحدود الجغرافية، وعلاقات دبلوماسية، وتجارة دولية، عملة التداول النقدي المحلي والدولي مؤسسات مختلفة ترعى شؤون المجتمع وفق تنظيمات تشريعية.

– تمكنت دول الجنوب من تحضير وتنظيم الكثير من التجمعات البدوية وإدماجهم في خضم المجتمعات المدنية

– تمكنت الممالك والإمارات التي قامت في شمال شبه الجزيرة العربية من تأسيس أنظمة سياسية متطورة ومتكاملة مستفيدة من أنظمة جنوب الجزيرة، بحكم أنها استوطنت المنطقة قبل هجرتها نحو الشمال وبحكم موقعها الجغرافي جعلها تؤسس نظاما متطورا على غرار النظام الفارسي والبيزنطي تمظهر ذلك في الدولة الغسانية ودولة المناذرة.

– أكدت لنا مختلف المصادر مدى أهمية التراث الأدبي ذو المضامين السياسية التي خلفتها مختلف الدول والإمارات في المنطقة، حيث دل ذلك على نضوج سياسي كبير وعلى دراية عالية بإدارة شؤون الناس في هذه المناطق.

– يشكل هذا التراث اللبنة الأساسية لدراسة بدايات ظهور الفكر السياسي العربي القديم،مما يؤكد على تطور النظام السياسي العربي القديم.

– نسجل وجود تراكم للتراث الأدبي ذو المضمون السياسي ،تجلى ذلك في تلك الكتابات الكثيرة التي عثر عليها في شتى ربوع شبه الجزيرة العربية خاصة في جنوبها، والتي حملت لنا الكثير من المعطيات حول طبيعة هذه الأنظمة وتطورها منها عشرة آلاف كتابة يمنية اكتشفها وترجم الكثير منها جوزيف هاليفي

–كما نسجل أن تدخل القوى الخارجية في الشأن السياسي العربي القديم كان لتحقيق أهداف سياسية بجعل مختلف الكيانات السياسية تابعة لإحدى هذه القوى المتصارعة حول خيرات الجزيرة العربية، منها روما وبيزنطة وفارس والأحباش، مما عطل تطور النظام السياسي العربي بالشكل الطبيعي، سواء بتدخلاته العسكرية المباشرة أو الغير مباشرة، أو بضرب المرتكزات الاقتصادية خاصة التجارة.

الملاحق

1. قوائم الملوك والحكام:

قائمتين لمكارب سبأ وهي نموذجين لوجود اختلاف في تحديد عدد الملوك وفترات حكمهم عند المؤرخين

الرقم	اسم المكرب	فترة حكمه
1	سمهعلي (سمه على) بن ذمار علي	820-850 ق م
2	يدع آل ذرح بن سمهعلي ينوف	820 حتى 800 ق م
3	سمهعلي ينوف بن يدع آل ذرح	780-800 ق م
4	يدع آل بين بن يثعمر	750-780 ق م
5	يثعمر وتاربن يدع آل ذرح	730-750 ق م
6	ذمار علي ذرح بن آل بين	720-730 ق م
7	كرب آل بيين بن يغثمر	700-720 ق م
8	يغتمر وتاربن كربال بيين	700-720 ق م
9	ذمار على وتاربن كربال بين	680-700 ق م
10	سمهعلى ينوف بن ذمار على وتار	680 حتى 660 ق م
11	كربال وتارين ذمار على وتار	660 حتى 640 ق م
12	يثعمر بيين بن سمهعلى	640 حتى 620 ق م
13	كرب آل وتار (آخر المكربين)	620 حتى 610 ق م

حسين شرف الدين،المرجع السابق، ص23

الرقم	اسم المكرب	فترة حكمه
1	سمه علي	/
2	يدع آل ذريح	/
3	يثع أمر وتر	/
4	يدع آيل بيين	/
5	يثع أمر	/
6	كرب آيل بيين	/
7	ذمار على وتار	/
8	سمة علي ينوف	/
9	يثع أمرٍ بيين	/
10	كرب آيل وتار	/

محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص162.

قائمة ملوك سبأ التي وضعها فليبي:

الرقم	اسم الملك	فترة الحكم
1	كرب آل وتعار	600-620 ق م
2	سمهعلي درح بن سمهعلي	580-600 ق م
3	كرب ايل وتاربن سمهعلي ذرح	560-570 ق م
4	يدع آل بيين بن كربال وتار	540-560 ق م
5	يكرب ملك وتاربن يدع آل بيين	520-540 ق م
6	يثعمر بيين بن يكرب ملك وتار	500-520 ق م
7	كرب آل وتاربن يثعمر بيين	430-500 ق م
8	سمهعلي ينوف	460-480 ق م
9	الشرح بن سمهعلي ينوف	445-460 ق م
10	ذمار علي بيين بن يدع آل	410-430 ق م
11	ذمار علي بيين بن يدع آل	390-410 ق م
12	كرب آل وتار بن ذمار علي بيين	350-390 ق م
13	كرب يهنعم	330-350 ق م
14	كرب آل وتار	290-310 ق م
15	وهب آل	290-310 ق م
16	انمار يهنعم	270-290 ق م
17	ذمار على ذرح بن انمار يهنعم	250-270 ق م
18	نشأكرب يهنعم بن ذمار عل ذرح	200-250 ق م
19	ياسر يهنعم (ناشر النعم)	180-200 ق م
20	وهب آل يحز	160-180 ق م
21	كرب آل وتار يهنعم بن وهبال يحز	145-160 ق م
22	يوم ايمن والد عاهان	115-145 ق م
23	فرعم ينهب	125-130 ق م
24	الشرح يحضبين فرعم ينهب	115-125 ق م

جواد علي، المرجع السابق، ج2، ص350.

قائمة ملوك حضرموت التي وضعها فليبي:

الرقم	اسم الملك	سنة الحكم
1	صدق إل وهو ملك حضر موت ومعين	1020 ق.م
2	شهرعلي بن صدق إيل	1000 ق.م
3	معد يكرب بن اليفع يثع	980 ق.م
4	سمع ذبيان بم ملك كرب	590 ق.م
5	يدع إيل بين بن سمه يفع	/
6	يدع إيل بين بن رب شمس	180 ق.م
7	إل يفع ريام بن يدع ال بين	160 ق.م
8	يدع أب غيلان بن يدعإيل بين	140 ق.م
9	ال عز بن يدع أب غيلان	120 ق.م
10	يدع أب غيلان بن أميم	100 ق.م
11	يدع إل بين بن يدع أب غيلان	80 ق.م
12	عم ذكر أوذخر ولم يذكر اسم أبيه	35 ق.م
13	إل عز بليط بن عم ذكر او ذخر	15 ق.م
14	الهان بن علهان	5 ق.م
15	إل عز يلبط بن ألهان	35-65 م
16	أب يزع أويسع وكان مكربا	65 م
17	يرعش بن أب يزع وكان مكربا	85 م
18	علهان بن يرعش وكان مكربا	105-125م

محمد يحي الحداد،المرجع السابق، ج1،ص 57 – 59.

قائمة مكارب وملوك قتبان التي وضعها فليبي:

الرقم	اسم المكرب أو الملك	سنة الحكم
1	سمه علي (مكرب)	865 ق.م
2	هوف عم يهنعم بن سمه علي (مكرب)	845 ق.م
3	شهر يجل يهرجب بن هوف عم (ملكا)	825 ق.م
4	وروال غيلن يهنعم بن شهر يجل يهرجب (ملكا)	800 ق.م
5	فرع كرب يهوضع بن شهر يجل يهرجب (ملكا)	785 ق.م
6	شهر هلل بن ذرا كرب بن شهر يجل يهرجب (ملكا)	770 ق.م
7	يدع أب ذبين يهرجب بن شهر هلل (ملكا)	750 ق.م
8	لم يعرف اسمه بن شهر هلل	735 ق.م
9	شهر هلل يهنعم بن يدع اب ذبين يهرجب	720 ق.م
10	نبط عم بن شهر هلل	700 ق.م
11	يدع أب ينف أو يجل	680 ق.م
12	لم يعرف اسمه	660 ق.م
13	سمه وتر بين	640 ق.م
14	وروال... بن سمه وتر	620 ق.م
15	أب شبم ولم يعرف اسم أبيه	590 ق.م
16	اب عم بن اب شبم	570 ق.م
17	شهر غيلن بن اب شبم	555 ق.م

جواد علي،المرجع السابق، ج2،ص 236 – 238.

فهرس الخرائط والأشكال

2. فهرس الخرائط والأشكال:

أولا: الخرائط:

ثانيا: الأشكال:

الخرائط والأشكال

أ. الخرائط:

الخريطة رقم (01)

توضح موقع شبه الجزيرة العربية، والحدود المائية لها

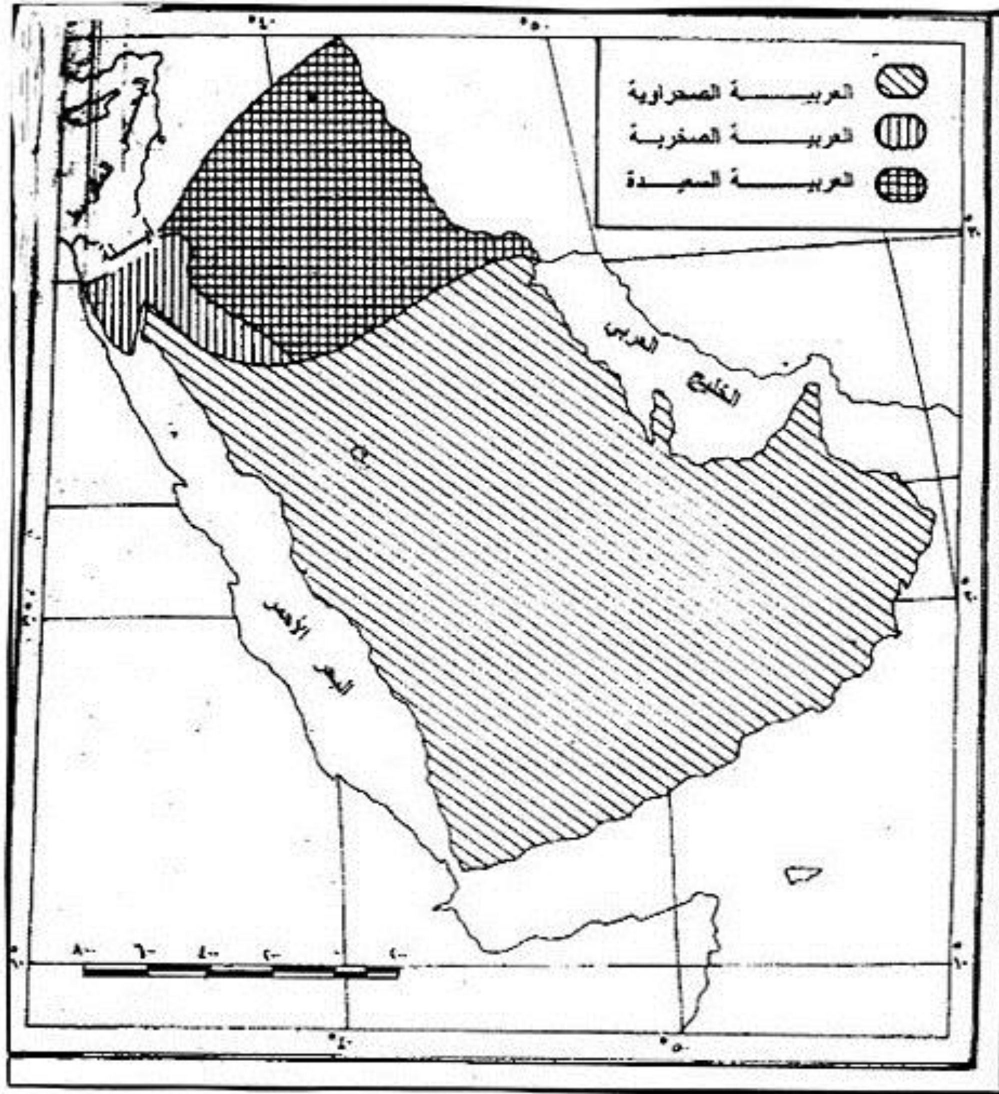


محسن نجم الدين،مختصر تاريخ شبه الجزيرة العربية،

ج2، القاهرة، ص 7.

الخريطة رقم (02)

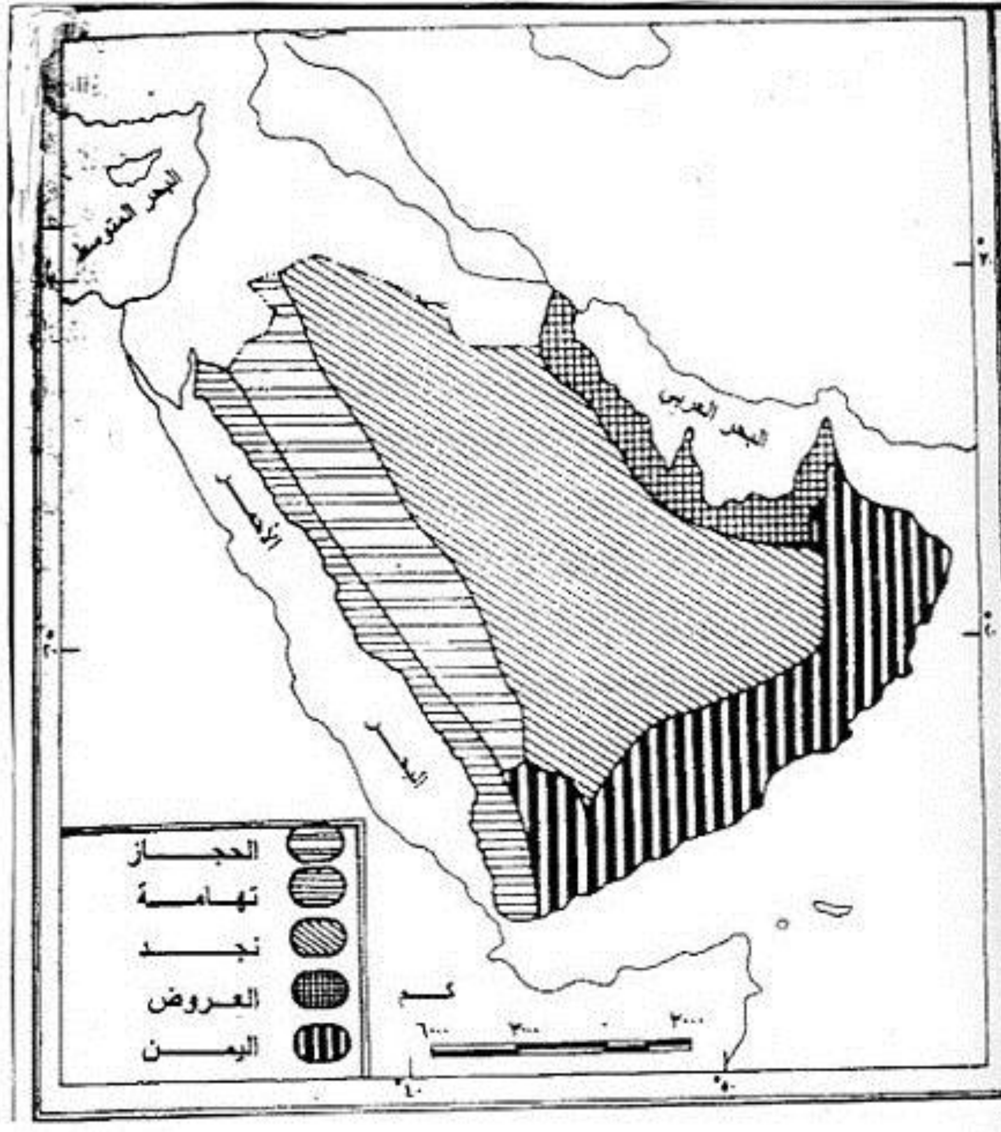
توضح الأقاليم الجغرافية لشبه الجزيرة العربية كما تصورها بطليموس في العصر الروماني



عبد المنعم عبد الحليم سيد وأخرون، تاريخ وحضارة العرب القديم،
د.د.ن،د.ب،2008 م،ص 256.

الخريطة رقم(03)

توضح التقسيم العربي لشبه الجزيرة العربية



عبد المنعم عبد الحليم سيد،المرجع السابق،ص 255.

الخريطة رقم (**04**)

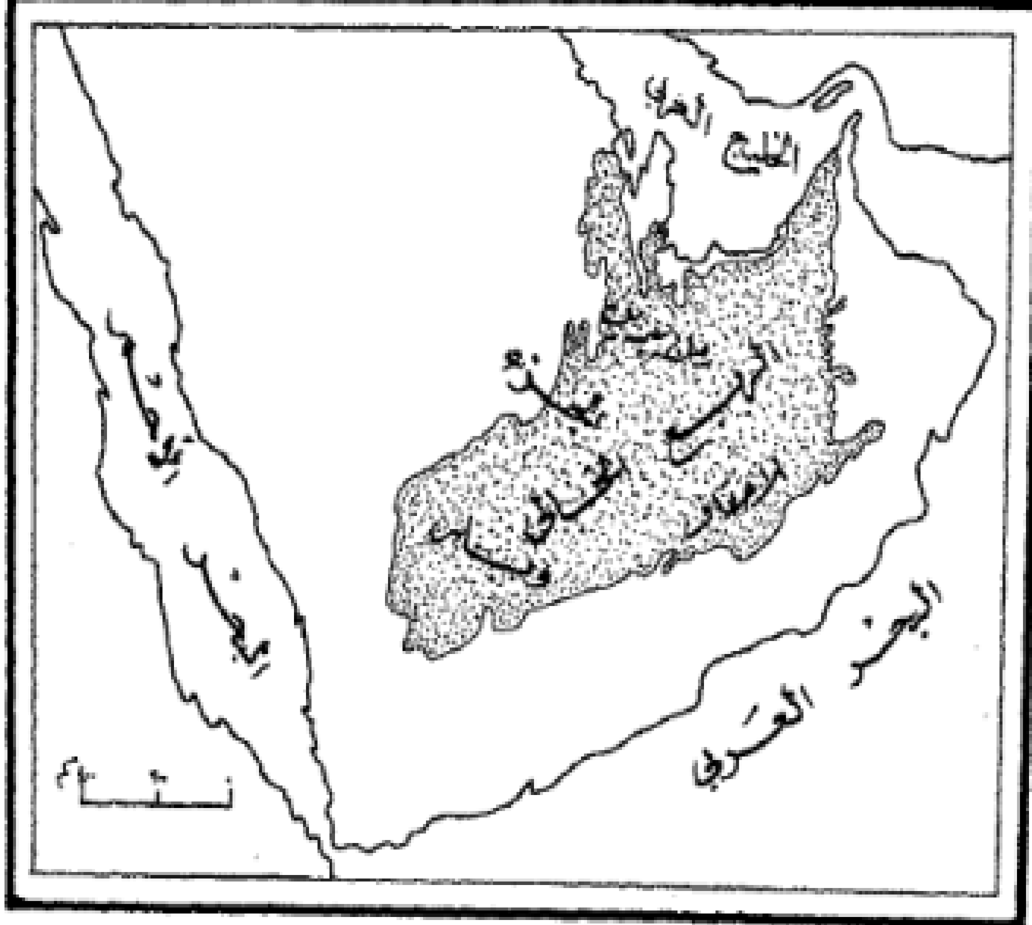
خريطة بطليموس للعربية السعيدة

مصطفى أبو ضيف أحمد، دراسات في تاريخ الدولة العربية،ط4،

بدار النشر المغربية،1986،ص 60

الخريطة رقم (05)

توضح الربع الخالي وأقسامه الجغرافية



عبد الله يوسف الغنيم، أقاليم الجزيرة العربية، بين الكتابات العربية القديمة والدراسات المعاصرة، قسم الجغرافيا، جامعة الكويت، 1981م، ص 81

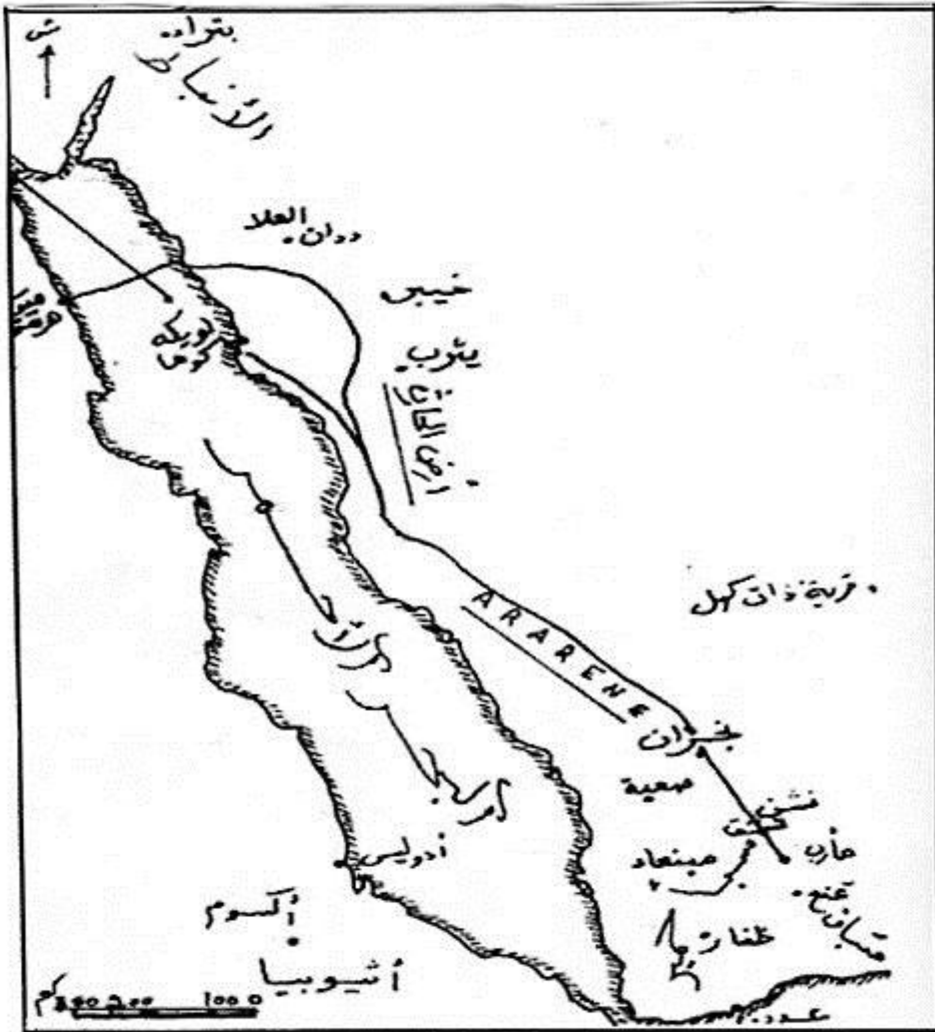
الخريطة رقم (06)

توضح القبائل العربية قبل الإسلام

محمود عرفة محمود، المرجع السابق، ص 43.

الخريطة رقم (07)

توضح مسار سير الحملة الى مملكة سبأ التي قادها اليوس جاليوس 42 ق.م



اسمهان سعيد الجرو،(التاريخ السياسي...)،المرجع السابق،ص 183

الخريطة رقم (08)

توضح أسواق العرب



https :www.alkaleejonline.com

الخريطة رقم (09)

توضح الطرق التجارية الرئيسية في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام

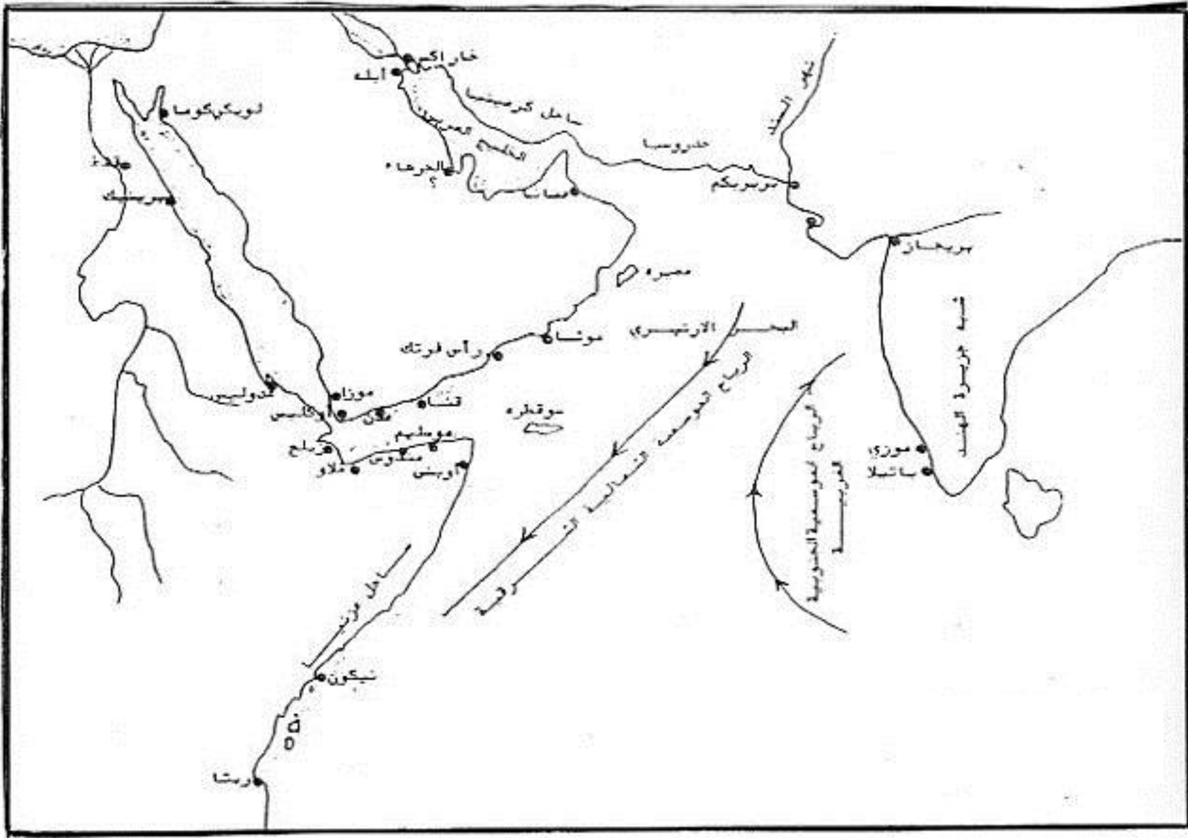


حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام،ط1،

الزهراء للإعلام العربي،القاهرة،، 1987 ص 59.

الخريطة رقم (10)

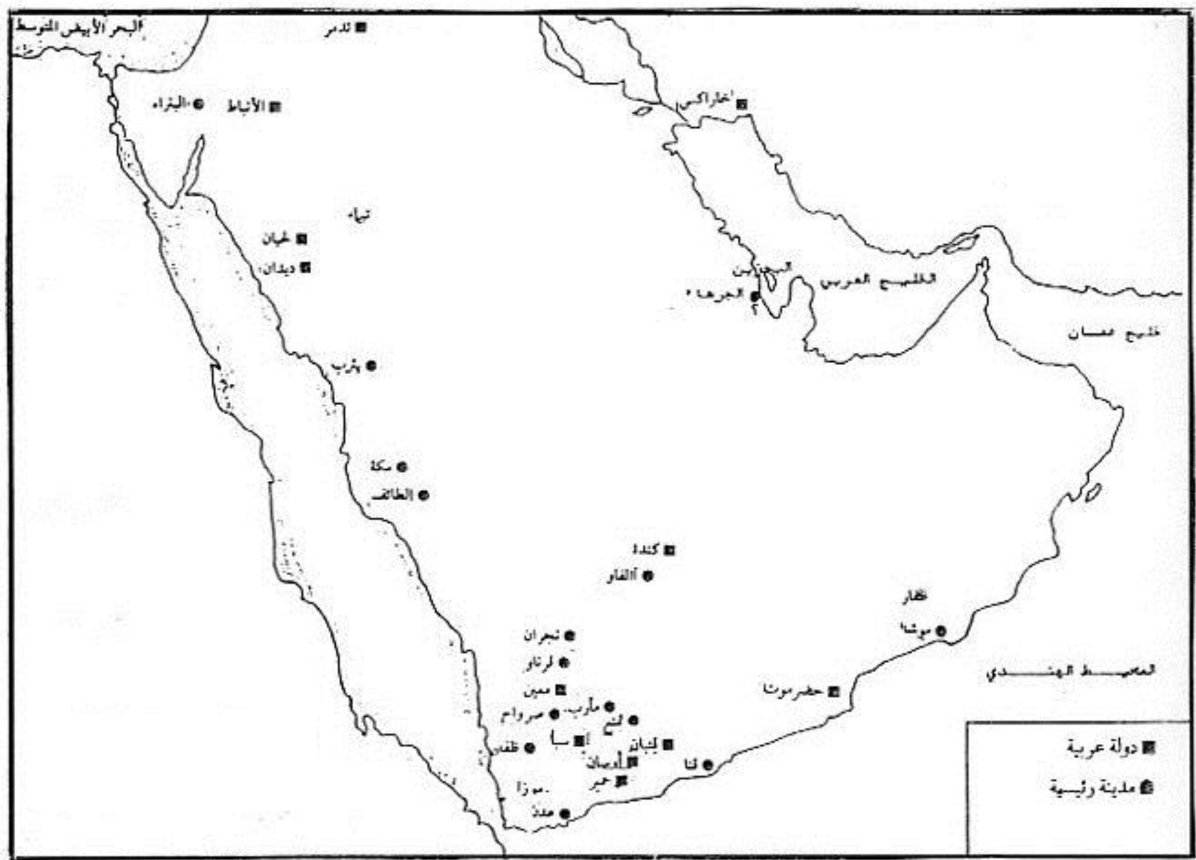
توضح الموانئ العربية والأجنبية



علي محمد معطي، المرجع السابق، ص 272

الخريطة رقم (11)

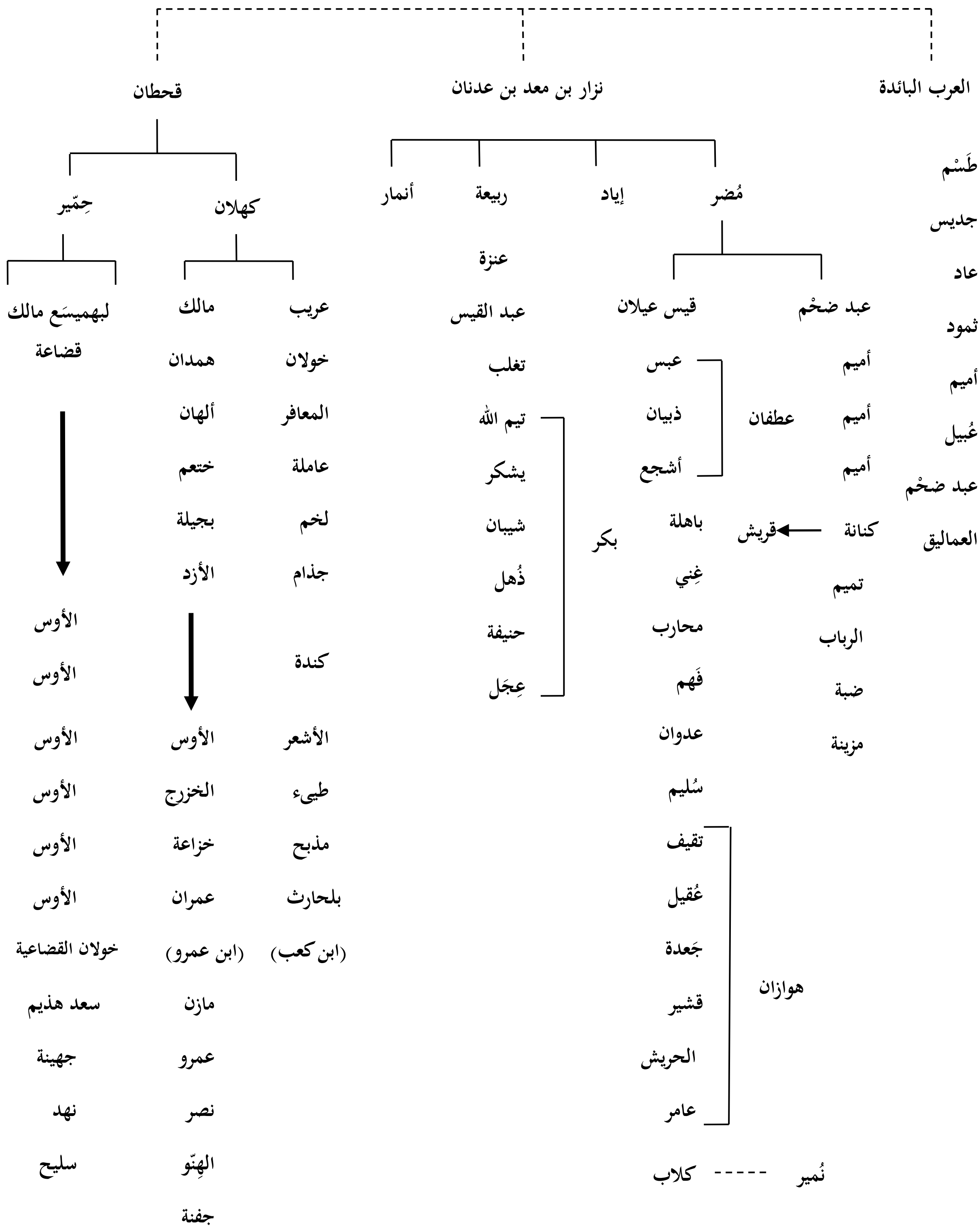
تمثل الكيانات السياسية في الجزيرة العربية



علي محمد معطي، المرجع السابق، ص 274

ب. الأشكال:

الشكل رقم(01) شجرة أنساب العرب



الشكل رقم (02): نقش عنان 54

زيد علي عنان،المرجع السابق، ص 385

الشكل رقم (03) نقيشة أرياني 19

مطهر علي الأرياني، المرجع السابق، ص 149

شكل (04) نقيشة (Res 354)

١- [illegible]

٢- [illegible]

٣- [illegible]

٤- [illegible]

٥- [illegible]

٦- [illegible]

٧- [illegible]

٨- [illegible]

٩- [illegible]

١٠- [illegible]

نورة عبد الله علي العليم،(التشريعات...)،

المرجع السابق، ص 261-262

شكل رقم (05) GL 1628

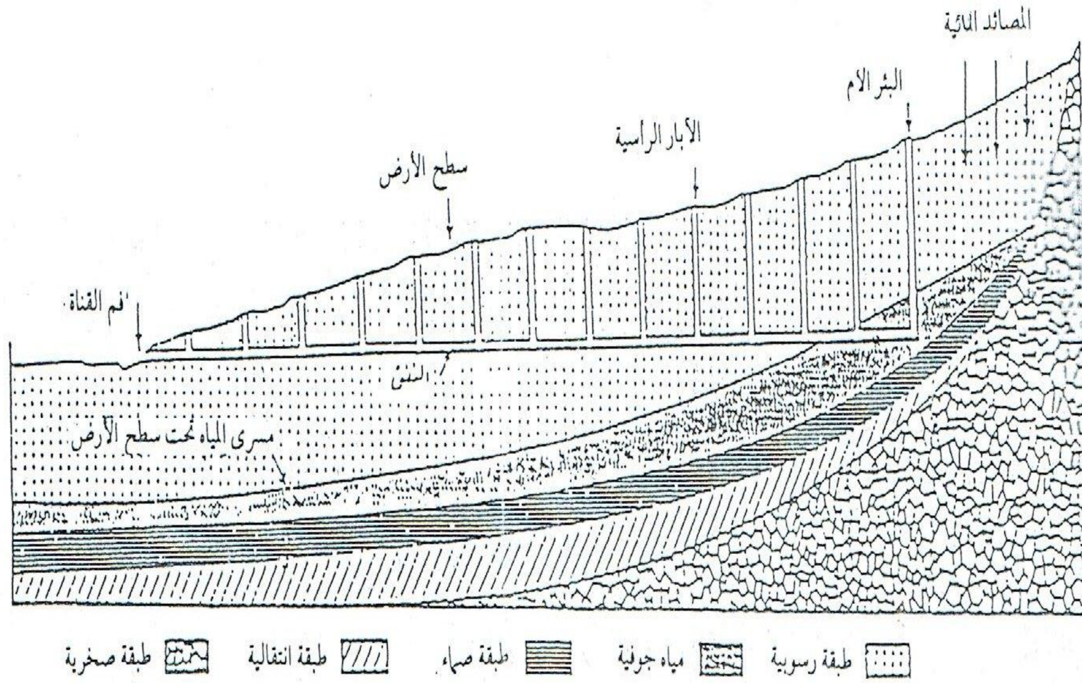
١- [illegible] [حروف ١٠-+] [illegible]
[illegible]
٢- [illegible]
[illegible]
٣- [illegible]
[illegible]

٤- [illegible]
[illegible].........
٥- [illegible] [+- ٩حروف] [illegible] ..
.....[illegible]
٦- [illegible] [+-٦حروف] [illegible] ... [illegible] [+-٧حروف] [illegible]
...[illegible]
٧- [illegible] [+-٣٥حرف] [illegible]...

نورة عبد الله علي النعيم،(التشريعات...)،

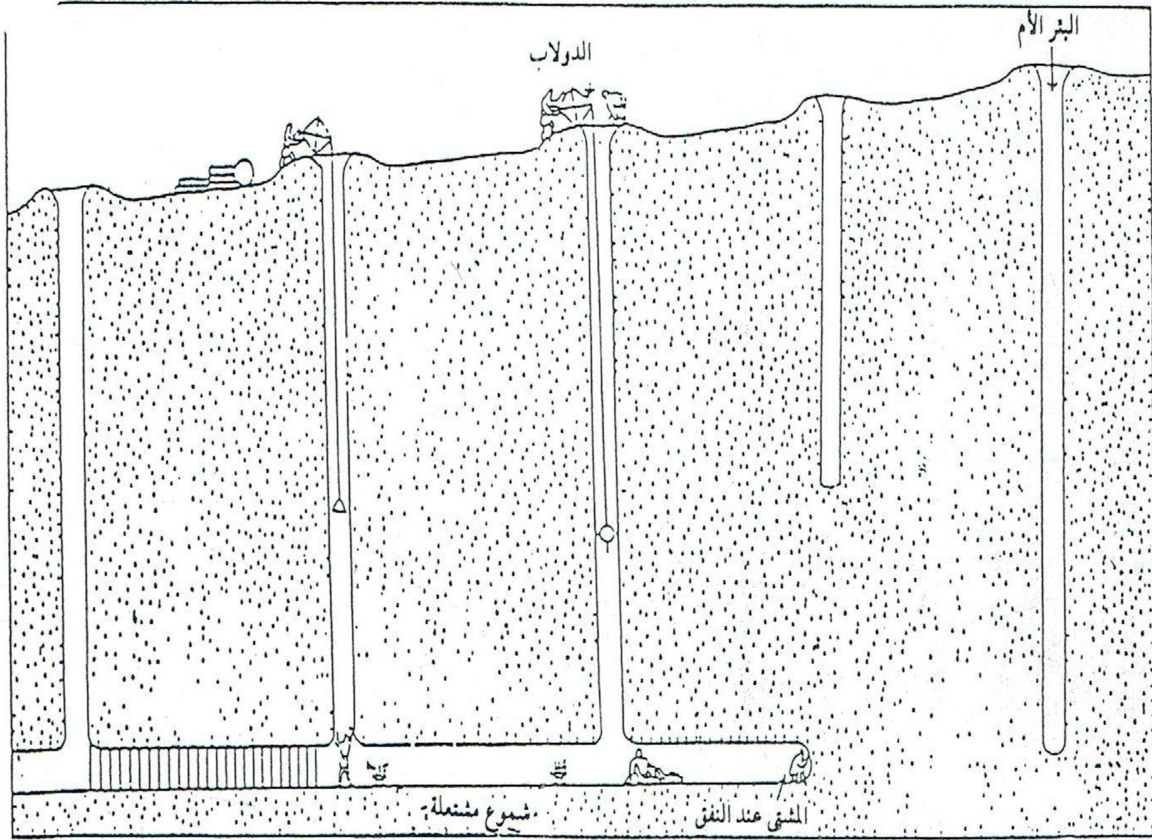
المرجع السابق،ص 510

الشكل رقم (06)، مخطط يوضح كيفية جلب الماء المحفوظ تحت سطح الأرض ليجري على وجه الأرض في موقع أخر أقل ارتفاعا.



علي محمد معطي، المرجع السابق، ص 277

الشكل رقم (07)،مخطط يوضح طريقة حفر القناة وقد بدأ العمل من نقطة مخرجها إلى سطح الأرض في اتجاه البئر الأم التي سبق حفرها في مكان تتوفر فيه المياه تحت سطح الارض.



علي محمد معطي، المرجع السابق، ص 276

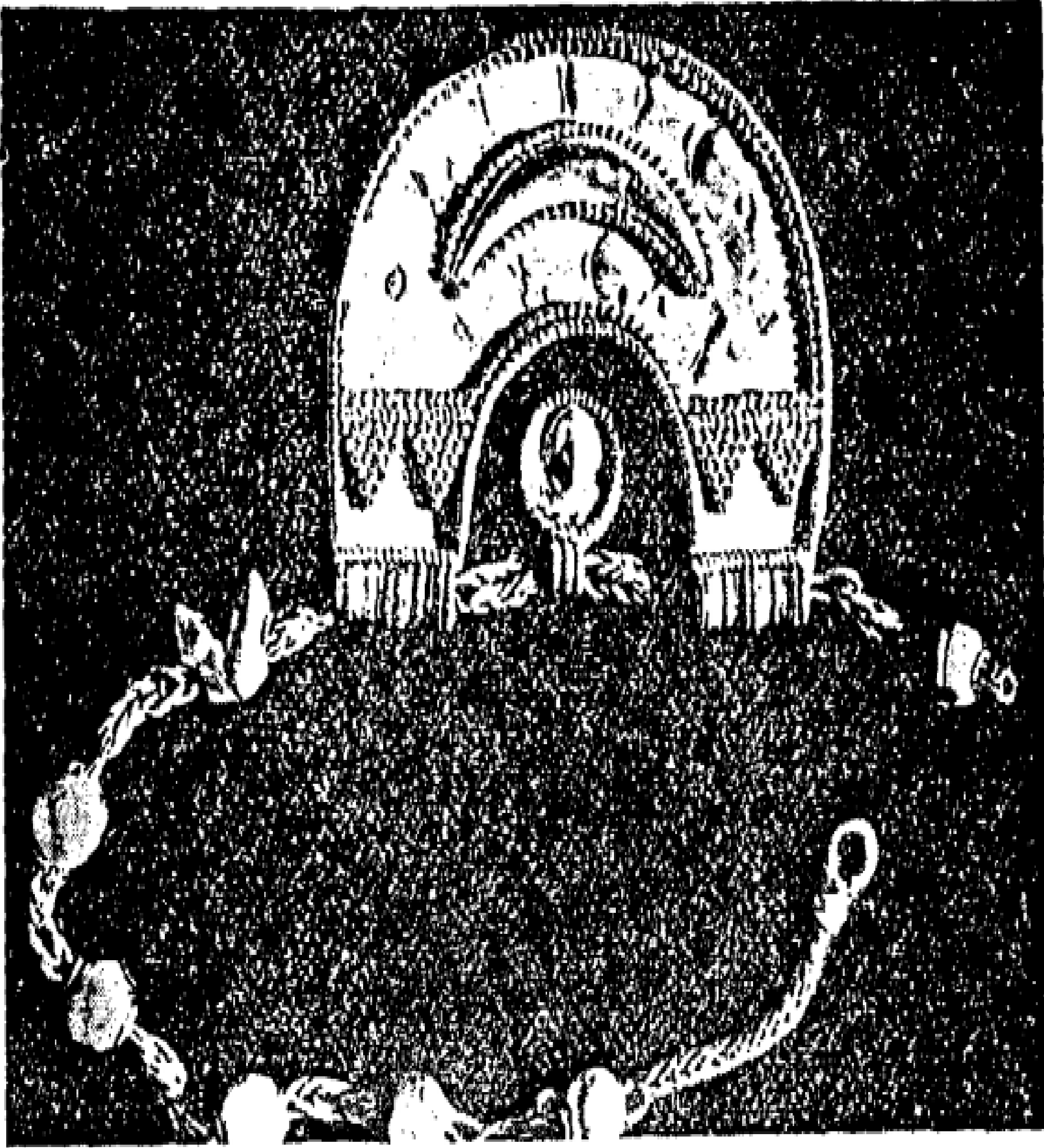
شكل رقم (08) يوضح صور حديثة لسد مأرب





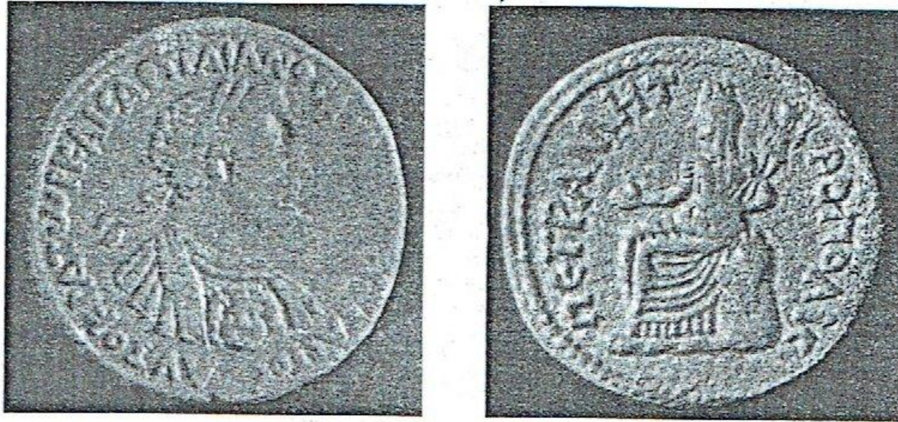
سليمان بن عبد الرحمان الذييب، الحملة الرومانية الأولى على جنوب غرب شبه الجزيرة العربية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراساتالإسلامية،السعودية،2015م،ص 64

شكل رقم (09) يبين قلادة من الذهب الخالص تعود الى القتابنيين



جواد علي،المرجع السابق، ج8،ص 56

الشكل رقم (10أ) يوضح نماذج لعملة نبطية.



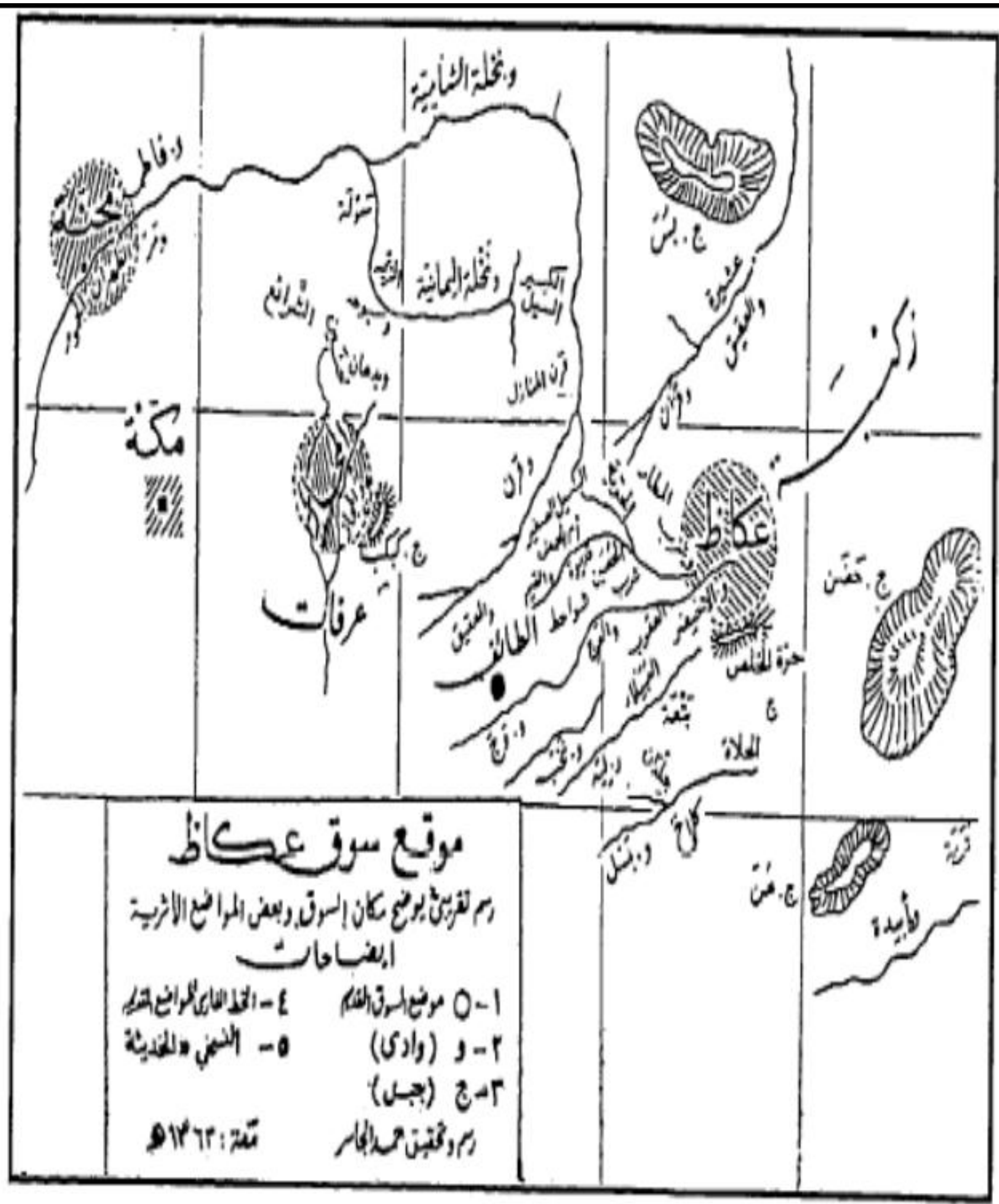
علي محمد معطي، المرجع السابق، ص 281

الشكل رقم(10ب) نماذج من النقود الحميرية وقد كتب عليها اسم الملك (غمدان ابن ريدان)



أحمد حسين شرف الدين، اليمن عبر التاريخ، ط2، د.د.ن، القاهرة، 1964، ص 115

شكل رقم (11) يوضح موقع سوق عكاظ



محمد حمور عرفان،سوق عكاظ ومواسم الحج،ط1،

مؤسسة الرحاب الحديثة،بيروت،2000،ص 19

الشكل رقم (12) نقيشة (RES : 3699)

١- ... [illegible]

٢- ... [illegible]

٣- ... [illegible]

٤- ... [illegible]

٥- ... [illegible]

٦- ... [illegible]

نورة عبد الله علي النعيم،(التشريعات...)،
المرجع السابق ، ص 715

قائمة المصادر والمراجع

أ. المصادر باللغة العربية:

القرآن الكريم.

التوراة.

1. ابن الأثير ابي الحسن علي بن أبي الكرم، **الكامل في التاريخ**، تحقيق أبي الفدا عبد الله القاضي، مج1، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1407هـ-1987م.

2. ابن الفقيه أبي عبد الله أحمد بن اسحاق الهمذاني، **كتاب البلدان**، تحقيق يوسف الهادي، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1996م.

3. ابن خلدون عبد الرحمان، **تاريخ ابن خلدون**، مراجعة سهيل زكار، ج2، (د. ط)، دار الفكر، بيروت، 2000م.

4. ــــــــــــــــ، **مقدمة ابن خلدون**، مراجعة سهيل زكار، ج1، (د. ط)، دار الفكر، بيروت، 2001م.

5. ابن هشام أبو محمد عبد الملك، **السيرة النبوية**، ج1، ط3، دار الكتاب العربي، بيروت، 1990م.

6. أبو الفدا عماد الدين اسماعيل، **المختصر في أخبار البشر**، ج1، ط1، المطبعة الحسينية المصرية، (د. ت).

7. ابن الكلبي أبو المنذر هشام بن محمد، **كتاب الأصنام**، تحقيق أحمد زكي باشا، (د. ط)، دار مكتبة الحياة، بيروت، (د. ت).

8. الأزرقي أبي الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد، **أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار**، تحقيق، عبد الملم بن عبد الله بن دهيش، ط1، 2003م.

9. الأصفهاني، حمزة بن الحسن، **تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء**، (د. ط)، دار مكتبة الحياة، بيروت، (د. ت).

10. الألوسي محمد شكري، **بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب**، ج3، ط1، دار السلام، 1314هـ.

11. ــــــــــــــــ، **بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب**، تحقيق محمد بهجة الأثري، ج1، ج2، ط2، د. د. ن، (د. ت).

12. الأندلسي ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، تحقيق محمد قميمة، ج2، (د. ط)، دار الكتب العلمية، بيروت (د. ت).

13. الحموي ياقوت شهاب الدين أبي عبد الله، **معجم البلدان**، ج1، ج2، ج3، ج4، ج5، (د. ط)، دار صادر، بيروت، 1397هـ-1977م.

14. الطبري محمد بن جرير، **تاريخ الأمم والملوك**، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، مج1، ط1، دار المعارف، مصر (د. ت).

15. القلقشندي أبي العباس أحمد بن علي، **نهاية الأدب في معرفة أنساب العرب**، دار الكتب العلمية، بيروت، 1971م.

16. المسعودي أبي الحسن علي بن الحسين بن علي، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، مراجعة كمال حسين مرعي، ج2، (د. ط)، المكتبة العصرية، بيروت، (د. ت).

17. الهمذاني الحسن بن أحمد بن يعقوب، **الإكليل**، تحقيق محمد بن علي الحسن الأكوع، ج2، (د. ط)، مكتبة الكاتب العربي، دمشق، 1979م.

18. ______________، **صفة جزيرة العرب**، تحقيق، محمد بن علي الأكوع الحوالي، ط1، مكتبة الإرشاد، صنعاء، 1410هـ-1990م.

ب. المصادر باللغة الأجنبية:

1. Herodotus, ***The history of Herodatus***, translation by A. D. Godly London, 1981.
2. Philby, J. B, ***the backup round of Islam***, Alexandria, 1949.
3. Pliny, ***Natural History***, translation by Rackhom (H), London, 1957, V6.
4. Strabo, ***the geography of Strabo***, tans by h l Jones, vol 8, London, 1949.

ج. قائمة المراجع باللغة العربية:

1. أبو ضيف أحمد مصطفى، **دراسات في تاريخ الدولة العربية**، ط4، دار النشر المغربية،1986م.

2. إحسان عباس، **تاريخ دولة الأنباط**، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن.

3. الأرياني مطهر علي، **في تاريخ اليمن (نقوش مسندية)**، ط2، مركز الدراسات والبحوث اليمني، 1990م.

4. اسماعيل حلمي محروس، **الشرق العربي القديم وحضارته**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1977م.

5. الأفغاني سعيد، **أسواق العرب في الجاهلية والاسلام**، ط3، دار الفكر، 1974م.

6. أمين أحمد، **فجر الإسلام**، ط10، دار الكتاب العربي، بيروت، 1969م.

7. الأنصاري عبد الرحمان الطيب، **قرية الفاو مورة للحضارة العربية قبل الإسلام**، الرياض، 1982م.

8. الأنصاري عبد الرحمان الطيب، **قرية الفاو مورة للحضارة العربية قبل الإسلام**، الرياض، 1982م.

9. بافقية محمد عبد القادر، **تاريخ اليمن القديم**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1985م.

10. بروكلمان كارل، **تاريخ الشعوب الإسلامية**، ترجمة نبية أمين فارس ومنير البعلبكي، ط5، دار العلم للملايين، بيروت، 1968م.

11. بشير خالد، **متى ظهر مسمى العرب في التاريخ** وعلى من أطلق حفريات عراقية،2020م.

12. بطليموس كلاوديوس، **الجزيرة العربية**، تر، السيد جاد، دار السلك عبد العزيز، الرياض، 2017م.

13. بكر منذر عبد الكريم، **دراسات في تاريخ العرب قبل الاسلام**، جامعة بغداد، 1980م.

14. بن محمد شايع عبد الله، **أطلس الشواهد الأثرية على مسارات طرق القوافل القديمة في شبه جزيرة العرب**، الرياض.

15. التميمي ماجد طلال حسن هاشم، **الفكر السياسي للممالك اليمنية القديمة (حتى نهاية مملكة حمير)**، ط1، دار كلكامش للطباعة والنشر، 2019م.

16. توفيق برو، **تاريخ العرب القديم**، ط2، دار الفكر، دمشق، 1996.

17. الجابري محمد عابد، **فكر ابن خلدون (العصبية والدولة)**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.

18. جاد المولى بك محمد أحمد، وآخرون، **أيام العرب في الجاهلية**، منشورات المكتبة العصرية، بيروت.

19. جاسم محمد زكريا، **مبادئ علم السياسة**، ط1، دمشق، 2013م.

20. جبران نعمان محمود، وآخرون، **دراسات في تاريخ الجزيرة العربية قبل الإسلام**، مؤسسة حمادة للخدمات الجامعية، الأردن، 1998م.

21. الجرو اسمهان سعيد، **التاريخ السياسي القديم لجنوب شبه الجزيرة العربية**، اليمن القديم، مؤسسة حمادة للخدمات والدراسات الجامعية، الأردن، 1996م.

22. الجرو اسمهان سعيد، **دراسات في التاريخ الحضاري لليمن القديم**، دار الكتاب الحديث، 2003.

23. الجريسي خالد عبد الرحمان، **العصبية القبلية من المنظور الإسلامي**، مؤسسة الجريسي، 1426هـ.

24. الجنابي قيس حاتم هاني، **العلاقات السياسية يسن تدمر والرومان حتى عام 273م**، 2018م.

25. جواد علي، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام والأجزاء** (**ج1، ج2، ج3، ج4، ج5، ج6، ج7**)، ط3، بيروت، 1993م

26. ــــــــــــــ، **أبحاث في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ط4، ج1، المركز الأكاديمي، للأبحاث، 2011م.

27. جورجي زيدان، **العرب قبل الإسلام**، د.ط، مطبعة الهلال، مصر 1992م.

28. جون واكون، **القدس تحت حكم روما وبيزنطة**، كامل الصليبي، عمان 1992-1993م.

29. الحداد محمد يحي، **تاريخ اليمن السياسي**، ج1، ط2، دار وهران للطباعة والنشر، القاهرة، 1968م.

30. حسين الحاج حسن، **حضارة العرب في عصر الجاهلية**، ط3، المؤسسة الجامعية، بيروت، 1997.

31. حسنين فؤاد، **التاريخ العام لبلاد العرب الجنوبية**، من كتاب التاريخ القديم.

32. الحمد جواد مطر، **الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في اليمن القديم**، ط1، دار الثقافة العربية للشارقة، 2002م.

33. حمور عرفات محمد، **المرأة في الشعر الجاهلي**، ط2، مطبعة نهضة مصر.

34. ــــــــــــــ، **مواسم العرب الكبرى**، ج1، مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت.

35. الحوفي أحمد محمد، **الحياة العربية من الشعر الجاهلي**، ط2، مطبعة نهضة مصر.

36. ــــــــــــــ، **المرأة في الشعر الجاهلي**، ط2، دار الفكر العربي د. ت.

37. خربوطلي شكران، **سطور منسية في تاريخ الحجاز، الحياة الاجتماعية في الحجاز قبل الإسلام**، دار مؤسسة رسلان للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، 2011م.

38. دلو برهان الدين، **جزيرة العرب قبل الإسلام**، ج1، بيروت، 1989م.

39. الدوري عبد العزيز، **مقدمة في تاريخ صدر الإسلام**، مركز دراسات الوحدة العربية، الإسكندرية، 1989م.

40. دون مؤلف، **اليمن في بلاد ملكة سبأ**، ترجمة بدر الدين عرودكي، مراجعة يوسف محمد عبد الله، معهد العالم العربي، الأهالي، 1999م.

41. ديتلف نيلسن، **الديانة العربية القديمة**، من كتاب التاريخ العربي القديم، ترجمة، فؤاد حسنين، مكتبة النهضة المصرية، 1958م.

42. ديزيرة سقال، **العرب في العصر الجاهلي**، ط1، دار الصداقة العربية، بيروت، 1995م.

43. ذراع الطاهر، **المجتمع العربي القديم وحضارته**، ج1، (د د ن)، 2010م.

44. الذيب سليمان بن عبد الرحمان، **الحملة الرومانية الأولى على جنوب غرب شبه الجزيرة العربية**، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، السعودية، 2015م.

45. رحماني بلقاسم، **حضارة العرب القديمة**، (**الحضارة اليمنية أنموذجا**)، ج1، قسنطينة،2009م.

46. رودكاناكيس نيكولوس، **الحياة العامة للدول العربية الجنوبية**، من كتاب التاريخ العربي القديم، ترجمة فؤاد حسنين، دار النهضة المصرية، 1958م.

47. الزيات حبيب، **المرأة في الجاهلية**، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2021م.

48. سالم السيد عبد العزيز، **دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام**، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 2006م.

49. السامرائي نعمان عبد الرزاق، **النظام السياسي في الاسلام**، ط2، الرياض، 2000م.

50. السايح ابراهيم، **النظم السياسية والاقتصادية في شبه الجزيرة العربية**، ط1، دار البستاني للنشر والتوزيع، مصر، 2001م.

51. ستيبنو موسكاتي، **الحضارات السامية القديمة**، ترجمة: السيد يعقوب بكر، دار الرقي، بيروت، 1986م.

52. السعيد عصام، **تاريخ العرب في العصور القديمة**، دار المعرفة الجامعية، بيروت، 2000م.

53. سليم أحمد أمين، **جوانب من تاريخ وحضارة العرب في العصور القديمة**، دار المعرفة الجامعية، 1997م.

54. ـــــــــــــ، **معالم تاريخ العرب قبل الإسلام**، بيروت.

55. سميح دغيم، **اليمن عبر التاريخ**، ط2، القاهرة، 1964م.

56. ـــــــــــ، **أديان ومعتقدات العرب قبل الإسلام**، ط1، دار الفكر اللبناني، 1995م.

57. السوداني صلاح عباس حسن، **الحياة الاجتماعية في الحجاز قبل الإسلام**، ط1، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، 2016م.

58. سيد أمير علي، **مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامي**، ترجمة، رياض رأفت، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1938م.

59. شاكر محمود، **شبه جزيرة العرب، عسير**، المكتب الإسلامي، دمشق.

60. الشرجبي عادل مجاهد وآخرون، **الدور السياسي للقبيلة في اليمن**، المرصد اليمني لحقوق الإنسان، صنعاء، 2009م.

61. شرف الدين أحمد حسين، **اليمن عبر التاريخ**، ط2، القاهرة، 1964م.

62. ـــــــــــــــ، **مسالك القوافل التجارية في شمال الجزيرة العربية وجنوبها**، الكتاب الثاني، دراسات تاريخ الجزيرة العربية، جامعة الملك سعود.

63. الشريف أحمد ابراهيم، **مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول**، دار الفكر العربي، 1985م.

64. شكران خربوطلي، وآخرون، **تاريخ الوطن العربي القديم**، منشورات جامعة دمشق، 1999م.

65. الشمري محمد حمزة جار الله، **شبه جزيرة العرب وأثرها في النشاط الاقتصادي البحري قبل الإسلام**، بغداد، 2004م.

66. شهاب حسن صالح، **أضواء على تاريخ اليمن البحري**، بيروت، 1981م.

67. الشوارب باسل، **الأنظمة السياسية والإقتصادية في شبه الجزيرة العربية**، ط1، دار البستاني للنشر والتوزيع، مصر، 2001م.

68. الشيخ حسين، **العرب قبل الإسلام**، دار المعرفة الجامعية، 1993م.

69. صالح عبد العزيز، **تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2010م.

70. ضيف شوقي، **تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي)**، ط13، دار المعارف، القاهرة.

71. طه أبو العلا محمود، **جغرافية شبه الجزيرة العربية**، ج1، القاهرة، 1956م.

72. الطيباوي عبد اللطيف، **محاضرات في تاريخ العرب والإسلام**، ج2، بيروت، 1966م.

73. عبد الله يوسف محمد، **أوراق في تاريخ اليمن وآثاره**، ط2، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1990م.

74. عرفان محمد حمور، **سوق عكاظ ومواسم الحج**، ط1، مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت، 2000م.

75. العريفي منير عبد الجليل، **الفكر الديني في اليمن القديم**، مكتبة مدبولي، 2002م.

76. عفيفي عبد الله، **المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها**، ج1، ط2، مكتبة الثقافة، المملكة العربية السعودية، 1932م.

77. العلي صالح أحمد، **تاريخ العرب القديم والبعثة النبوية**، ط1، شركة المطبوعات، بيروت، 2000م.

78. ــــــــــــ، **محاضرات في تاريخ العرب**، ج1، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1968م.

79. عنان زيد علي، **تاريخ حضارة اليمن القديم**، ط1، المطبعة السلفية ومكتبتها.

80. الغنيم عبد الله يوسف، **أقاليم الجزيرة العربية**، الجمعية الجغرافية الكويتية، الكويت، 1981م.

81. فخري أحمد، **دراسات في تاريخ الشرق القديم (مصر– العراق–سوريا–اليمن–ايران)**، ط2، كلية الآداب، القاهرة.

82. فروخ عمر، **العرب في حضارتهم وثقافتهم**، دار العلم للملايين.

83. فقوس محمد سهيل، **تاريخ العرب قبل الإسلام**، ط1، دار النفائس، 2009م.

84. ــــــــ، **العرب والإسلام (في حوض الغربي من البحر الأبيض المتوسط)**، ط1،منشورات المكتب التجاري، بيروت، 1959م.

85. ــــــــ، **تاريخ الجاهلية**، دار العلم للملايين، بيروت، 1964م.

86. فليب حتي، **العرب، تاريخ موجز**، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1991م.

87. فياض أكبر، **تاريخ الجزيرة العربية والإسلام**، ترجمة عبد الوهاب علوب، ط1، جامعة القاهرة، 1993م.

88. فياض خليل فياض، **التجارة العربية ومراكزها في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام**، بيروت، 2006م.

89. الفيومي محمد ابراهيم، **تاريخ الفكر الديني الجاهلي**، ط4، دار الفكر العربي،1994م.

90. الكاظم صالح جواد، وآخرون، **الأنظمة السياسية**، جامعة بغداد،1990م.

91. كحالة عمر رضا، **أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام**، ج3، مؤسسة الرسالة، بيروت.

92. محروس إيناس، **أصل اللغة ولهجاتها، وهل اللهجات العامية لغات**، دمشق،2020 م.

93. محمود عرفة محمود، **العرب قبل الإسلام**، ط1، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية، القاهرة،1995م.

94. معطي علي محمد، **تاريخ العرب الإقتصادي قبل الإسلام**، ط1، دار المنهل اللبناني، بيروت، 2003م.

95. المعموري أحمد كاظم جواد، **الحياة الاجتماعية عند العرب قبل الإسلام**، ط1، دار الروضان، 2012م.

96. الملاح هاشم يحي، **الوسيط في تاريخ العرب قبل الإسلام**، دار الكتب العلمية.

97. ـــــــــــــ، **الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة**، دار الكتب العلمية، بيروت.

98. منصوري عبد النور، **محاضرات في تاريخ الفكر السياسي**، مطبوعة موجهة لطلبة السنة الأولى ليسانس ل. م. د، كلية الحقوق، 2020م.

99. مهران محمد بيومي، **الحضارة العربية القديمة**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1988م.

100.ـــــــــ، **دراسات في تاريخ العرب القديم**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية،1989.

101.نافع محمد مبروك، **عصر ما قبل الإسلام**، مكتبة السعادة، مصر.

102.النشار مصطفى، **تطور الفكر السياسي القديم (من صولون حتى ابن خلدون)**، ط1، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1999م.

103.نصيف عبد الله أدم، **القنوات والنظام الزراعي في المدينة**، ج2، دار المريخ، لندن، الرياض، 1986م.

104.النعيم نورة عبد الله علي، **التشريعات في جنوب غرب الجزيرة العربية حتى نهاية دولة حمير**، الرياض، 2000م.

105.ـــــــــــــ، **الوضع الإقتصادي في الجزيرة العربية في الفترة من القرن الثالث قبل الميلاد حتى القرن الثالث ميلادي.**

106.نقولا زيادة، **دليل البحر الأرثيري وتجارة الجزيرة العربية، دراسات في تاريخ الجزيرة العربية**، ج2، جامعة الملك سعود، 1982م.

107.نواف أحمد عبد الرحمان، **تاريخ العرب قبل الإسلام**، ط1، الجنادرية للنشر والتوزيع، 2015.

108.نولدكه تيودور، **أمراء غسان**، تر، جوزي بندلي وقسطنطين زريق، بيروت، 1933م.

109.الهاشمي عبد المنعم، **تاريخ العرب في العصر الجاهلي**، مج1، دار البحار، 2006م.

110.هبو أحمد رحيم، **تاريخ العرب قل الإسلام**، منشورات جامعة حلب، كلية الآداب، 1979-1980م.

111.يحي لطفي عبد الوهاب، **العرب في العصور القديمة**، دار النهضة العربية، الإسكندرية،1989م.

112.اليسوعي لويس شيخو، **النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية**، ط2، دار المشرق، بيروت،1989م.

113.يوسف الغنيم عبد الله، **أقاليم الجزيرة العربية بين الكتابات القديمة والدراسات المعاصرة**، قسم الجغرافيا، جامعة الكويت، 1981م.

ج. المراجع باللغة الأجنبية:

1. A. Jamme, ***sabaean Inscriptions from mahram bilqis***.
2. A.F, Beeston, ***Hadramawt pre Islamic pèriode***, Leiden,1971.
3. Adas Michel, ***Agricultural and pastoral socie taires in ancient classical history***, temple university philadelphie U.S.A, press, 2001.
4. Adolf Grahomann,**Arabia**.v3.Lssue 1,part 3.
5. Albert Hourani, ***A History of the Arabs people***, m.j.f. book NW, 2016.
6. Allbright,W.F, ***the chronologie of the first copain of excavation in qataban***, Baltimore, 1950
7. Allbright,W.F,***the chronology of minaean king of Arabia,*** Basor, 129, 1953.
8. Andrew, Gardiner, ***on tribalisme and arabia***,university of Puget sound washingtom, 2018
9. Andrey,*Korotayev*, **Ancient yemen**, Oxford university press 1955.
10. Annie Sartre et Mauice sartre,***perrin, palmyre***, Paris 2016.
11. B,Thomas, **Arabia,Filix**,NY,1932
12. Bellamy, James, A, ***the Newton of Reading of Al namarh inscription***, journal of American orient socit, 1985.
13. Bernard Lewis, ***The Arabs in History***.London,1912
14. Browen. R. ***Ancient trade routes***, Johnson hopikins, press Baltimore, 1958.
15. Bukharim Mkhali, ***Mecca on caravane Routes in pre Islamic Antiquity***, Leiden, 2009.
16. Burkhart john Lewis jc, ***Trabels in Arabia***, London, 2017.
17. Bury john, ***History of latral Rome Empire from the bat of theodorosius*** 1,to death of justinian,part 2,2006.
18. Ch, Robin, Cites, ***Royaumes, et Empires de L'arabia avant l'islam***, revue du monde arabe musulman et de la Mditerrane,nul 61,1991.

19. Deborah, M, C, Horis, ***the queen of Sheba***, Mc forland, 2013.
20. Dominique Sourdel, ***Les arabes avant l'islam*,** P.U.F ,2007.
21. Enwo,Littmann, ***Nabataen inscription from the Houran***, Leyden, 1943.
22. Forster, ***the hystorical of geography* of Arabia**, in III Vols, London 1950.
23. Gordon D Wnewbery, ***Wa history of the jewis***, univ California presse, 2009.
24. Gordon.D. Newby ,***A history of the jewish of Arabia***, Univ california presse, 2009.
25. Graf David,f, ***Rome and the Arabian***, London,1997
26. Hatoon Ajwad Al fassin ,***Women pre-Islamic Arabia Nabataean***, British Archaeologie, Report, 2007.
27. Hoy Robert, *G*, ***Arabia and the Arabs from the Bronze Age to the comming islam***, NY,2005
28. Idouard Glaser, ***Exploration un south arabia***,1971
29. Irfan Shahid, ***Byzatium and the arabs in six century***, vol 2, part 2, 2003.
30. Irfan Shahid, ***Ghassan past*,** Darwin,press,1909.
31. j, philby, ***the background of islam***, Alexandria,1947.
32. j. Bent and Mis, ***Southern Arabia*** , London,1900.
33. J. Dayton, ***The problem of climatic change in The Arabian peninsula***, Institute of archaeology, London, 1975.
34. Jack Macgin, ***tribe and state in the centemporary Arabian Peninsula***, NY,2018.
35. jametayber, ***and the lost kingdom of the Nabataeans***, 2001.
36. Jan Resto, ***the Arabs in the antiquity***, London, 2018.
37. joseph chelhod, ***L,Arabia du sud Histore et civilisations***, T 1, Paris 1984.
38. Louis,j,: ***History of the Arabic language***, warbling ,2019.
39. Lutfi A. A Yehia, ***from Homertowhesiod***, Alexandria, 1971.
40. M, D, Bukharin, ***towards, the earliest history of kinda***, Arabia Archeology and Epigraphy, vol20, issue 1, 2009.
41. Mohamed Hamza Ibrahim, ***Religion in the Arabia peninsula berger islam***,2012.
42. Mouis Lanw ,D,***Mecca and Maccoraba***, 2018.
43. Mouton. M,***Lrrigation et formation de la sociètè dans les basses terres du Yemen***, 1981.
44. Musil,**Hegaz**., N Y, 1930.
45. Musil,A,***in the Arabia desert***,NY,1930.
46. patricia Cronne, ***Mecca trad and the rise of islam Princeton***, univ press 1987.
47. -paul veye, ***palmyre L'irremplcaable trèsor***,Chicago,2017.
48. Ptol M. E C, ***the geography of ptolèmèe***, trans by J, Angeles, NY, vol 1,1989.
49. Raymonf Cerre de Malburg, ***contbution a iz th oriegn rale de, tat***, ulan presse, 2012.

50. Reza-Ur-Rahim, M, ***Agriculture pre-islamic in arabia introduction***,Islam abad staber Islamic studies,vol 10,Num 1 marches,1971.
51. Richard Tapper, ***tribalism in middle Eastern states***.London,2018.
52. Richard, Bower, ***Irrigation in ancient Qatabon***, John Hopkins press, Baltimore
53. Robinch,L, ***Arabia du dud Antique***, le royaume de saba dans la bible et terre sainte,pares,1976.
54. Rykmans,J, somete ***chnicalaspects of the Inscriped sauth Arabian***, Britich Museum,1978.
55. Sardar, Ziaudin, ***Mecca the sacred***, publishing, USA, 2014.
56. W.F.albright, ***a note on Early Sabaean chronology***,Bassor,1956.

المقالات:

1. الجرو اسمهان سعيد، **النهضة الزراعية في اليمن القديم**، مجلة سبأ، العدد السابع، جامعة عدن، 1998م.
2. الجنابي قيس حاتم هاني، **رؤية إسلامية في الأوضاع الإقتصادية للمرأة العربية قبل الإسلام**، قسم التاريخ، كلية التربية الأساسية، جامعة بابل.
3. غانم النجار، **القبيلة والدولة في الكويت والجزيرة العربية**، قسم العلوم السياسية، جامعة الكويت، 1996م.
4. مرعي عبيد، **تاريخ المرأة في الشرق العربي القديم**، زنوبيا أنموذجا، دمشق، 2020م.

الرسائل الجامعية:

1. الزهراني حبيب حنش حمدان، **أدب الحنيفية في العصر الجاهلي**، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة، (د. ت).
2. السقاف عبد الرحمان عمر عبد الرحمان، **تطور الحياة الفكرية لليمنيين القدماء**، أطروحة دكتوراه، جامعة صنعاء، كلية الآداب، قسم التاريخ، 2007م.
3. بحري محمد عبد الله عبد الرحمان، **تطور نظم الحكم في الجزيرة العربية منذ بداية العصور التاريخية حتى القرن الثالث (ق.م)**، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الآداب، جامعة الاسكندرية، 2006م.
4. جمعة الزروق فرج بلعيد، **دور القبيلة في الأنظمة السياسية العربية (اليمن أنموذجا)**، رسالة ماجستير في العلوم السياسية، جامعة الشرق الأوسط، 2005م.

5. شاه بهاى جيهان بنت عبد الرحمان، **دور مكة في الحياة الإقتصادية قبل الإسلام، ما بين القرنين الرابع والسابع الميلاديين**، رسالة ماجستير في التاريخ القديم، جامعة الملك عبد العزيز، 2001م.

6. عامر جمال سليمان علي، **الحرف والصناعات اليدوية في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام**، رسالة ماجستير في حضارات الشرق الأدنى القديم، جامعة الزقازيق، (د. ت).

7. كاكاي محمد، **الواقع التجاري وأثره في ازدهار المملكة السبئية**، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2002م.

8. مجتبي علي إبراهيم محمد، **التنظيمات السياسية في بلاد العرب قبل الإسلام**، دكتوراه الفلسفة في التاريخ، جامعة الخرطوم، 2009م.

9. محمد منير عبد الجليل عبده محمد، **بيوت المعبودات في مملكة سبأ، أشكالها وتخطيطها**، رسالة الماجستير في الآثار القديمة، جامعة اليرموك، معهد الآثار، 1995م.

10. مرسي وائل فتحي،**المجتمع اليمني القديم، دراسة من خلال المناظر والنقوش**، ماجستير في الآثار، جامعة القاهرة (د. ت).

11. ناشر هشام عبد العزيز، **التجارة بشبه الجزيرة العربية وسورية في الألف الأول قبل الميلاد**، رسالة ماجستير في التاريخ القديم، جامعة عدن، 2003م.

المجلات:

1. إبراهيم محمد حمزة، **الأديان في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام "من خلال الشعر الجاهلي"**، مجلة الخليج العربي، مج 40، العدد 2، 2012م.

2. اسماعيل عمر حقي، **مملكة حضرموت في اليمن، دراسة أثرية**، مجلة الملوية للدراسات الأثرية والتاريخية، المجلد 3، العدد5، السنة3، جامعة سامراء، العراق، 2016م.

3. السعيدي أحمد، **الفسيولوجية من فقه اللغة إلى تحقيق التراث**، مجلة الفيصل، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات، 2018م.

4. السامرائي عبد الحميد حسين أحمد، **بعض مظاهر التنظيم القبلي في صدر الإسلام**، مجلة السامرائي، المجلد 5، العدد 14، 2009 م.

5. جواد علي، **مقومات الدولة العربية قبل الإسلام**،مجلة المجمع العلمي العراقي، الجزء2-3، المجلد 38،1987 م.

6. خطاب باسم، **ملكات شمال الجزيرة العربية في السياسة الأشورية عبر العصر الإمبراطوري في الفترة الممتدة من 745–627 ق.م**، مجلة كلية الأثار، جامعة جنوب الوادي، العدد14، 2019م.

7. زكريا جاسم، **مقومات الدولة بمكة ومكانتها في المجتمع الدولي قبل الإسلام**، مجلة جامعة الشارقة، المجلد 14، العدد1، جوان 2017م.

8. شريف صبحي أنور، **الملك البابلي نبونا إيد في تيماء**، مجلة سومر، المجلد 35، بغداد،1979م.

9. الشمري ظاهر ذباح، **لمحة عن الأحوال الإقتصادية عند العرب قبل الإسلام**، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، المجلد 4، العدد 2.

10. المرقطن محمد حسين، **هندسة الري ودورها في نشأة الدولة في جنوب غربي الجزيرة العربية وتطورها**، مجلة أدوماتو، جانفي 2013م.

11. ناجي سلطان، **مظاهر الحضارة اليمنية القديمة**، مجلة الحكمة، العدد 17، 1973م.

الموسوعات:

1. الروضان عبدو عون، **موسوعة تاريخ العرب**، ج1، ط1، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن،2004م.

2. القوصي عطية، **جزيرة العرب قبل الإسلام**، موسوعة الثقافة التاريخية والأثرية والحضارية، دار الفكر العربي، القاهرة، (د. ت).

3. محمد صخري، **مفهوم النظام السياسي ووظائفه وإمكاناته**، موسوعة الجزائرية للدراسات السياسية والاستراتيجية، 2020م.

القواميس والمعاجم:

1. أحمد مختار عمر، **معجم اللغة العربية المعاصرة**،عالم الكتب للنشر والتوزيع،2008 م

2. ابن منظور العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد، **لسان العرب**، مج1، مج4، مج6، مج 9، مج10، دار صابر، بيروت، (د. ت).

3. البكري أبو عبيد الله بن عبد العزيز، **معجم ما استعجم من أسماء البلد والمواضيع**، ج1، ترجمة مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، 1945م.

4. جبران مسعود، **الرائد**، معجم لغوي عصري، دار العلم للملايين، ط7، 1992 م.

5. الجوهري، **الصحاح**، تحقيق أحمد عبد الغفور العطار، ج1، ط4، دار العلم للملايين، بيروت،1987م.

6. الفيروز آبادي محمد بن يعقوب، **القاموس المحيط**، تح، أنس محمد الشامي، وزكريا أحمد، مج1، دار الحديث، القاهرة، 2008م.

7. ـــــــــــــــــــــ، **القاموس المحيط**، ط8، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2005م.

8. بيستون أ. ف. ل وآخرون، **المعجم السبئي**، منشورات جامعة صنعاء، دار نشريات بيترز، لوفان الجديدة، مكتبة لبنان، بيروت، 1982م.

9. مؤنس حسين، **أطلس تاريخ الإسلام**، ط1، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1987م.

المواقع الالكترونية:

1. www.alahaywat blos pot.com

2. https :www.alkaleejonline.com

الفهرس العام

الصفحة

الفصــل التمهيــدي:

الأرض والسكــان

الفصل الأول:

ماهيــة ومفهــوم النــظام السياســي العربــي القديــم

الفصـل الثانــي:

المرتكـزات الإقتصاديـة لتطـور النـظام السياسـي العربـي القديـم

الفصـل الثالـث:

اسهامات الجانب الإجتماعي والدينـي في تطـور النـظام السياسـي العربي القديـم

الفصل الرابع:

دول وممالك شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام

الفصــل الخامــس:

نمـاذج من الأنظمـة السياسيـة فـي شبـه الجزيـرة العربيـة

الفصل السادس:

تطور أنظمة الحكم وميلاد الفكر السياسي العربي القديم